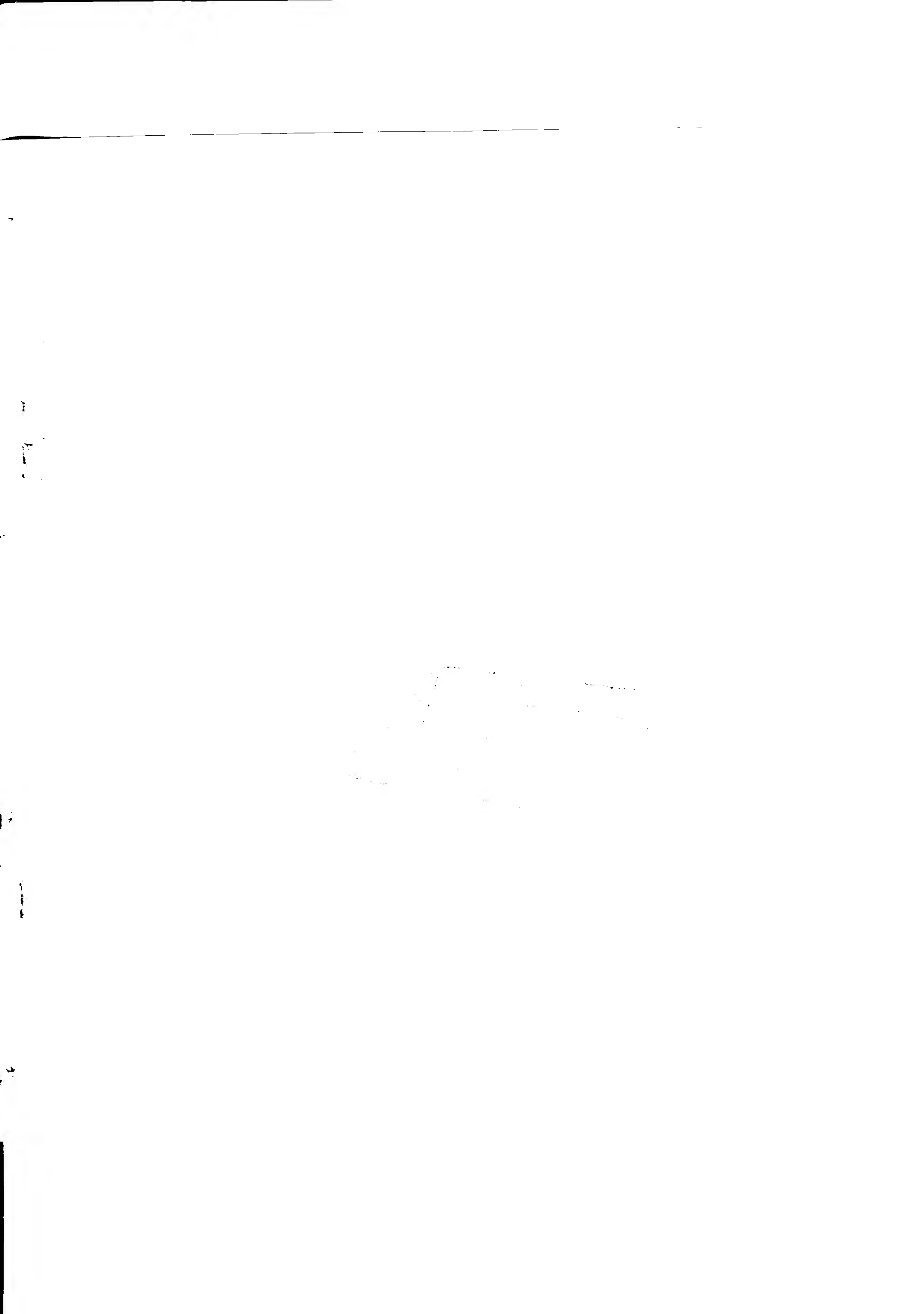
الجمهورية العراقية وزارة الثقافة والفنون

سلسلة كتب التراث (٦٧)



شعر ابن المعتز

صنعة

أبي بكر محمد بن يحيى الصولي

دراسة وتحقيق

الدكتور يونس أحمد السامرائي

القسم الثاني

الدراسة



تقـديم

يعد ابن المعتز من كبار شـعراء القرن الثالث الهجرى ، له اسلـوب خاص ، وبراعة في التشبيه ، وإجادة في فنون الشـعر المختلفة . وعلى الرغم من أهميته كشاعر كبير فقد بقى شعره مهملا غير محقق كله تحقيقا علميا[1] بل لقد تعرض شعره الى التشويه والمسخ ، لكثرة ما أصـابه من تصحيف وتحريف ، واسقاط ونحل ، على أيدي النساخ والناشرين في خلال مسيرته الطويلة ، وقد أحس غير واحد من الدارسين المحدثين لشعره بهذا التشويه ، كما أحسست أنا بهذا الامر ، وذلك في أثناء اعداد رسـالتي الماجسـتير ، حيث كان ابن المعتز في جملة من تصديت للحديث عنهم فيها من الشعراء .

وكان من حسن التوفيق أن توافق كلية الاداب في جامعة عين شمس على موضوع الرسالة الذى تقدمت به لنيل درجة الدكتوراه ، والذى يتعلق بتحقيق شعر ابن المعتز ودراسته .

ان موضوع الرسالة يتألف من قسمين ، يتناول القسم الاول منهما ، تحقيق شعر ابن المعتز ، وقد عمدت في هذا القسم الى جمع عدد من نسخ ديوان الشاعر المخطوطة ، فتجمع لدى منها تسع نسخ كاملة ، ست منهـا

---

(١) غير ان ابن المعتز قد لقـى اقبالا كبيرا من الدارسـين المحـدثين ، فكتب عنه غير واحد من الاساتذة الافاضل . ولعل اول من كتب عنه الدكتور طه حسين في كتابه (من حديث الشـعر والنثر) ، كمـا كتب عنـه آخرون . منهم الاستاذ / عبدالمنعم خفاجي في كتابه (ابن المعتز وتراثه في الادب والنقد والبيان) ، والاستاذ / عبدالعزيز سيد الاهل فيكتابه (عبدالله بن المعتز) ، كما كتب عنه قصة صغيرة في كتيبه (يوم وليلة) . ومنهم الدكتور محمد عبدالعزيز الكفراوي في كتابه (عبدالله بن المعتز العباسى) ، والدكتور / احمد كمال زكي في كتابه (ابن المعتز العباسى) .

مخطوطة ، وثلاث مطبوعة ، وأربع نسخ غير كاملة ، ثلاث منها مخطوطة ، وواحدة مطبوعة ، كما وقفت على نسخة مخطوطة تشتمل على الفصل الذي عقده الصولي (جامع الديوان) على ابن المعتز ، في كتابه الاوراق •

وكل هذه النسخ برواية الصولي ، وهي مرتبة على عشرة فنون هي : الفخر ، والغزل ، والمديح ، والهجاء ، والشراب ، والمعاتبات ، والطرد ، والاوصاف ، والمراثي ، والزهد ، وكل فن من هذه الفنون مرتب على حروف الهجاء ، وشذ من هذه النسخ نسخة مطبوعة من الديوان ، فقد رتبت على الحروف •

ولعدم تيسر الوقوف على نسخة كاملة قديمة جيدة يمكن ان تتخذ أصلا في تحقيق الديوان كله ، فقد اتخذت احدى النسخ الكاملة ــ وهي حديثة النسخ ــ ورمزت لها بالحرف (ع) ــ آمنًا في تحقيق الفنون الاربعة الاولى ، وذلك لقلة ما فيها من تحريفات بالنسبة للنسخ الاخرى ، ولاشتمالها على زيادات لم ترد في بقية النسخ ، كما اتخذت احدى النسخ الناقصة ــ وهي ترقى في نسخها الى القرن الرابع الهجري ورمزت اليها بالحرف (ل) ــ اصلا في تحقيق الفنون الستة الاخرى •

وتمتاز هذه النسخة بقلة التحريفات ، وبأشتمالها على استدراكات كثيرة في هوامشها من رواية حمزة الاصبهاني ، أحد جامعي شعر ابن المعتز وغيره كما رجعت الى مصادر مخطوطة ومطبوعة كثيرة جدا ، وردت فيها أشعار لابن المعتز • وقد أبقيت ترتيب الديوان على الفنون ، كما رتبه الصولي نفسه لاسباب ذكرتها في نهاية الفصل الاول من الباب الثاني •

وتجمع لدى عدد كبير من الشعر المنسوب لابن المعتز ، لم يرد في نسخ ديوانه المخطوطة والمطبوعة ، فجعلته في ملحق خاص به • وأربت أبيات الديوان والملحق على (١٠٥٠٠) خمسمائة وعشرة آلاف البيت •

ويتناول القسم الثاني دراسة شعر ابن المعتز ، ويقع هذا القسم في ثلاثة أبواب تشتمل على ستة فصول •

فالباب الاول ، يتناول عصر ابن المعتز وحياته ، ويتألف من فصلين : الاول يتناول نشأة ابن المعتز ، وتحدثت فيه عن اسمه وكنيته ومولده وثقافته ولهوه •

والثاني يختص بحياته ، وتحدثت فيه عن زواجه وأولاده ، وصفاته ومعتقده ، وعلاقته برجال عصره ، وحالته الاقتصادية ، وخلافته ومقتله ومؤلفاته •

والباب الثاني ، يتناول شعر ابن المعتز ، ويقع في فصلين : يتناول الفصل الاول رواية شعره وتحقيقه ، وتحدثت فيه عن نسخ الديوان ووصفتها وصفا شاملا ، كما تحدثت عن المنهج الذي اتبعته في التحقيق ، وعن ترتيب الديوان•

ويتناول الثاني المنحول من شعره ، وتحدثت فيه عن الشعر الذي نسب الى الشاعر خطأ ، واستندت في التشكيك بما نسب اليه على اسس ذكرتها في مكانها من هذا الفصل ، وأفضت في الحديث عن الموشحة التي نسبت اليه ، وذكرت الاسباب التي تدحض صحة نسبتها الى الشاعر •

اما الباب الثالث ، فيتألف من فصلين ايضا : يتناول الاول موضوعات شعره ، وتكلمت فيه على شاعرية ابن المعتز ، وابتداء معالجته النظم ، وعملت جدولا لتبيان عدد مقطوعاته وقصائده في الفنون المختلفة ، ثم تحدثت عن اسباب نظم القصائد والمقطوعات • وتكلمت على موضوعات شعره تحت أسماء : الشعر الحماسي والشعر الاجتماعي (ويضم المديح والعتاب والهجاء والرثاء) والشعر السياسي والغزل والوصف : (ويضم الشراب والطبيعة والطرد واموراً اخرى) والحكم والمزدوجة التاريخية والحنين الى الوطن •

ويتناول الثاني دراسة شعره دراسة فنية ، وتحدثت فيه عن بناء القصيدة ، (فيما يتعلق بالمطلع والانتقال والغرض) • كما تحدثت عن اسلوبه من خلال

الكلام على التشبيه والخيال واللغة والبديع • وعن أوزانه وقوافيه ، وأنهيت الفصل بالحديث عن تأثره بمن سبقه وأثره فيمن اعقبه من الادباء والشعراء •

ان التحقيق العلمى عمل يحتاج الى جهد وصبر ووقت ، وخاصة حين يعز العثور على نسخة جيدة يمكن أن تذلل الكثير مما يقع في النسخ من تحريفات وتشويه • ولكن مع كل هذا فلا يخلو هذا العمل الشاق من لذة ونشوة يشعر بهما كل من يتصدى له وينهض باعبائه •

لقد كانت الرسالة في الاصل تحت اشراف استاذنا الكريم الدكتور عبد القادر القط ، ثم ارتأى احالتها ـ بعد انتدابه الى جامعة بيروت ـ على استاذ كريم هو الدكتور ابراهيم عبدالرحمن محمد ، الذي كان لدقة ملاحظاته وسداد توجيهاته ، الفضل الكبير في بلوغ الرسالة غايتها ، فاليهما أتوجه بالثناء الموصول ، والاعتراف بالجميل •

على أنه ينبغى أن أشير الى أنه على الرغم من الجهد الذى بذلته في تحقيق شعر ابن المعتز ودراسته بعد ذلك ، فاني لا أدعى الكمال لعملي هذا ، ولكننى أرجو أن أكون قد قدمت شيئا لابن المعتز بصورة خاصة ، وللادب العباسي بصورة عامة • كما أرجو ان يكون ما قدمته نافعا لمن يتصدى لدراسة شعر ابن المعتز في قابل الايام •

يونس أحمد السامرائى

الباب الاول

عصر بن المعتز وحياته

تمهيد :

استخلف المعتصم بعد وفاة أخيه المأمون في بغداد ، ولم تمض عليه مدة طويلة فيها حتى فكر في الانتقال عنها الى مكان آخر ، وكان قد اقتنى قبل استخلافه كثيرا من الاتراك ، ثم زاد عددهم بعد استخلافه حتى ضافت بهم العاصمة . وهناك اكثر من سبب دعا المعتصم الى اتخاذ عاصمة جديدة له ، ولعل من الاسباب المهمة ان اولئك الاتراك كانوا عجما جفاة يركبون الدواب فيتراكضون في طرق بغداد وشوارعها فيصدمون الرجل والمرأة ويطئون الصبي فكرههم أهل بغداد ، وضاقوا بهم ، فكانوا يقتلون بعضا ويضربون بعضا وتذهب دماؤهم هدرا فشكت الاتراك ذلك الى المعتصم من جهة كما شكا اليه اليه أهل بغداد ما كانوا يلاقونه من أذى الاتراك من جهة أخرى ، حتى بلغ بهم الامر ان طلبوا من الخليفة ان يخرج عنهم بجنده والا حاربوه بسهام الاسحار ، فثقل ذلك على المعتصم وعزم على الخروج من بغداد[٢] .

وقد يكون من الاسباب ايضا ان المعتصم كان رجلا يميل الى الروح العسكرية وقد اتخذ له جيشا كثيفا كما تجمع لديه عدد كبير من الخيول ، وهذه الجيوش اللجبة ، والخيول الكثيرة بحاجة الى مدينة جديدة ذات فضاء واسع يستطيع الخليفة ان يهيء فيها الثكنات لجيوشه والاصطبلات وملحقاتها

---

(٢) انظر : سامراء في أدب القرن الثالث الهجري (١١) .

بخيول تلك الجيوش . وان بغداد اصبحت لا طاقـــة لها باستيعاب هـــذه الجيوش وخيولها الى جانب ما كانت عليه من كثافة السكان[٣] .

ووقع اختياره على موضع يقع شمال بغداد بنحو (١٢٠) كيلومترا ، فأمر بانشاء عاصمة له ، وابتدأ العمل بتخطيط المدينة وهندستها ، وأسـرع الفعلة والبناؤون وأرباب الفنون بالبناء فأنجزوه بوقت قليل ، وذلك في سنة ٢٢١ هـ ، فانتقل الخليفة بجيشه ودواوين دولته اليها ، وتبعه العلماء والادباء وكل ذي مهنة وحرفة .

وتتابع الخلفاء من اولاده واحفاده يبذلون جهودا عظيمة في تنظيمهـــا وتوسيعها فيشيدوا فيها قصورا ضخمة وعمائر فخمة . كلفت الكثير من الجهد والمال حتى غدت بحق تسمى مدينة القصور .

كان المعتصم رجلا قوي الشخصية ، شديد الشكيمة فاستطاع الهيمنة على هيبة الخلافة والسيطرة على الجيش الجديد وقادته وكلهم من الاتراك[٤] . واستطاع ان يقضي في سنة ٢٢٠ هـ على اكبر ثائر متمرد وهو بابك الخرمي الذي خرج على الخلافة منذ عهد المأمون[٥] . كما قضى على متمرد آخر هو المازيار بن قارن الذي خرج في طبرستان سنة ٢٢٤ هـ فقتل وصلب الى جانب بابك[٦] .

---

(٣) انظر : سامراء في أدب القرن الثالث الهجري (١١) . وهناك اسباب اخرى ذكرت في اتخاذ المعتصم سامراء عاصمة له .

(٤) حاول الافشين بعد مقتل بابك وصعود نجمه ان ينحرف عن الخلافة فحبسه المعتصم حتى مات ولم يحاول احد من القادة الاتراك ان يحـرك ساكنا في اثناء ذلك .

(٥) انظر الطبري (١٠/٣٣٣) .

(٦) المصدر نفسه (١٠/٣٤٨)

ولعل أشهر عمل حربي قام به المعتصم بعد قضائه على المتمردين هو غزوه عمورية حيث اعد لغزوته هذه جيشا لم يتهيأ لخليفة قبله ، ومكن له من فتحها واحراقها وذلك في سنة ٢٢٤هـ[٧] •

واعقب المعتصم ابنه الواثق في سنة ٢٢٨ هـ ، وكانت الامور هادئة في عهده بفضل توطيد والده لها ، وبقي في الحكم اربع سنوات وتوفى ولم يعهد لاحد من اولاده او اخوته بعده بالخلافة ، وجهد قادة الاتراك ووزيره محمد بن عبدالملك الزيات ان يرشحوا أخاه المستعين للخلافة ، غير ان قاضي القضاة احمد بن ابي دؤاد الذي كان مناوئا للوزير تمكن من ترشيح المتوكل ابن المعتصم لها •

وكان المتوكل أشهر الخلفاء العباسيين في سامراء اذ تهيأ له من الصفات المحببة والاعمال الجليلة والمدة الطويلة ما جعل عهده يتسم بالرخاء والصفاء والغضارة ، حتى قيل : (وكانت ايام المتوكل أحسن الايام وأنضرها ، من استقامة الملك ، وشمول الناس بالامن والعدل)[٨] •

والحق ان المتوكل كان مرضي السيرة محبوب الصفات حتى ليمكن القول بانه اكثر الخلفاء العباسيين قرباً الى قلوب الرعية ، ولو لم يشب عهده بشيء من الإعنات للطالبين الذي مرده السياسة ، وباقدامه على النيل من مثوى الحسين ابن علي (ع) ، لكان من افراد الحكام في العهد العباسي كله[٩] •

وعلى الرغم من الهدوء الذي كان يسود اقطار الخلافة في عهده فان بعض التحركات والمنافرات كانت تحدث هنا وهناك ، فكان الخليفة يقضي عليها اما بارسال الجيوش ، واما بتدخله الشخصي ووساطته ، ومن اهم هذه

---

(٧) انظر : الطبري (١٠ /٣٣٥) .

(٨) مروج الذهب ٨٦/٤ ؛ وانظر البحتري في سامراء حتى نهاية عصر المتوكل ١٥٩ .

(٩) انظر : النجوم الزاهرة ٢٨٣/٢ ــ ٢٨٤ ، ٣٢٤ ؛ والكامل في التاريخ ٥٥/٧ ــ ٥٦ ؛ والبحتري في سامراء حتى نهاية عصر المتوكل ١٦٥ .

الحوادث وثوب أهل ارمينية بعاملهم[١٠] والقتال الذي نشب بين قبائل بني تغلب وكاد يودي بها ويستأصل شأفتها[١١] ، وشغب قبيلة ربيعة[١٢] .

ولعل أكبر خطأ ارتكبه المتوكل هو تولية العهد لاكثر من واحد من ابنائه، فقد عقد البيعة في سنة ٢٣٥ هـ لثلاثة من ابنائه هم : المنتصر ، والمعتز ، والمؤيد ، وضم الى كل واحد جزء من الدولة ، وانحرف بدافع من زوجته ــ أم المعتز ــ عن ابنه المنتصر الذي رمى بنفسه في احضان قادة الاتراك المناوئين لابيه .

ويبدو ان المتوكل لم يكن يطمئن الى الاتراك وقادتهم فسرعان ما توترت العلاقة بينه وبينهم ، وحاول ان ينال منهم فبدأ باقصاء احد كبار قادتهم وهو ايتاخ . ودبر له مكيدة أطاحت به[١٣] . غير ان القضاء على هذا القائد لم يكن كافيا للتخلص من نفوذ الاتراك وشرورهم ، فعمد الى وسيلة أخرى للنيل منهم ، فعزم على الانتقال الى عاصمة اخرى في قطر آخر ، علـه يجد فيها من العنصر العربي ما يغنيه عن العنصر التركي ، فاختار لهذا الامر مدينة دمشق[١٤] ، وشخص اليها من سامراء في سنة ٢٤٣ هـ ودخلها في سنة ٢٤٤ هـ ، ولكنه لم يمكث فيها الا مدة قليلة اضطر بعدها الاوبة الى عاصمته سامراء[١٥] بعد اكتشافه مؤامرة لاغتياله من

(١٠) انظر البحتري في سامراء حتى عصر المتوكل ١٨٤ــ١٨٨

(١١) انظر المصدر نفسه ١٩٧ ــ ٢٠٢ .

(١٢) انظر المصدر نفسه ٢٠٢ ــ ٢٠٤ .

(١٣) الطبري (٣٣/١١) وانظر ظهر الاسلام (١/٩ــ١٠) .

(١٤) انظر : ظهر الاسلام (١/٩ــ١٠) ومحاضرات الامم الاسلامية للخضري (٢٣٥) .

(١٥) انظر الطبري (٥٥/١١) وتاريخ اليعقوبي (٢٢٤/٣) ومروج الذهب (١١٤/٤) .

قبل الاتراك[١٦] ولكنه ما كاد يستقر في سامراء حتى شرع في بناء مدينة جديدة شمالها أسماها (الجعفرية) أو (المتوكلية) ، وكأنه يريد بهذا الابتعاد عن مساكن الترك وقوادهم ، وتم البناء بسرعة وانتقل بدواوين ملكه اليها في سنة ٢٤٦ هـ ، غير ان بعض قادة الاتراك امثال وصيف وبغا وطدوا صلتهم بالمنتصر وجهدوا ان يوغروا صدره ضد ابيه ، فتواطأ واياهم على اغتياله والتخلص منه فأوعزوا الى نفر من مقربيهم من الاتراك ان يتصدوا للخليفة في مجلس شرابه ليلا ويفتكوا به ، فقاموا بتنفيذ ما عهد به اليهم ، وكان ذلك في سنة ٢٤٧هـ[١٧] . وبمقتل المتوكل يبدأ عهد التدهور في الخلافة العباسية .

خلف المنتصر والده القتيل في مدينة المتوكلية ، ثم انتقل عنها الى سامراء بعد ايام من استخلافه ، وجهد ان يتظاهر بالطيب والسماح والانصاف ليخفف مما كان يكابده من الالم النفسي الذي كان يحزه من جراء اجتراحه الجرم العظيم في حق والده ، فعمد الى استرضاء الطالبيين الذين كانوا مطرحين في عهد ابيه ، ثم ما لبث ان انقلب على الاتراك وعلى من شاركه من قادتهم في اغتيال والده ، وحاول ان يدبر مكيدة لابعاد وصيف احد شركائه في المؤامرة فأوعز اليه في سنة ٢٤٨هـ القيام بغزو بلاد الروم وجهزه بجيش كبير لهذا الغرض[١٨] ، ولم يمد للمنتصر في عمره طويلا اذ وافاه أجله بعد نحو ستة أشهر من استخلافه وقد اختلف في وفاته[١٩] .

وأعقب المنتصر المستعين بن المعتصم ، وجاء به قادة الاتراك ، وصيف وبغا واوتامش ، وأبعدوا ابناء المتوكل خشية ان يأخذوا بثأر أبيهم ، وكان

---

(١٦) انظر تاريخ اليعقوبي (٢٢٤/٣) .

(١٧) انظر الطبري (٢٣٠/٩) ؛ ومروج الذهب (٣٦/٤) .

(١٨) انظر الطبري ٢٤٠/٩–٢٤١ . والكامل في التاريخ ١١١/٧ .

(١٩) انظر الطبري ٢٥٤/٩ ؛ ومروج الذهب ٤٩/٤ والكامل في التاريخ ١١٤/٧–١١٥ وتاريخ الخلفاء (٣٥٧) والفصل الاول من البحتري في سامراء بعد عصر المتوكل .

المستعين مستضعفا فاستغل ضعفه عدد من الامراء والقواد فشقوا عصـا الطاعة وحاولوا الاستقلال باجزاء مختلفة من الدولة ، قال صاحب الفخري : (وكانت ايامه كثيرة الفتن ، ودولته شديدة الاضطراب)[٢٠] ، وقد اطلـق يد والدته ويد اوتامش وشاهك الخادم في بيوت الاموال وأباحهم فعل مـا ارادوا ، فكانوا يقتسمون الاموال التي ترد من الافاق فيما بينهم[٢١] .

بقي المستعين في سامراء الى سنة ٢٥١ هـ حيث اضطر الى الفرار مـع وصيف وبغا والانحدار الى بغداد بعد ان تألب ضـده الموالي بسبب قتلـه باغر التركي قاتل المتوكل ، وقصده بعض قادة الاتراك من سامراء ملتمسين منه الرجوع اليها ، وراجين الصفح عما بدر منهم ، وانهم يعاهدونه على الطاعة والانصياع ، ولكنه رفض التماسهم مما اضطرهم الى خلعه ومبايعة المعتز بن المتوكل ، فانقسم الناس فئتين : فئة تشايع المستعين وهم أهل بغداد ، وأخرى تساند المعتز وهم أهل سامراء ، وحدث بينهما قتال استمر الى اول سنة ٢٥٢ هـ حيث خلع المستعين نفسه وانتهى الامر بقتله على يد الاتراك[٢٢] .

وصفا الامر للمعتز الذي جهد ان يضع حدا لغطرسة الاتراك وطغيانهم بتحريض من والدته على ذلك ، ولكن الامر لم يكن سهلا ، فقد اصبح الاتراك قوة لا يستهان بها في التدخل بشؤون الخلافة وفي التحكم بمصائر الخلفـاء ، ولعل من الطريف ان نذكر في هذا الشأن ما جاء في الفخري من انه (لما جلس المعتز على سرير الخلافة ، قعد خواصه واحضروا المنجمين وقالوا لهم : انظروا كم يعيش ، وكم يبقى في الخلافة ؟ وكان بالمجلس بعض الظرفاء فقال : انـا

---

(٢٠) ٢٤٠ .

(٢١) الكامل في التاريخ (١٢٣/٧) .

(٢٢) انظر الطبري ٣٦٢/٩–٣٦٣ ، ومروج الذهب (٧٧/٤) وتاريخ بغداد ٨٤/٥–٨٥ وتاريخ الخلفاء (٣٥٨) .

اعرف من هؤلاء بمقدار عمره وخلافته . فقالوا له : فكم تقول انه يعيش ؟ وكم يملك ؟ قال : مهما أراد الاتراك)[٢٣] .

لقد جد المعتز في تتبع قادة الاتراك ، ولا سيما وصيف وبغا الصغير ، فاسقط اسميهما ومن كان في رسمهما من الدواوين ، ولكنه اضطر تحت وطأة ضغط زعماء الاتراك واتباعهم الاخرين الذين عضدوه ضد المستعين العدول عن ذلك واعلان رضاه عنهما ، ولكنه رضا مشوب بالحذر والترقب[٢٤] .

وتمكن أخيرا من الاجهاز عليهما والتخلص من شرورهما ، غير ان الامر لم ينته بانتهائهما ، اذ ان موجة العنف لهذا العنصر كانت طاغية عاتية لا تقف امامها اية قوة ، ولهذا فما كاد الاتراك يرون اقدام الخليفة على التنكيل برؤسائهم حتى تألبوا ضده واتخذوا من صالح بن وصيف زوج ابنة بغا القتيل زعيما لهم ، فتصدى للمعتز وما زال به حتى قضى عليه في سنة ٢٥٥هـ[٢٥] .

وقد استفحل في خلافة المعتز امر الخارجين على الخلافة منذ عصر المستعين ، استفحل امر الكوكبي بقزوين[٢٦] وعظم ضغط ابن ابي دلف في

(٢٣) ٢٤١ .

(٢٤) الطبري ٩/٣٨٠ ، والكامل في التاريخ (١٨٧/٧) .

(٢٥) انظر الطبري ٩/٣٨٩–٣٩٠ ، والمروج ٤/٨١ ، فوات الوفيات ٢/٣٧٤ ، محاضرة الابرار (١٣/١) من الجدير بالذكر ان الاستاذ سيد الاهل يقول في كتابه عبدالله بن المعتز (١٥–١٦) (ثم شهدت صبيحة (كذا) على بساط سامراء وبين جدران قصورها الشوامخ نكبة اولاد المتوكل واحدا في اثر واحد : المنتصر والمستعين وابى احمد وابراهيم ...) ، المعروف ان المستعين لم يكن من ابناء المتوكل وانما هو ابن المعتصم واخو المتوكل ، والمعروف ايضا ان ابا احمد وهو الموفق لم يقتل وانما مات حتف انفه .

(٢٦) انظر الطبري ٩/٣٤٦ ، ٣٧٢ ، ٣٧٨ ، وتاريخ اليعقوبي (٣/٣٣٢–٣٣٣) والمروج (٦٩/٤) .

(الكرج)[٢٧] ، وزادت وطأة يعقوب بن الليث الصفار على المشرق[٢٨] واستشرى خطر مساور ابن عبدالحميد الشاري بديار ربيعة في ناحية الموصل الذي أخذ يتقدم نحو العاصمة سامراء حتى نزل على مسافة ثلاثة فراسخ من قصور الخليفة[٢٩] والحق ان المعتز قد جرد كبار القادة من الاتراك ايضا لكسر شوكة اولئك الخارجين والحد من تقدمهم واعتداءاتهم[٣٠] ٠

وأخذ قادة الاتراك بعد مقتل المعتز يتلفتون الى من يرشحون للخلافة فوقع اختيارهم على محمد بن الواثق الذي لقب بعد استخلافه بالمهتدي وكان مقيما في بغداد من قبل المعتز وذلك سنة ٢٥٥ هـ ٠

لقد جهد المهتدي ان يأخذ الناس بسيرة صارمة قوامها الدين والتقوى والورع والزهد ، فأمر باخراج القيان والمغنين والمغنيات من سامراء ، كما امر بقتل السباع التي كانت في دار السلطان، وابطل الملاهي وكسر آلاتها وآلات اللعب والهزل[٣١] ، وكان يجلس للمظالم بنفسه ، وينظر فيما يرفعه اليه الناس من الخاص والعام ، وبنى لذلك قبة لها اربعة أبواب سماها قبة المظالم[٣٢] ، وكان يشرف بنفسه ايضا على أمر الدواوين ويشدد في ذلك ، وقد تتبع قادة الاتراك وحاول الايقاع بهم عن طريق القتل والابعاد الى تخوم الدولة بحجة الذود عنها وحمايتها من الخصوم والخارجين على الخلافة ٠

(٢٧) الطبري (٣٧٣/٩) ٠
(٢٨) انظر تاريخ اليعقوبي (٢٢٧/٣) والطبري (٢٥٥/٩ ، ٣٨٢–٣٨٦) ٠
(٢٩) انظر تاريخ اليعقوبي (٢٣٢/٣) ، والطبري (٣٧٤/٩–٥٧٥ ، ٣٧٨ ، ٣٨) ٠
(٣٠) يحسن الرجوع الى الفصل الثالث من (كتاب البحتري في سامراء بعد عصر المتوكل) ٠
(٣١) الطبري ٤٠٦/٩ ، تاريخ الخلفاء ٣٦٢ ، الفخري ٢٤٦ ٠
(٣٢) انظر : مروج الذهب (٩٦/٤) ، والحضارة الاسلامية ٤١٣/١ ٠

ان عمل المهتدي هذا لم يجد له صدى ملائما في ذلك العهد الذي كانت الامور فيه آخذة بالتدهور والانحطاط ، وبخاصة من قبل الاتراك وقادتهم ، الامر الذي أحدث اضطرابا وفتنا في العاصمة ، وقد انحـــازت العامة الى الخليفة وأيدته ونصرته بألسنتها ورقاعها التي كتبتها وألقتها في المسجد الجامع والطرقات ، ولكـــن كل ذلك لم يقف امام اتي الاتراك الهادر الذي اتى علـــى الخليفة وأجتثه من عرشه ، ولما يمر حول على استخلافه ٠

ان عهد المهتدي لم يخل من الاضطرابات في اجزاء من الدولة كالشام والعريش وفلسطين ، كما ا نالخارجين في عهد المستعين والمعتز امتد خطرهم الى عصره ايضا[٣٣] ٠

وجاء الاتراك بعد مصرع المهتدي بأحد أبناء المتوكل ولقبوه المعتمـــد وذلك في سنة ٢٥٦ هـ فانغمس بالملذات وعكف على الملاهي وفوض الامور الى أخيه الموفق الذي أبدى من الكفاءة والشجاعة ما جعلـه اهلا لما نـدب اليه فأحبه الناس ، وبغضوا أخاه الخليفة ، فطمع هذا بالامر واستبد به وغلب على المملكة ، وما زال يضيق على اخيه حتى كاد يسلبه سلطانه ، ثم أحدره الـى واسط ووكل به بفم الصلح ٠ وحاول المعتمد استرداد سلطانه ولكنه لم يفلح فعزم في سنة ٢٦٩ هـ على الهروب الى مصر ، غير انـه أعيـد الى العاصمـة سامراء قبل ان يصل الى مبتغاه[٣٤] ٠

ان مدة حكم المعتمد أربت على ثلاث وعشرين سنة ، وهي حقبة طويلة لم تتهيأ لخليفة غيره في سامراء ، وقد تعرضت الخلافة في خلالها الى هزات عنيفة في الداخل والخارج ، وان من يتصفح كتب التاريخ التي تعنى بتسلسل

---

(٣٣) انظر : الطبري ٤٥٢/٩ ، ٤٥٥ ، ٤٥٦ ٠ وانظر الفصل الرابع مـن كتاب البحتري في سامراء بعد عصر المتوكل ٠

(٣٤) انظر : المروج (١٢٣/٤) ، والتنبيه واشراف ٣١٨-٣١٩ والديارات (١٠١) والطبري (٦٢٠/٩-٦٢١) ٠

الحوادث ليرى زحمتها في هذه الحقبه حتى ليمكن القول بان تلك الهزات كانت الامارات الاولى لظهور الدويلات التي انسلخت من الخلافة فيما بعد .

وعلى الرغم من كثرة الفتن والاضطرابات الداخلية فان استمرار استشراء امر مساور الشاري بديار ربيعة والصفار في المشرق ، وثورة الزنج في البصرة من أهم ما انتاب الخلافة من هزات .

ونشط الموفق وقواده في التصدي لهذه الاضطرابات فاستطاع ان يفل جموعها ويقضي على رؤسائها وبخاصة ثورة الزنج التي استمرت اكثر من اربع عشرة سنة ، وكان القضاء عليها يوما مشهودا في تاريخ الخلافة ، وذلك في سنة ٢٧٠ هـ .

وبقيت سامراء عاصمة للخلافة العباسية حتى سنة ٢٧٨ هـ حيث انتقل الخليفة الى بغداد ، واتخذها عاصمة له[٣٥] .

وخلف المعتمد المعتضد وكان شجاعا مقداما محنكا فيه قسوة وغلظة على مناوئيه ، ومع هذا فعهده لم يخل من الفتن والثورات فخرج عليه آل ابي دلف[٣٦] ، وهارون الشاري[٣٧] ، وبنو شيبان[٣٨] ، والاعراب[٣٩] ورافع ابن هرثمة[٤٠] ، وآل الشيخ[٤١] ، وابن الليث[٤٢] ، والقرامطة[٤٣] ، ولكنه تمكن ان يخمد الكثير من تلك الفتن والثورات ويقضي على اصحابها .

---

(٣٥) انظر : كتاب البلدان لليعقوبي ص ٣٣ ، والكامل في التاريخ ٧٣/٢ . وبلدان الخلافة الشرقية ص ٧٩ .

(٣٦) الطبري ٤٦/١٠ ، ٤٩ ، ٦٧-٦٨ .

(٣٧) نفسه ٤٣/١٠-٤٤ .

(٣٨) نفسه (٣٣/١٠) .

(٣٩) المصدر نفسه ٣٧/١٠-٣٨ ، ٦٧ ، ٧١-٧٢ ، ٧٤ .

(٤٠) المصدر نفسه ٤٩/١٠ - ٥٠ .

(٤١) المصدر نفسه ٦٨/١٠ .

(٤٢) المصدر نفسه ٨٣/١٠ .

(٤٣) المصدر نفسه ٢٣/١٠ وما بعدها .

وتنتهي حياة الخليفة في سنة ٢٨٩هـ ويعقبه ابنه المكتفي ، وفي عهـده زادت ثورة القرامطة وامتدت الى الشام والبحرين واصبحت تهدد الخلافة فندب لها المكتفي قواده وجيوشه وما زال بها وبثوارها حتى اخمدها ومثل برجالها • وجاء الكثير من تلك الحوادث في شعر ابن المعتز • على ان الخليفة كان معلولا فقضى في سنة ٢٩٥ هـ • وكان قبيل وفاته قد عهد لاخيه المقتدر من بعده الذي لم يتجاوز الثالثة عشرة من عمره بعد ، مما حمل الكثيرين على استنكار ذلك وتفضيل ترشيح ابن المعتز للخلافة ، مما سنذكره فيما بعد •

وبحكم المقتدر يبدأ تدهور ثان للخلافة وظهور تحكم النساء والاتراك من جديـد •

اشتهر هذا العصر بكثرة العمران فما كاد المعتصم يختار عاصمة جديدة له حتى احضر المهندسين والعمال والفعلة واصحاب الفنون من انحاء الدولة وطلب اليهم انجاز ما أراده فاسرع هؤلاء وجدوا في العمـل حتى قامت العاصمـة الجديدة مزدهرة بالعمائر الفخمة والمباني الضخمة ، وابتنى له فيما ابتنى أربعة قصور كان اعظمها الجوسق ، ثم ابتنى ابنه الواثق القصر الهاروني وكـان فخما مشهورا ، وأعقبه المتوكل وكان شغوفا بالعمارة واقتناء القصور فشيد اربعة وعشرين قصرا وبذل في سبيلها اموالا طائلة وجهدا مضنيا ، منهـا قصر البرج الذي وصفه الشابشتي بقوله : (وكان البرج من أحسن أبنيته فجعل فيه صورا عظاما من الذهب والفضة ، وبركة عظيمة جعل فرشها ظاهرها وباطنها صفائح الفضة والذهب ، وجعل عليها شجرة ذهب ، فيها كل طائـر يصوت ويصفر ، مكللة بالجوهر سماها طوبى (بمعنى الغبطة والسرور) وعمل له سرير من الذهب كبير ، عليه صورتا سبعين عظيمين ، ودرج عليها صور السباع والنسور وغير ذلك على ما يوصف به سرير سليمان بن داود عليهما

السلام ، وجعل حيطان القصر من داخل وخارج ملبسه بالفسيفساء والرخام المذهب)[٤٤] .

وشيد المعتز بن المتوكل قصري الكامل والساج وكانت جدران الاول مصنوعة من الزجاج وسقوفه مطلية بالذهب ، وأرضه مبلطة بالرخام كما يصفه البحتري وابن المعتز .

وعمر المعتمد له قصر المشوق والاحمدي والمعشوق الذي ما تزال آثاره شاخصة في الجانب الغربي من سامراء الى اليوم[٤٥] .

وبنى المعتضد في بغداد الثريا وهي أبنية طولها ثلاثة فراسخ وعمل بينها سردابا تمشي فيه حظاياه من القصر الحسني[٤٦] كما بنى التاج ولكنه مات قبل اكماله فأتمه ابنه المكتفي[٤٧] .

واشار ابن المعتز في مزدوجته التاريخية الى القبة العلياء والاترجة والزبيديات والتي نعتها بانها أبنية فيها جنان الخلد[٤٨] كما أشار الى الشجرة

---

(٤٤) الديارات ص ٩٠١ ، وانظر سامرا في أدب القرن الثالث الهجري (الفهارس) .

(٤٥) انظر سامراء في أدب القرن الثالث الهجري (الفهارس) .

(٤٦) معجم البلدان (٣/)

(٤٧) المصدر نفسه (٢/٧٧) .

(٤٨) انظر الديوان (١/٥٦٠–٥٦١) جاء في سامراء يوم وليلة للاستاذ سيد الاهل (ص١٢) في الكلام على قصور سامراء ما نصه : (وهناك في مطلع الشمس (المعشوق والثريا) وهناك في مغربها (الاترجة) و (القبة) و (الرباب (وهكذا عنى الخلفاء بسرمرا واحدا بعد واحد حتى أصبحت مدينة القصور) . وواضح ان في هذا الكلام تخليطا ، فالمعشوق يقع في مغرب الشمس لافي مطلعها (انظر كتاب البلدان لليعقوبي ص ٣٢) وسامراء أدب القرن الثالث الهجري (٢٧٩) ، والثريا والاترجة والقبة من أبنية المعتضد وهي في بغداد لافي سامراء ، أما الرباب فأكبر الظن انه لا يوجد قصر بهذا الاسم ، وانما هو تحريف (للثريا) .

التي جاء نعتها في تاريخ بغداد في معرض الكلام على استقبال المقتدر بن المعتضد لوفد الروم[49] .

ولم تكن القصور وقفا على الخلفاء بل شاركهم في ذلك الامراء والوزراء وكبار رجال الدولة ، ومن اشهر تلك القصور قصر الفتح بن خاقان ، وقصر اشناس في سامراء ، ودار ابن طاهر وسليمان بن وهب وابن الفرات في بغداد، وكان يقام في تلك القصور حفلات الخلفاء في مناسبات مختلفة ، ويبذل فيها من الاموال ما يدل على البذخ والاسراف مما لا يكاد يصدقه العقل . ولعل أقصى ما وصله الاسراف والبذخ ما أنفقه المتوكل على اعذار ابنه المعتز في الحفلة التي اقامها في قصره بلكوارا في سامراء والتي جاء وصفها في كتاب الديارات[50] .

وكان يلحق بهذه القصور في الغالب البرك ، كما كان لبعضها مقصورات خاصة بحرم الخليفة وجواريه ، وتفننوا في تزيين هذه البرك بالصور البديعة والتماثيل الجميلة ... ولم يكتفوا بنوع واحد من البرك .. بل حاول بعضهم ان يتخذ له بركة مسقوفة ، واخرى مكشوفة[51] .

وانتشـرت الجواري منذ ابتداء العصر العبـاسي انتشـارا واسـعا وازدحمت بهن اسواق النخاسين وقصور الخلفاء والامراء وأصحاب الثراء ، وكن من اجناس مختلفة : كالفارسيات ، والروميات ، والتركيات ، والصقلبيات، والحبشيات ، فمال اليهن الخلفاء والرؤساء وسائر الناس ، ومن أجل هـذا نرى الكثير من الخلفاء قد اقترنوا بهؤلاء الجواري فأصبحن امهات الخلفاء

(49) انظر الديوان ص ، 1/561 .

(50) انظر الديارات ، 150–156 ، والبحتري في سامراء حتى نهاية عصر المتوكل (161–164) .

(51) انظر : رى سامراء 27/1 ، 70–72 ، 280 والديارات 121 وسامراء في أدب القرن الثالث الهجري 289 ، والبحتري في سامراء حتى نهاية عصر المتوكل (247–255) .

وأولياء العهود والامراء ، وكـان كثـيرات منهن قد تأدبن وتعاطين نظـم القريض[٥٢] .

واحتفل هذا العصر بالغناء احتفالا كبيرا ، وظهـرت فيه مدرسـتان احداهما تتقيد بالقديم ويرأسها اسحاق الموصلي ، وثانيتهما تنزع الى الجديد ويتزعمها ابراهيم بن المهدي ، وقد شايع كلا من المدرستين عدد كبير من المغنين والمغنيات . كما انقسم الناس الى فئتين : فئة تشايع اسحاق ، واخرى تناصر ابراهيم ، وقد دون في هذا العصر الكثير من الكتب في الغناء ، وسرى حب الغناء الى الخلفاء والامراء ، فكـان الكثير منهم يحسنه وله فيـه اصـوات مشهورة ، كالواثق والمنتصر والمعتز والمعتمد والمعتضد وابن المعتز وابن طاهر وغيرهم ، وبرز من المغنين : علوية وعمرو بن بانة ومخارق وعبدالله بن العباس الربيعي ومحمد بن الحارث بن بسخنر والمسدود واحمد بن صدقة وعبدالله ابن ابي العلاء وابنه احمد ... ومن المغنيات : عريب وشارية وبدعة وقلـم الصالحية ومتيم الهاشمية وفريدة[٥٣] .

ويبدو ا ن الكثير من اولئك المغنين والمغنيات قد قضوا او شاخوا في الربع الاخير من القرن الثالث الهجري .

ومما انتشـر في هـذا العصر وهو امتـداد للعصـر له ــ احتسـاء الخمور والانبذة والتردد على الحانات والاديرة التي كانت مبثوثة في ضواحي بغداد وسامراء ، وكانت تلك الاديرة ببساتينها الفسيحة ورياضها الزاهـرة

---

(٥٢) انظر : لاغاني ١٩/١٣٢ــ١٣٤ ، ٢١/١٦١ ، وفوات الوفيات ٢/٢٥٣، ٢٥٥ . والعصر العباسي الثاني للدكتور شوقي ضيف (٨٠ــ٨٥) وسامراء في أدب القرن الثالث الهجري (١٨٢ــ١٨٥) .

(٥٣) انظر الاغاني ٥/٥٦ . ٨٨ ، ٨٩ــ٩٢ . ١٠٠/١١٦ــ١١٧ . ١٢٠ . ١٤/١٠٩ . ١١٦ . ١٧/١٢٢ . ١٤٠ ، ٢١/١٦٤ . والديارات ٧١ ، ٩٩ ، ونهايـة الارب ٤/٢٠٠ــ٢٢٦ ، والنجوم الزاهرة ٢/٢٦٠ . وسـامراء في أدب القرن الثالث الهجري (١٨٥ــ١٩٧) ، والعصر العباسي الثاني (٨٥ــ٨٦). وتاريخ الموسيقى العربية (١٦٧) .

وحاناتها النظيفة وسقاتها اللطاف مجتمع اهل البطالات ومرتاد ذوي اللهو والطرب حتى لنرى بعض الخلفاء كالمعتز يتردد على بعض منها بل نرى ان الواثق قد اتخذ له حانتين احداهما في دار الحرم والاخرى على الشط ، واختار لادارتها خمارين خاصين يجمعون بين الشهرة واللطافة والكياسة والظرافة ، وكثيرا ما كان الشعراء والادباء يختلفون الى تلك الحانات والاديرة فيلقون من اصحابها مداراة واحتفاء واعتناء . وقد وصفوا لنا الكثير من تلك الاديرة والحانات وبخاصة ابن المعتز .

ومن اشهر الاديرة في سامراء في تلك الحقبة : دير عبدون اخي صاعد ابن مخلد في المطيرة احدى ضواحي سامراء ، ودير مرماري ودير السوسي الواقع في القادسية ودير السوسن ودير عمر نصر ودير فثيون[٥٤] .

وكثيرا ما كانوا يتخذون من الاعياد مناسبات للهو والمجون وطلب اللذات وهي اعياد كثيرة للمسلمين والمسيحيين والفرس ، ومن أشهرها عيد الفطر والاضحى للمسلمين والنيروز والمهرجان للفرس وعيد الميلاد والشعانين والفصح واشموني للمسيحيين وقد وصف الشعراء كثيراً مما كانوا يلقونه في هذه الاعياد من المتعة واللذة والانبساط[٥٥] .

وكان الصيد من وسائل الترفيه لدى الخلفاء ، فكانوا يتخذون لذلك سفينة كبيرة تدعى الزو يهيأ فيها ما يحتاجه الخليفة وحاشيته من مجالس اللهو والشرب والطرب ، وكثيرا ما كانوا يقصدون القاطول أحد ضواحي سامراء حيث انواع الطيور كالأوز والدراج وطير الماء وغيرها، فيطلقون البزاة والجوارح لاصطياد ما يبغون . وقد وصف لنا الحسين بن الضحاك حفلة من حفلات

---

(٥٤) انظر : الديارات ٩٦ ، ١٠٤ . ومعجم البلدان ٢/٥٣٦ ، ٥١٨ ، ٣/٩٧–٩٨ . ومعجم الادباء ٣/٩٥–٩٦ والحضارة الاسلامية ٢/٢٧٦ والحان الحان لعبدالرحمن صدقي (٣٠–٣١) وسامراء في ادب القرن الثالث الهجري (٢١٦–٢٢١) .

(٥٥) انظر الديارات في مواطن مختلفة والعصر العباسي الثاني (٩٥–٩٦) .

صيد الواثق[٥٦] كما وصف البحتري احدى حفلات صيد المتوكل[٥٧] . وكان المعتضد ولوعا بالصيد كما كان ابنه المكتفي ايضا ، وكان اكثر صيده بالفهد والعقاب[٥٨] .

واستمرت الحركة العلمية والادبية التي بدأت منذ قيام الدولة العباسية قوية في هذا العصر ، وأقبل رجال الدولة ورجال الفكر على اقتناء الكتب وانشاء المكتبات ، من ذلك مكتبة الفتح بن خاقان وزير المتوكل التي جمعها له علي بن يحيى المنجم ، وذكرها ابن النديم وياقوت[٥٩] ، ومكتبة علي ابن يحيى المنجم المتوفى سنة ٢٧٥هـ ، وكانت تسمى خزانة الحكمة وكان الناس يقصدونها ، وكان هو يتعهد الانفاق عليهم من ماله الخاص[٦٠] ، وهناك مكتبات اخرى للعلماء والادباء[٦١] . ولا شك في انها كانت ذات اثر بعيد في دفع الحركة العلمية والفكرية وامدادها بمعين لا ينضب .

كما كانت المناظرات في مختلف المجالات عاملا آخر من عوامل تطور الحركة العلمية والادبية في هذا القرن[٦٢] .

كما ان حركة الترجمة قد مضت هي الاخرى قوية مهذبة وتخلصت من الالتواءات والعثرات والحرفية التي كانت عليها قبل هذا العصر[٦٣] .

---

(٥٦) انظر : الاغاني (١٧١/٦) ، وسامراء في أدب القرن الثالث الهجري (٣٣١-٣٣٢) .

(٥٧) انظر : ديوان البحتري (١٦/١) ، وسامراء في أدب القرن الثالث الهجري (٣٣٣) .

(٥٨) انظر : المصايد والمطارد (٦-٧) .

(٥٩) انظر : الفهرست ٢١١ ، ومعجم الادباء (١٧٤/١٦) .

(٦٠) انظر : معجم الادباء (١٥٧/١٥) .

(٦١) انظر : العصر العباسى الثاني (١٢٤-١٢٥) .

(٦٢) انظر : الاغاني (١٧٣/٣ ، ١٨٠/٦-١٨١) ومروج الذهب ٧٧/٤ ، ٨٤، ١٩٠-٩١٢ والفهرست ١١٤-١١٥ ، ومعجم الادباء ١٣٠/٧-١٣٢ ، وتاريخ الخلفاء ٣٤٥ ، وسامراء في ادب القرن الثالث الهجري ١٩٧-٢٠٨

(٦٣) انظر : العصر العباسى الثاني (١٣١) .

وانحسرت في هذا العصر موجة الاعتزال التي طغت في عهد المأمـون والمعتصم والواثق والتي حاولت السلطة فرضها على الناس فرضا حتى سماها الكثيرون بالمحنة ، فما كاد يستخلف المتوكل حتى ابطل القول بالاعتزال وعضد السنة[٦٤] .

ويبدو انه على الرغم من افساح الخلفاء المجال للترجمة في مختلـف فروع المعرفة وعضدهم لها فانهم كانوا يتحفظون ويحترزون من انتشار الكتب الفلسفية وبخاصة بين اوساط الناس ، ولعل هذا ما دفع المعتمد والمعتضـد الى ان يأمرا بالنداء بمدينة السلام ، ألا يقعد على الطريق ولا في مسجد الجامع قاص ولا صاحب نجوم ولا زاجر ، وحلف الوراقون الا يبيعوا كتب الكلام والجدل والفلسفة[٦٥] .

لقد نشطت في هذا العصر حركة التأليف الى جانب حركة الترجمة وشملت نواحي المعرفة المختلفة ، فألفت الكتب في علوم اللغة والنحو والنقد والتاريخ ، كما جمعت دووابن كثيرة من الشعراء القدامى والمحدثين ، وان نظرة عجلى في كتاب الفهرست لابن النديم لتكشف لنا عن مدى ما بلغته هذه الحركة مـن النمو والانتشار ، وكان ابن المعتـز من جملة من شـارك في هذه الحركة أيضا[٦٦] .

---

(٦٤) انظر : تاريخ اليعقوبي ٣/٢١٧ ، والطبري ٩/١٩٠ ، ومروج الذهـب ٣/٤ - ٨٦ ، ٣١٩ .

(٦٥) انظر : تاريخ الطبري حوادث (٢٧٩) وحوادث (٢٨٤) والجدير بالذكـر ان الزركلي روى في الاعلام (١/١٩٥) وفي ترجمة السرخسي معلم المعتضد ونديمه وكان فيلسوف قتله المعتضد سنة ٢٨٦هـ (ان ابن حمدون نادم المعتضد بعد ابن السرخسي فسأله المعتضد يوما هل يعتب الناس علـى شيئا واقسم عليه ان يصدقه ، فتكلم عبدالله فكان في كلامه : انك قتلت احمد بن الطيب وكان خادمك ولم تكن له جناية ظاهرة فقال : ويحـك انه دعاني الى الالحاد فقلت له : يا هذا انا ابن عم صاحب هذه الشريعة وانا الان منتصب منصبه فالحد حتى اكون من ؟) . فهل يحتمل ان يكون هذا من أسباب منع المعتضد الخوض في مسائل الفلسفة وبيع كتبها ؟ علما بان منعه كان في سنة ٢٨٤هـ كما ذكرنا .

(٦٦) أنظر : الفصل الثالث من كتاب (العصر العباسي الثاني) للدكتور شوقي ضيف .

وتأثر الشعر في هذا العصر بما ترجم من حضارات الامم وبخاصة الفلسفة اليونانية ، وأقبل غير واحد من الشعراء يلقح ذهنه وينمي أفكاره بها ، ولعل خير مـن يمثل هذا الجانب شاعران عاش أولهما في مطلع هذا القرن (أي الثالث الهجري) وهو ابو تمام ، وعاش الثاني في نهايته وهو ابن الرومي • على ان الكثير من الشعراء الاخرين قد تأثروا بها ، وان لم يكونوا كالشاعرين السابقين •

لقد كان هذا التأثير في مجالات الشعر المختلفة ، في المعاني والاخيلة والصور والالفاظ • وحقا ان هذا التأثير قد بدأ في الشعر منذ قيام الدولة العباسية ، ولكنه ظهر واضحا في هذا العصر •

والحق أيضا ان بعضهم قد بالغ في هذا التأثر حتى كاد شعره يستغلق على خاصة الشعراء بلهسواهم[٦٧] ، وكثير من شعر ابي تمام ينحو هذا المنحى كما ان بعضهم قد اطال في معانيه او اتخمها بالحجج المنطقية مما دعا شاعرا كالبحتري الذي لم يأخذ نفسه من هذه الفلسفة الا بقدر ان يجيبه قائلا :

كلفتمـونا حـدودَ منطقكـم	في الشعر يغني عن صـدقه كذبـه
ولم يكـن ذو القـروح يلهـجُ بالـ	ـمنطـق ما نوعـهُ وما سـببُه
والشـعر لمح تكفـي اشارتُـهُ	وليس بالهذر طولّت خُطَبُـه[٦٨]

وعلى الرغم من تأثر الشعراء بما ترجم من حضارات الامم المختلفة واقتباسهم منها ، فان الطابع العربي بقى مسـيطرا على صياغاتهم وأسـاليبهم عموما •

---

(٦٧) للوقوف على هذا يحسن الرجوع الى : أخبار البحتري (٧٢) • والموازنة للامدي ١/٦/٢٥ • والموشح للمرزباني ٤٨٠ • ٤٩٨ • ٤٩٩ • الصناعتين ٤٦ • والعمدة ٢/٢٦٦ • وسامراء في أدب القرن الثالث الهجري (١٠٩)•

(٦٨) ديوان البحتري (١/٢٠٨) •

الفصل الاول

نشأة ابن المعتز

اسمه وكنيته ومولده :

هو عبدالله بن المعتز بن المتوكل بن المعتصم بن هرون الرشيد بن المهدي ابن المنصور بن محمد بن علي بن عبدالله بن العباس بن عبدالمطلب الهاشمي[1] .

كنيته ابو العباس ، ولكن أهي كنية حقيقية جاءته من ولد له بهذا الاسم ام انها غير حقيقية على عادة العرب في تكنية اطفالهم عند الولادة ؟ لم تشر المصادر القديمة التي ترجمت له الى ذلك ، ولكن بعض الباحثين المحدثين أشار الى انها كنية حقيقية قال : (وكان ابن المعتز يكنى بابي العباس باسم اول ولد له ، ولعله ابنه هذا كان من زوجته ابنة بسطام ، وليس لدينا شيء عن العباس ابنه ولا متى ولد وكيف عاش ، ومن (الثابت) انه ولد له قبل (٢٧٤هـ) الذي ألف فيه كتاب البديع والذي يلقب ابن المعتز نفسه فيه بأبي العباس)[2] .

غير ان باحثا آخر تشكك فيها فقال : (على اننا لا ندري أأنجب منها (أي زوجته) ولدا سماه العباس ــ وهو يلقب بأبي العباس في الكتب ــ أم ان ذلك جاء حملا عليه)[3] .

---

(١) وفيات الاعيان ، ٢/٢٦٣ .

(٢) ابن المعتز وتراثه في الادب والنقد والبيان (٨٦) للاستاذ /عبدالمنعم خفاجي .

(٣) ابن المعتز العباسي (٣٧) للدكتور احمد كمال زكي .

واكبر الظن انها كنية غير حقيقية ، وانه كنى بها وهو طفل على العادة الجارية في ذلك الوقت فقد اعتاد العرب تكنية ابنائهم تفاؤلا ليعيشوا كما يقول ابن رشيق[٤] . كما اعتاد الخلفاء ذلك ايضا فالمعتز ابو الشاعر تكنى بأبي عبدالله وهو طفل ، جاء في الديارات في معرض الكلام على حفلة اعذار المعتز (وكانت قبيحة (أم المعتز) قد تقدمت بان تضرب دراهم ، عليها (بركة من الله لاعذار أبي عبدالله المعتز بالله)[٥] . وجاء في كتاب (ابن المعتز العباسي وفي معرض الحديث عن دعوة المعتضد لابن المعتز حضور حفل ولادة ابنه المقتدر : (خذ مكانك يا أبا العباس مع امراء بيتنا ، فقد من الله علينا بابن ثان سميته (أبا الفضل) جعفرا ونريد ان نحتفل به)[٦] .

وقد نفى ابن حزم ان يكون لعبدالله ولد قال : (وكان حصورا لم يقرب امرأة قط ، ولم يكن له ولد قط)[٧] . وقال ابو الفرج الاصفهاني : (ألا ترى الى ابن المعتز قد قتل اسوأ قتلة ، ودرج فلم يبق له خلف يقرظه ولا عقب يرفع منه)[٨] ، وقال الصولي في موته : (ودفن في داره فلما صلح امر أخيه حمزة ابن المعتز وأقطع ما كان لاخيه نبشه وحوله من الدار)[٩] . وقال ابن المعتز :

سكنتك يا دنيا برغمي مكرَّهاً	وما كان لي في ذاك صُنعٌ ولا أمرُ
وجرَّبتُ حتى قد قتلتك خبرةً	فأنتِ وعاء حشوهُ الهَمُّ والوزرُ
فإنْ أرتحلْ يوماً أدْعك ذميمةً	ومافيكِ منعودِ يُغراس ولابَذرُ[١٠]

---

(٤) العمدة (١/٣١٣) وجاء فيه (ومن الكناية اشتقاق الكنية ، لانك تكني عن الرجل بالابوة فتقول : ابو فلان باسم ابنه ، أو ما تعورف في مثله ، او ما اختار لنفسه ، تعظيما له وتفخيما ، وتقول ذلك للصبي على جهة التفاؤل بأن يعيش ويكون له ولد) .

(٥) ص ١٥٦ وانظر البحتري في سامراء حتى نهاية عصر المتوكل (١٦٤–١٦٥)

(٦) ص ٩٦ .

(٧) جمهرة انساب العرب (٢٨) .

(٨) الاغاني (١٠/٢٧٥) (دار الكتب) .

(٩) الاوراق قسم اخبار المقتدر (٢٨و) .

(١٠) الديوان (٣/١٧٢) .

وواضح من قول أبي الفرج ان الشاعر لم يترك عقبا له في هذه الدنيا بعد موته ، ولا خلفا ، ويؤيد هذا قول الصولي اذ لو كان له ولد لورث اقطاع ابيه ؟ أما قول ابن المعتز فيبين انه لم يكن له في الدنيا قبل موته شيء من ولد او غيره وحتى لو فرضنا انه رزق ولدا بهذا الاسم وتوفى في حياته ، اما كان له ان يرثيه ولو بمقطوعة واحدة ؟ في حين قد رثى اناسا آخرين اكثر من مرة بقصيده ومقطعاته ؟

وحين دافع عنه الثعالبي حين رمى بالعُنَّة لكثرة دورانها في اوصافه اشار الى مكان ابنه عبدالواحد ولم يشر الى العباس هذا[11] مع انه اولى من أخيه .

ومن المحتمل ان يكون قد كني منذ طفولته بهذه الكنية ، وبقيت ملازمة له وان لم يكن له ولد بهذا الاسم[12] .

---

(١١) انظر : خاص الخاص (١٣٢) .

(١٢) من الطريف ان الاستاذ خفاجي عند كلامه على طفولة ابن المعتز يشير الى قول البحتري فيه :

(أبا عيسى) برزت على قومـ   ـك آدابا ، واخلاقا ، وتبريزا
ولم يعنـك الا كرم النفس بـ   ـنى فازددت (بالمعتز) تعزيزا
فاما حلبة الشعر فتستوى   على السبق بها فرضا وتمييزا
باحكام مبانيه وابداع معانيه   ولا يوجد مغموزا
وان (جنست) لم تستكره القول   وان (طابقته) طرزت تطريزا
فاما دافعوا فضلك بالظلم   فجوزنا عليهم ذاك تجويزا

ثم يعقب عليه بقوله : (وهكذا قضى ابن المعتز عهدا قصيرا حافلا باسباب العظمة والمجد والامن والنعمة في ظلال والده الخليفة بسامراء) (ابن المعتز وتراثه في الادب (٧٣) . ويشايع هذا الرأي الدكتور شوقي ضيف ويرى ان ذلك مبالغة على عادة الشعراء (العصر العباسي الثاني ٣٢٥-٣٢٦) .

ولد ابن المعتز في سامراء ، في أحد قصور جده المتوكل على الاكثر ، في سنة لم يتفق عليها ، وقد تجمعت لدينا في ذلك عدة آراء :

وواضح من كلام الاستاذ خفاجي والدكتور ضيف ان البحتري كنى عبدالله بأبي العباس وهو طفل لم يتزوج بعد ، وكان الاستاذ خفاجي لم يفطن الى هذا حين تكلم على كنيه الشاعر فيما بعد (انظر : ابن المعتز وتراثه في الادب ٨٣) . هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فاننا نستبعد ان تكون هذه الابيات قد قيلت في ابن المعتز وهو وما زال طفلا في رعاية ابيه وان الشاعر قد بالغ فيها على عادة الشعراء ، فهي تشير بوضوح الى ان ابن المعتز قد استوى شاعرا في احكام المباني وابداع المعاني بل وأصبح معروفا باتجاهه البديعي من تجنيس وتطبيق ، وانه قد تعرض الى النقد في شعره أو فضله هذا لا وصحيح ان الشعراء قد يبالغون في اسباغ الصفات على الممدوحين ولكن من النادر جدا ان نجد شاعرا تورط فنسب الى ممدوحه من الاطفال خاصة تعاطى القريض والاحسان فيه ، بل اننا لا نرى في شعر البحتري نفسه هذا الاتجاه على الرغم من انه مدح ابن المعتز اكثر من مرة في عهد ابيه المعتز (انظر ديوان البحتري ١/١٠٨ ، ١١١ ، ٢/٦٧٠–٦٧٣ ، ١٠٠٤–١٠٠٧ ، ١٠٧٤–١٠٧٦ ، ٣/١٩٣٢–١٩٣٥) وانظر الفصل الخاص بالمعتز في كتاب (البحتري في سامراء بعد عصر المتوكل) .

فهذه لابيات اذاً قد قيلت في الشاعر بعد ان عرف شعره وتداوله الناس ، ونحن نعرف ان البحتري لم يمدح ابن المعتز في حياة أبيه الا من خلال مدحه المعتز ، فهو لم يخصه بمدحه مستقلة كما خصه في هذه. ويبدو ان الذي اوقع الدارسين في انها قيلت في الشاعر في غضون طفولته قول البحتري : (فازددت بالمعتز تعزيزا) . والحق ان البحتري قد لقى من المعتز ومن ابيه المتوكل قبله من التجلة والاكرام والحفاوة مالم يلقه شاعر اخر في عهده ، فاندفع يطريهما ويشيد باعمالهما وصفاتهما ، وكثيرا ما كان يتذكر المتوكل وعهده بعد مصرعه من قبل الاتراك ، ولعل اشارته الى المعتز في هذا الشطر هو صدى لتلك الصلة القوية بينه وبين والد الشاعر . (انظر : البحتري في سامراء حتى نهاية عصر المتوكل والبحتري في سامراء بعد عصر المتوكل) .

ويظهر ان ناشر ديوان البحتري قد فطن الى ان الابيات قد نظمت في ابن المعتز بعد ان اصبح متمكنا من الشعر فجعل تأريخها في سنة ٢٦٥هـ وهذا يعنى ان عبدالله كان في التاسعة عشرة من عمره وهو عمر مناسب لاشارات البحتري الانفة .

١ ــ تشير بعض المصادر الى انه ولد في شعبان سنة ٢٤٧هـ[١٣] .

٢ ــ تشير أخرى الى انه ولد في سنة ٢٤٩هـ[١٤] .

٣ ــ وهناك رواية عن سنان بن ثابت تقول انه ولد في سنة ٢٤٦هـ[١٥] ويعضد هذه الرواية قول ابن المعتز من قصيدة يمدح بها المعتضد ويذكر فتح آمد :

ذهب الشبابُ وكَدَّرَ العمـــرُ في صَبوةٍ وعلا بكَ الأَمـرُ

حتـى بلغتَ الأَربعـينَ فهـل حانَ التُّقى لك وأنجلى السُكرُ[١٦]

ومعلوم ان فتح آمد كان في سنة ٢٨٦هـ[١٧] ، وقوله :

لا تَسـلني وسـلْ مشيبي عني مذ بلغتُ الخمسينَ أنكرتُ نفسي[١٨]

---

(١٣) انظر : تاريخ بغداد (١٠/١٠١) ، والمنتظم لابن الجوزي (٦/٨٤) ووفيات الاعيان (٢/٢٦٤) . وروضات الجنات (٢٤٧) . ومن حديث الشعر والنثر (١٥٢) . ودائرة المعارف الاسلامية (٢٧٩) ، ودائرة المعارف للبستاني (٤/٤٦) ، وابن المعتز وتراثه في الادب (٥٩) . واشار المؤلف الى عدة روايات ورجح هذه الرواية . والعصر العباسي الثاني (٣٢٤) .

(١٤) انظر : النجوم الزاهرة (٣/١٦٦) . ومعاهد التنصيص (١٩٤) ، والاعلام باعلام بيت الله الحرام (٧٠) ، وتاريخ الخميس (٢/٣٤٦) . ومواسم الادب (١/١٥٩) . وعبدالله بن المعتز لسيد الاهل (١٩) ، ويوم وليلة للمؤلف نفسه (١٣) ، وتاريخ الادب لحنا الفاخوري (٥٥٥) . يعلق الاستاذ خفاجي على هذه الرواية بقوله (وينقض هذه الرواية ان المتوكل المتوفى في شوال سنة ٢٤٧هـ ذكر المعتز والد الشاعر ولقبه ابا عبدالله (ص ٣ مقدمة ديوان ابن المعتز طبع بيروت) . وذلك دليل على ان عبدالله ابن المعتز ولد قبل مقتل جده المتوكل) . ومر بنا ان تكنية المعتز بابي عبدالله كانت قبل اعذاره .

(١٥) انظر : وفيات الاعيان (٢/٢٦٣) ، وانظر ابن المعتز وتراثه للاستاذ خفاجي (٥٩) حيث اشار الى ان هذه الرواية عن ابن (كذا) سنان .

(١٦) الديوان (١/٤٤٧) .

(١٧) نفسه .

(١٨) الديوان (٣/٣٠٥) وانظر : ابن المعتز وتراثه في الادب (٥٩) ومن الغريب ان الاستاذ خفاجي يشير الى انه (ليس في شعر ابن المعتز شيء عن سنه الا قوله البيت) . ويقول : (والبيت لم اطلع عليه الا في رسالة الغفران) .

وقوله :

بلغتُ الاربعـــين وزدتُ عشـــرا   وصرتُ كأنني خَلَقٌ مُطرّى[19]

٤ ــ ونسب الى ابن المعتز قوله :

إحدى وخمسونَ لو مرتْ على حجرٍ   لكانَ من حكمها أنْ يُفلقَ الحجرُ[20]

ومعنى هذا ان ولادته كانت في سنة ٢٤٥هـ .

٥ ــ وهناك رواية اخرى تقول انه ولد في سنة ٢٤٤هـ[21] .

ويبدو لنا ان الرواية الاولى والثالثة ارجح من غيرهما . اما الروايات الاخرى ، فيضعف الرابعة والخامسة منها ان المعتز والد الشاعر الذي ولد في سنة ٢٣٢هـ[22] يكون عند زواجه في الثانية عشرة او الثالثة عشرة مـن عمره ، وهي سنّ لا نظنها تؤهل للزواج ، ويكون عمر ابن المعتز على الرواية الاولى (ثماني) سنوات ، وعلى الثالثة (تسع) سنوات ، ونحن نميل الـى ترجيح الثالثة ، بدليل قول ابن المعتز نفسه وبدليل ما رواه الصولي عن ابن المعتز من انه قال : (كان مما حبب الشعر اليّ اني سمعت البحتري ينشـــد الماضي (اي والده المعتز) شعرا تشوقه الناس واستحسنوه ووصفوه تصرف فيه بغزل ووصف ومدح وشكر وعدد اصناف ما اخذ ، وطلب خاتم ياقوت وهو عندي من أحسن شعره وهو قوله :

بودي لو يهوى العـــذول فيعشـــق   فيعلم أسباب الهوى كيف تعلق[23]

(١٩) الديوان (١٧٦/٣) .

(٢٠) انظر : محاضرات الادباء (٣٣١/٣) .

(٢١) انظر : نزهة الالباء (١٧٧) ، وابن المعتز وتراثه في الادب (٥٩) .

(٢٢) انظر : (البحتري في سامراء بعد عصر المتوكل (٤٨))

(٢٣) البحتري (١٠٧) .

وواضح ان ابن المعتز كان في سن تؤهله ان يفهم ما كان ينشده البحتري في بلاط ابيه مع انها سن مبكرة[٢٤] • وهذا الخبر يضعف الرواية الثانية اذ يكون عمر الشاعر حينذاك ست سنوات ، وهي سن لا تؤهله لفهم ما كان ينشده البحتري بين يدي والده !

اسرته :

يحسن بنا قبل ان نواصل الكلام على حياة الشاعر ونشأته ان نلم بشيء عن أسرته كأبيه وجده وأمه وجدته لما لذلك من صلة مباشرة في تلك الحياة والنشأة •

فجده أبو الفضل جعفر بن محمد المعتصم الملقب بالمتوكل على الله ، ولد بفم الصلح في سنة ٢٠٦هـ أو ٢٠٧هـ وامه ام ولد رومية ، استخلف بعد اخيه الواثق سنة ٢٣٢هـ . وكان اسمر رقيق البشرة ، يضرب لونه الى الصفرة ، حسن الوجه والعينين ، خفيف العارضين ، كما كان وسيما مهيبا ، وكان الى القصر أقرب • وهو عاشر الخلفاء العباسيين وثالث من اتخذ سامراء عاصمة له، واشهرهم في هذه المدينة[٢٥] ، وقد مر بنا ان عهده كان من أنضر العهود واكثرها رخاء وصفاء وغضارة وعمرانا • ولعل عصرا من العصور العباسية لم يحظ باكرام الادباء والشعراء وارباب الفنون كما حظى عصره ، حتى قيل في ذلك (لا يعلم احد في صناعته في جد ولا هزل الا وقد حظى في دولته وسعد بأيامه ووصل اليه نصيب وافر من ماله)[٢٦] •

---

(٢٤) من الجدير بالذكر ان الاستاذ خفاجي يستبعد صحة الروايتين الثالثة والخامسة ويعلق على قول ابن المعتز بقوله : (والشعراء كثيرا ما يبالغون في تقدير عمرهم اظهارا لاثر السن في الملكات والتجارب والخبرة بالحياة).
وواضح أن هذه المبالغة في تقدير العمر لا تتجاوز السنة الواحدة، ومن الطريف انه قال قبل هذه العبارة (ومن الثابت اعتمادا على ارجح الاراء في ميلاده ، انه لم يبلغ الخمسين عاما وانما قاربها) .

(٢٥) انظر البحتري في سامراء حتى نهاية عصر المتوكل ١٥٧–١٥٨ .

(٢٦) انظر مروج الذهب (١٢٣/٤) وانظر تاريخ الخلفاء ٣٤٩ .

وكان يميل الى الاخبار والانساب وما يقع فيها من غريب اللغة ، غير انه على ما يبدو — لم يكن قادرا على نظم القريض ، ولهذا فلم يرو له من شعر سوى بيت واحد في رثاء امه[٢٧] .

ويبدو ان رخاء الايام وصفاء الحياة ، ولين عريكته ودماثة خلقه جعلته ينحو نحو الانهماك في الشهوات والميل الى الدعابة وطلب الفكاهة ، وقتل في مجلس شرابه فرثاه احد الشعراء بقوله :

هكـذا فلتكـن منايـا الكـرام بين نـاي ومزهـر ومـدام

بـين كأسـين أروتاه جميعـا كأس لذاته وكأس الحِمـام[٢٨]

وأشار ابن المعتز الى جده المتوكل في مزدوجته المعتضدية بقوله :

وملك الملـوكِ أعني جعفـراً كَفى به للفـاخرينَ مَفْخرا

كم لهُمْ مـن نَهَـرٍ وقصرِ وأثرٍ باقٍ جـديدِ الذكرِ[٢٩]

وأبوه الزبير وقيل محمد بن جعفر المتوكل ، ولد في سامراء في سنة ٢٣٢ هـ ، وفي سنة ٢٣٥ هـ عقد المتوكل البيعة له ولاخيه : المنتصر والمؤيد ، تولى الخلافة بعد مصرع المستعين ، وكان وسيما جميل الطلعة ، جاء في تاريخ بغداد : (وكان المعتز بالله رجلا طويلا جسيما وسيما ، أبيض مشربا حمرة ، ادعج العينين حسنهما ، أقنى الانف ، حسن الوجه ، مليحا جعد الشعر ، كث اللحية، مدور الوجه، حسن المضحك ، شديد سواد الشعر، اكحل العينين)[٣٠].

وكان يتذوق الادب ويقول الشعر ، وقد لحظ فيه القدماء هذا فقـال الشابشتي : (وكان المعتز سمح الاخلاق ، واسع النفس، له أدب وفهم ،ويقول

(٢٧) انظر البحتري في سامراء حتى نهاية عصر المتوكل ٢٦٤ .

(٢٨) زهر الاداب (١/٢٢٧) .

(٢٩) الديوان (١/٥٦٤) .

(٣٠) (٢/١٢٤) .

شعرا صالحا)[٣١] . وقال الدكتور طه حسين : (هذه الحياة الهمت المعتز نفسه ذوقا فنيا خالصا ، فكان شاعرا وشاعرا مجيدا . ولو قد مد له في عمره لكان كابنه شاعرا نابغا ، ولكنه اعجل فلم تطل ايامه ، وكان يعني في الشعر بهذه الفنون التي تلائم القصر، وتلائم المجون والدعابة التي تلائم حياته الخاصة)[٣٢] .

وكان المعتز ذكيا حاضر الجواب ، روى عن ابن السكيت قوله : (احضرت لاتخذ على المعتز بالله فقلت له : بأي شيء تبدأ اليوم ؟ فقال : بالخروج . فقلت : نعم ، فعدا من بين يدي وعثر على المرمر فقال :

يمـوت الفتى من عثـرة بلسـانهِ
وليسَ يموت المـرء من عَثْرة الرجْـلِ

فعثرتـه من فيـهِ تَرمِي برأسـه
وعثرتـه بالرجْـلِ تبـرا على مهـلِ

فقلت للمتوكل : جئتم بي لتأديبه وهو آدب مني فأمر لي بعشرة آلاف درهم)[٣٣] .

ان ما أثر للمعتز من أبيات ومقطعات لتدل على قوة شاعريته وخصب خياله وحضور بديهته ، فقد قيل انه كان يشرب في بستان مملوء بالنمام وبين النمام شقائق النعمان ، فأقبل يونس بن بغا ، صديق المعتز وعليه قباء أخضر، فقال المعتز :

شـبّهتُ حمرةَ خـدّهِ في ثوبـهِ
بشقائقِ النعمـان في النمّـامِ

---

(٣١) الديارات (١٦٥) وانظر البحتري في سامراء بعد عصر المتوكل (٥٨) .
(٣٢) من حديث الشعر والنثر (١٥٣)) .
(٣٣) محاضرات الادباء (٥٦/١) . وانظر الديوان (٣٥٤/٣) .

ثم قال لندمائه : أجيزوا فبدر بنان المغني ، فقال :

والقَــدّ منـــــه إذا بـــدا متثنيـــاً
كالغصن في لِيــــينٍ وحســـن قوامِ

فقال : غن فيه الآن ، فعمل لحنا وغناه[٣٤] .

وقتل المعتز على يد الاتراك وهو في الخامسة والعشرين من عمره ، ودفن في القصر الكامل أحد قصوره العظيمة[٣٥] ورثاه عدد من الشعراء رثاء حسنا[٣٦] .

وفي شعر ابن المعتز مقطوعة وقصيدة في رثاء أبيه ، تبدأ الاولى بقوله :

نَبّــهِ الســـيفَ على واتريــهِ حييَ الجَهرُ وماتَ السّـرارُ[٣٧]

وتبدأ الثانية بقوله :

رُبَّ حتفٍ بين أثنـــاءِ الأمَـلْ وحيــاةُ المَرءِ ظِلٌ منتقِلْ[٣٨]

وجدته أم أبيه (قبيحة) وهي رومية ، ويبدو ان اسمها من الاضــداد، ذلك لانها كانت فائقة الجمال ، رائعة الحسن، وقد لعبت دورا كبيرا في الحياة السياسية في عهد زوجها وابنها المعتز ، واليها يعود الســـبب في تغيير قلب

---

(٣٤) انظر الديارات (١٠٦) . والاغاني (٣١٨/٩ دار الكتب) . وبدائع البدائة (٥٢) . للوقوف على ما أثر للمعتز من شعر يحسن الرجوع الى : الاغاني (٣١٨/٩ـ٣٢٢) ، ومعجم الشعراء (٤٠٠ـ٤٠١) . الديارات ١٠٦ـ١٠٨). ذيل الامالي (٩٩) . العقد الفريد (٣٧٦/٥) . فوات الوفيات (٣٧٥/٢) .

(٣٥) يدل على هذا قول ابن المعتز في رثاء ابيه :

ان بالكامل لي ذا حفرة سوف أبكيه باطراف الاسـل

في حين تشير بعض المصادر الى انه دفن في ناحية قصر الصوامع (انظر : الطبري (١٦٢/١١) والوافي بالوفيات ٩٢/٢ .

(٣٦) انظر مروج الذهب ٩٣/٤ـ٩٤ . ومعجم الشعراء (٤٠٧) .

(٣٧) الديــوان (٤٤/٣) .

(٣٨) انظر الديوان (٨٠/٣) .

المتوكل على ابنه المنتصر احد اولياء عهود الامر الذي أدى الى اغتياله من قبله وقبل قادة الاتراك كما أسلفنا .

وظهر أثرها السياسي عند استخلاف ابنها المعتز فقد جهدت في حمله على تتبع الاتراك والنيل منهم ، فكانت تقول له يا بني اقتلهم في كل مكان ، وتخرج اليه قميص ابيه المتوكل مخضبا بدمائه فيطلب منها ان ترفعه خشية أن يصير القميص قميصين[٣٩] . ومن هنا نرى المسعودي يقول في المعتز بأنه كان (يؤثر اللذات ويعدم الرأي ، تدبره أمه قبيحة وغيرها ..)[٤٠] .

لقد استحوذت على كثير من الاموال واحتجنتها وضنت على ابنها المعتز في أحلك ساعات العمر بخمسين ألف دينار طلبها منه قادة الاتراك للايقاع بمناوئيه فقتل شر قتلة ، ووجد في حوزتها بعد مصادرة أموالها زهاء ألف ألف دينار ، ووجد ثلاثة أسفاط : سفط فيه مقدار مكوك زمرد الا انه من الزمرد الذي لم ير للمتوكل مثله ولا لغيره ، وسفط دونه فيه نصف مكوك حب كبار ، وسفط دونه فيه مقدار كيلجة ياقوت احمر لم ير مثله ، فقوّم الجميع على البيع فكانت قيمته الفي الف دينار ، وهذا المبلغ هو خراج المملكة كلها لسنتين[٤١] . ونفيت بعد قتل ابنها واستخلاف المهتدى الى مكة ومعها عبدالله بن المعتز واسماعيل بن المتوكل وطلحة بن المتوكل وعبدالوهاب بن

---

(٣٩) انظر : الديارات (١٦٩ـ١٧٠) وثمار القلوب (٨٦) .

(٤٠) التنبيه والاشراف (٣١٦) .

(٤١) انظر : الطبري ٩/٣٧١ ، ٣٩٥ ، والنجوم الزاهرة (٣/٢٢) وتاريخ الخلفاء (٣٦٠) . المكوك : مكيال يسع صاعا او نصف صاع او نحو ذلك . الكليجة : مكيـال .

المنتصر ، وبقيت الى أن افضت الخلافة الى المعتمد فبعث بحملها وحمل من معها الى سامراء[٤٢] .

أما أمه فلسنا نعرف عنها الشيء الكثير ، ويبدو انها كانت احدى جواري جدته قبيحة ، وقد روى جحظة عن عبيدالله بن عبدالله (ولعله ابن طاهر) عن الزبير بن بكار انه قال (كنت أؤدب المعتز ، فهوى جارية لامه قبيحة ، فصبر فنحل جسمه وحم فسألته عن خبره فأنشدني :

جزعت للحب والحُمّى صبرتُ لها

إني لأعجبُ من صبري ومن جزعي

وخبرني فيما بيني وبينه بعشقه للجارية ، قال : فأخبرت قبيحة بالقصة، فوهبتها له فعوفي) ، قال جحظة : فحدثني عبدالله بن المعتز انها امه)[٤٣] .

واذا صحت الرواية فتكون الجارية في الغالب روميةالاصل كجدته[٤٤] .

هذه هي أسرة ابن المعتز فهو عربي الاب والجد رومي الام والجدة، ونظر بعضهم الى عروبة محتده فقال فيه :

ما واحدٌ من واحدٍ	أولى بمجدٍ أو مُروّه
ممن أبوهُ وجدهُ	بين الخلافةِ والنبّوّه[٤٥]

(٤٢) انظر مروج الذهب (١١٢/٤) وتاريخ الطبري (٣٩٤/٩) دار المعارف . والجدير بالذكر ان الاستاذ خفاجي يقول في هذا الصدد : (ولا ندري أفر ابن المعتز مع جدته قبيحة حين قتل والده ام بقي في قصره ؟ ولا ندري أاخذته معها الى مكة ام لا ؟ ولكن (الارجح) انه كان في قصر والده حين قتل ، وانه لم يكن في قصر جدته حين هروبها ، وانه (أقام) في سامراء رهن الاحداث التي كان يترقبها صباح مساء ...) (ابن المعتز وتراثه في الادب (٧٤) .

(٤٣) ذيل الامالي (٩٩) .

(٤٤) انظر ابن المعتز وتراثه في الادب (٧٠) والعصر العباسى الثاني (٣٢٥) .

(٤٥) مرآة المروات (٢٧) .

نشأته :

ان ما وصل الينا من أخبار ابن المعتز لم يكن من الوفرة بحيث نستطيع الالمام بالكثير من أحواله وسيرة حياته ، ولكننا سنحاول أن نرسم صورة لنشأته وحياته مما تسرب الينا من أخباره ، مستعينين بما جاء في شعره وشعر معاصريه فيه .

في سامراء حاضرة الخلافة العباسية المشهورة بلطافة الهواء وغزارة الماء وصلاح التربة ورقة الليل وبرد الضحى واعتدال الاصيل[٤٦] ، وفي باحات قصور المتوكل الجميلة وافنيتها الرحبة ورياضها الغن شب الوليد الجديد ، محاطا برعاية والديه ، ومكلوءاً بعناية جده وجدته ، ولم يكن يدور في خلد أحد أن الزمن كان يضمر له من المآسي والآلام ما تنوء به كواهل الافذاذ من الرجال ، فما كاد يدرج نحو الثانية من عمره حتى هزت سامراء بأفظع حدث في تاريخ الخلافة العباسية ألا وهو مصرع جده المتوكل الذي يعد الأمارة الاولى في انحلال الخلافة العباسية ووهنها ، فخلفه ابنه المنتصر المتآمر عليه في مدينة المتوكلية ولكنه لم يمكث فيها سوى اربعين يوما ثم تركها قافلا الى سامراء فخربت قصورها واندرست عمائرها التي كلفت أباه أموالا طائلة . ولم يمد له في العمر فأعقبه المستعين الذي أخذ يتتبع المعتز وأخاه المؤيدفابتاع جميع ما كان لهما من دور ومنازل وضياع ، ثم أمر بحبسهما فحبسا فيالجوسق أحد قصور المعتصم المشهورة في سنة ٢٤٨هـ[٤٧] . وبقيا في الحبس الى سنة ٢٥٠ ، حيث اضطر المستعين الى الهرب والانحدار الى بغداد خوفا من سطوة الاتراك فأخرج المعتز من سجنه وبويع له بالخلافة ، فابتسمت الحياة من جديد

(٤٦) للوقوف على هذه الاوصاف يحسن الرجوع الى ديوان البحتري (٣/١٦٣٣ ـ١٦٣٥) وخاص الخاص (٥٤) والبحتري في سامراء حتى نهاية العصر المتوكل (٩) .

(٤٧) انظر : تاريخ الطبري (٩/٢٥٨ـ٢٥٩) .

لهذا الطفل الذي أشرف على الخامسة من العمر ، ووجد في كنف ابيه أمنـا ودعة . فتقلب في بحبوحة من العيش وتفتحت عيناه على اجمل ما تفننت به يد الانساع الصناع من ضروب العمران والتزيين والتلوين ، ولعل الكامل أحد قصور أبيه قد بلغ النهاية في هذا المجال ، بما اشتمل عليه من روعة وابداع وبما بذل فيه من جهد وأموال(٤٨) .

وكان المعتز معتزا بابنه هذا مؤثرا له ، ورأى البحتري ــ شاعر البلاط ــ اهتمام الخليفة بأبنه هذا فراح ينوه به من خلال مدائحه لابيه ، ومما قاله فيه :

وملّيتَ عبـــدالله من ذي تَطوّلٍ
كريمِ السجايا هِبرزي الضـــرائبِ

(٤٨) شغف خلفاء بنى العباس في سامراء كما مر بالعمارة وتشييد القصور . وكانت من العظمة والروعة بحيث وقف ازاءها الشعراء مبهوتين متحيرين. ولعل خير ما يمثل ذلك قول البحتري في قصور المتوكل :

حلل من منازل الملك كالانجـــ ـــجم ، يلمعن في سواد الظلام
مفحمات تعيى الصفات فما تد رك الا بالظـن والاوهـــام
فكأنا نحســها في الامـــاني او نراهـا في طـارق الاحـلام

(انظر : ديوان البحتري (٣/٢٠٠٥–٢٠٠٧) .

وقوله في القصر الكامل :

لمـا كملت رويـة وعزيمـــة أعملت رأيك في ابتناء الكامل
ذعر الحمام وقد ترنم فوقـه من منظر خطر المزلة هـائل
رفعت لمنخرق الرياح سموكه وزهت عجائب حسنه المتخايل
وكـأن حيطان الزجاج بجود لجج يمجن على جنوب سواحل
وكأن تفويف الرخام اذا التقى تاليفـــه بالمنظر المتقـابـل
حبك الغمام رصفن بين منمـر ومسير ومقارب ومشـــاكل
لبست من الذهب الاصيل سقوفه نورا يضيء على الظلام الحافل
فترى العيون يجلن في ذي رونق متلهب العـالى انيق السافل

(الديوان ٣/١٦٤٦–١٦٥٠) .

شــــبيهك في كل الامور ولن تــرى
شــبيهك إلا جامعــا للمناقب[٤٩]

ورأى المعتز ان يشد من أزر ابنه فاقطعه قطائع في بلاد الشام ، وروى الصولي عن ابن المعتز انه قال : (كان المعتز اقطعني إقطاعا ، وجاورني في بعضه البحتري ، فسألني ان أهب له الضيعة التي تجاوره ، فوعدته ، فتحمل علي بأبي ، وعمل في ذلك أشعارا منها قوله :

يا واحـــد الخلفاء غير مدافع كرَماً وأحسنهم إليَّ صنيعــا

فقال لي يا عبدالله اقضِ حاجة البحتري ، فوهبت له الضيعة)[٥٠] •

وأشار البحتري الى هذا في قوله :

ومُلّيت عبـدَالله إنَّ سـماحَهُ هو القطر في إسباله وأخو القَطْرِ
وجـاورَ ربعي بالشـآم رباعَـه وليس الغِنى إلاَّ مجاورة البحـرِ
ولي حاجـةٌ لم آلُ فيها وسيلـةً الى القمر الوضاحِ والسيّد الغَمْرِ
شفعتُ إليه بالإمـامِ وإنمّـا تَشفعتُ بالشمس اقتضاءً الى البدرِ[٥١]

ومضى المعتز في إعزاز ابنه ، وإعلاء شأنه ، فضرب باسمه الدنانير •

غير انه لم يتسن له ـ على ما يبدو ـ لانشغاله في كسر شوكة قـواد الاتراك من جهة ، وإخماد الثورات في أطراف الدولة من جهة أخرى من تولية ابنه العهد رسميا ، على الرغم من رغبته في ذلك ، ومن اغراء البحتري له في شعره • جاء في اخبار البحتري : (ولما ضرب المعتز باسم ابنه عبدالله الدنانير ، مدحه (اي البحتري) بقصيدة اولها : أجـرني من الواشـي الذي جـار واعتـدى •

---

(٤٩) ديوان البحتري (١/١٠٩) ، وانظر الديوان ايضا (٣/١٦٤٦ـ١٦٥٠) .
(٥٠) اخبار البحتري (١٠٥) .
(٥١) ديوان البحتري (٢/١٠٠٤ـ١٠٠٧) .

أحسن فيها وسأله ان يوليه العهد ...)[٥٢] . قال البحتري منوها بعمل الخليفة ، ومغريا اياه بتولية ابنه العهد :

شـررنا بأن أَمّرتَهُ ونصبتَهُ	لنا علماً نأوى الى ظله غدا
وأبهجَنا ضَربُ الدنانير باسمهِ	وتقليده من أمرنا ما تقلَّدا
ولمْ لا يُرى ثانيكَ في السلطة التي	خصصت بها ثانيك في الجود والندى
حقيقٌ بأنْ تَرمي به الجانبَ الذي	يهمّ وانْ تفضي اليه وتعهدا
ومثلك حاطَ المسلمين بمثله	سداداً ولم يهمل رعيتَهُ سُدى
أَبِنْ فضله واشهرْ نَباهةَ قدره	وأبقِ له في الناس ذكراً مُجدّدا
فللسيفُ مسلولاً أشدُّ مهابةً	وأظهرُ إفرنداًمن السيفِ مُغْمَدا[٥٣]

(٥٢) اخبار البحتري (١٠٧) .

(٥٣) ديوان البحتري (٢/٦٧٠-٦٧٣) . من الجدير بالذكر ان الاستاذ / خفاجي يقول في كتابه (ابن المعتز وتراثه في الادب ٧٢) : (لاتذكر المصادر التاريخية كلها ان المعتز عهد الى ابنه عبدالله بولاية العهد وينفرد بذكر ذلك البحتري في قصيدة له مدح بها المعتز ويقول فيها (واورد من الابيات ١-٤) واسقط الابيات الاخرى لسبب ما . ثم يعقب على الابيات بقوله : (ولعل ذلك كان حين خلع المعتز اخاه المؤيد من ولاية العهد في ٧ رجب عام ٢٥٢هـ وجعل مكانه شقيقه اسماعيل بن المتوكل (فالظاهر) انه لم يجعل اسماعيل وحده وليا للعهد كما يذكر المسعودي ، بل اقام معه ابنه عبدالله في (ولاية عهد المسلمين) ويؤيد ذلك ان البحتري يشيد بهما معا في قصيدة من قصائده في مدح المعتز بالله فيقول فيها :

ولم تر مثل (اسماعيل) عيني و (عبدالله) ذي الشيم الكرام

...) وواضح أن الاستاذ الخفاجي قد حمل النص اكثر من طاقته ، فأبيات البحتري لا تدل على تولية المعتز لابنه بالعهد ، وانما هي اغراء له بذلك ، وقول الصولى (وسأله ان يوليه العهد) واستشهاده بالابيات

←

وتجري الامور سراعا واذا بالاتراك يشددون من وطأتهم على الخليفة سنة ٢٥٥ ويطالبونه بالأموال وحين تعذر عليه توفيرها لهم اقتحموا عليه بيته واجهزوا عليه وهو مريض ، وهكذا تنتهي حياة المعتز بعد ان بقي في منصب الخلافة ما يربى على أربع سنين[٥٤] • وبانتهاء حياة أبيه تنتهي مرحلة طفولة الشاعر المستقرة •

ومر بنا ان المهتدي الذي اعقب المعتز في الخلافة وبقي فيها سنة واحدة أمر بنفي قبيحة زوجة المتوكل ومعها عبدالله بن المعتز واسماعيل بن المتوكل وغيرهما الى مكة ، ثم حملوا الى سامراء بعد استخلاف المعتمد الذي اعقب المهتدي ، ولكننا لا نعلم بالضبط المدة التي مكثت فيها قبيحة ومن معها في مكة ، غير ان خبر حملهم الى سامراء الذي ذكره المسعودي جاء في اثناء حوادث (٢٦٠هـ) ، فهل يعني هذا انها بقيت في مكة الى هذا التاريخ ، واذا صح هذا فيكون عمر ابن المعتز في سنة (٢٦٠هـ) اربع عشرة سنة • واكبر الظن ان حملهم الى سامراء كان قبل هذا التاريخ ، ولعله في اول خلافة المعتمد اي في سنة ٢٥٦هـ ، ففي اخبار ابن المعتز مع أحد مؤدبيه ما يفيد بانه بعث اليه

تسميها تدل على هذا • وقول البحتري : ولم لا يرى ثانيك : دليل على انه يغريه بذلك لا على انه كان حقيقة • بل قوله في البيتين الاخيرين اللذين استظهرهما الاستاذ خفاجي دليل اخر على أن ولاية العهد لم تكن قد تمت لابن المعتز • فالشاعر يدعو المعتز الى أبانة فضل ابنه واشهار نبوته • واعلان ذلك على الملأ ، وان لا يبقى الأمر مستورا • وبالاضافة الى كل ما تقدم فاننا نعرف ان ولاية العهد تكون ــ اذا عقدت ــ امرا رسميا يبلغ به اقطار الدولة • ويسند الى ولي العهد شيء من اجزاء الدولة كما فعل المتوكل حين بايع لابنائه : المنتصر والمعتز والمؤيد ، وكما فعل المستعين حين حاول البيعة لابنه العباس بولاية العهد (انظر الطبري ٩/١٧٥-١٧٦) ومروج الذهب (٧٠/٤) •

(٥٤) انظر الطبري ٩/٣٨٩ــ٣٩٠ ، والمروج ٨١/٤ •

ابياتا حين رأى مؤدبا آخر يشركه في تأديبه وهو في الثالثة عشرة من عمره[٥٥]، ومعنى هذا انه لم يكن حينذاك في مكة

وعلى كل حال فقد عاد ابن المعتز مع جدته قبيحة ، ويبدو انه قصد مسقط رأسه سامراء فنزل في احد قصور ابيه ، على انه ينبغي ان نشير الى ان هناك شيئا من الاضطراب في اقامة ابن المعتز في هذا العهد او بعد رجوعه من مكة ، ، فهل اتخذ سامراء مقر اقامته او انه كان يقيم في بغداد ؟ واكبر الظن انه اتخذ سامراء دار اقامة مدة بقائها عاصمة للخلافة ، ولعله لم ينتقل الى بغداد الا بعد ان استدعاه المعتضد اليها •

ويظهر ان امره قد وكل الى جدته فاستأنفت تعليمه الذي بدأ في عهد أبيه وندبت له كبار ادباء العصر ومؤدبيه •

ويجمل بنا ان نقف قليلا عند اساتذته ومؤدبيه • ومن المحتمل ان يكون المعتز ــ على عادة الخلفاء ــ قد تعهد ابنه في حياته بالتعليم ، وانه احضر له المؤدبين الذين كانت تزخر بهم سامراء ، غير انه لم يصل الينا من اخبار اولئك المؤدبين له في تلك الفترة شيء كثير اللهم الا ما يتصل بواحد منهم وهو : محمد ابن عمران الضبي[٥٦] •

---

(٥٥) الديوان (٣/٣٤٥) •

(٥٦) كان الغالب على ثقافته رواية الاخبار وما يتصل بالادب ، كما كان نحويا عارفا بالقراءة والعربية ، عالما بالحديث والاثر • وارتبط اسمه بما وقع له مع ابن المعتز في اثناء تأديبه له فقد روى (انه حفظ ابن المعتز وكان يؤدبه (النازعات) وقال : اذا سألك ابوك في اي شيء انت فقل له : انا في السورة التي تلي عبس ، ولا تقل له انا في النازعات • قال فسأله أبوه في اي شيء أنت ؟ قال : في السورة التي تلي عبس • فقال له : من علمك هذا ؟ قال مؤدبي فأمر له بعشرة الاف درهم) •

(انظر : تاريخ بغداد ٣/١٣٢ ، ونزهة الالبا (٢٠٦) ومعجم الادباء ١٨/٢٧٢) •

وتطالعنا اخبار ابن المعتز بعدد آخر من مؤدبيه في تلك الفتـرة التي تلت وفاة ابيه ، منهم : محمد بن هبيرة الاسدي النحوي[٥٧] ، وابو العباس ثعلب[٥٨] ، وابو العباس المبرّد[٥٩] ، واحمد بن سعيد الدمشـقي[٦٠] ، والبلاذري[٦١] ، والحسن بن عليل العنزي[٦٢] .

ولم يكتف ابن المعتز بهؤلاء المؤدبين وانما مضى ينهل من منابع اخـرى سواهم فأخذ عن اعراب كانوا يقدمون سامراء كما كانت داره مغاثـا لاهل الادب وكان يجالسه منهم جماعة[٦٣] سنشير اليهم في الكلام على علاقته بادباء العصر وشعرائه . ولعل أثر البحتري فيه كان كبيرا منذ كانت قصائده تتردد اصداؤها في أفنية قصور والده وهو طفل غض .

ان ثقافة ابن المعتز كانت ثقافة عربية واسعة ، تناولت مختلف العلـوم والمعارف العربية والاسلامية ، زوده بها اعلام العلم والادب في عصره . ومـن غير شك ان ابن المعتز لم يقتصر على اولئك الاعلام ولا على ما زودوه به ، وانما أخذ يعب من مناهل العلم والمعرفة مما شاع في عصره من حضارات الامـم المختلفة كالفارسية واليونانية ، مما ترجم في عهده او العهد السابق له .

(٥٧) كان من اعيان اهل الكوفة وعلمائها عارفا بالنحو واللغة وفنون الادب ، أخذ عنه ابن المعتز اللغة والغريب ، وعمل له رسالة فيما أنكرته العرب على أبي عبيد القاسم بن سلام ووافقته فيه (انظر : معجـم الادبـاء ١٩/١٠٥ ، والاوراق للصولي ١٠٧) .

(٥٨) انظر ترجمته في الديوان (٤٨٦/١) .

(٥٩) كان اماما في النحو واللغة وله تصانيف كثيرة كالكامل والروضة والمقتضب وغيرها (انظر وفيات الاعيان ٣/٤٤١) .

(٦٠) انظر الديوان (٣/٣٤٥) .

(٦١) كان مؤدبا تحمل على قبيحة ام المعتز بقوم ان تأذن له في الدخول علـى ابن المعتز وقتا من النهار فأجابت أو كادت تجيب (انظر : زهر الاداب (٢/٥٦٦) وفتوح البلدان (١٢) ودائرة المعارف الاسلامية (٤/٥١).

(٦٢) كان احد الرواة المشهورين (انظر كتاب البديع ٢٨ ، ٣٨) .

(٦٣) انظر : اشعار اولاد الخلفاء (١٠٧) .

ويبدو انه كان شغوفا بالكتب يجد فيها لذة لا تعدلها لذة اخرى ، فهي لديه أغلى من السكن والشباب والحبيب ، ومن اجل هذا فقد اعتكف في منزله بعيدا عن المطامح والمطامع ، وراح منكبا عليها قراءة ودرسا حتى اذا ما وقعت فيها ارضة فعاثت فيها راح يندبها بحسرة ولوعة قائلا :

لم أبكِ رسماً مُقفراً ولا طَلَلْ ... ولا شباباً حانَ منه مرتحَلْ
ولا حبيباً قطعَ الوصلَ ومَلْ ... لكنْ لِعُظمِ حادثٍ بي قد نزلْ
كنتُ امرءا من الانام معتزلْ ... عليَّ ستردونَ ذَمّي مُنسدلْ
على الذي يملِكُ رزقي مُتَّكِلْ ... لا راجياً لِدَولةٍ من الدولْ
ولا أخافُ أَجَلاً على أملْ ... شغلِي إذا ما كان للناسِ شُغُلْ
دفترُ فقهٍ أو حديثٍ أو غزلْ ... لا عابَني ولا يُرَى منّي زَلَلْ(٦٤)

ومن غير شك ان ثقافة ابن المعتز لم تقف عند دفاتر الفقه والحديث او الغزل وانما امتدت فشملت كما أسلفنا معارف أخرى •

وينبغي ونحن نتحدث عن ثقافة ابن المعتز ، ان نقف عند ناحية مهمة من نواحي ثقافته وهي تأثره بالفلسفة وتأثيرها في نتاجه الادبي ، وقد مر بنا ان مؤدبي ابن المعتز كانوا من المتخصصين في العلوم العربية المختلفة(٦٥) ، ولم يكن بينهم — على الأغلب — من يتعاطى الفلسفة ، واذا صح هذا فابن المعتز لم يتلق شيئا منها في المرحلة الاولى من حياته ، مرحلة تأديبه وتعليمه ، ومن المحتمل انه كعادته راح يتثقف بما كان يقع في يده من كتبها المترجمة التي كانت منتشرة في عهده ، ولعله قد اتصل ببعض من كان يتعاطاها في تلك الآونة أيضا • ولكن ينبغي أن لا نذهب بعيدا فندعي ان ابن المعتز قد انكب على كتب الفلسفة انكبابه على كتب الادب والشعر ، ومن أجل هذا فنحن

(٦٤) الديوان (١/٦٣٥) •
(٦٥) انظر هوامش الصحيفتين السابقتين •

لا نرى تأثيرا واضحا للفكر الفلسفي على نتاجه من الشعر ، وان كنا نجدشيئا من ذلك في نثره ، وبخاصة في كتابه الآداب[٦٦] وكتاب فصول التماثيل المنسوب اليه[٦٧] فقد تأثر بهما بالفلسفة اليونانية ، وان كان اثرها في الاول اكثر من الثاني كما نجده قد تأثر بالحكم الفارسية التي نقلها ابن المقفع في كتبه .

أما أثر هذه الفلسفة في شعره فلم يكن كبيرا كما قلنا على الرغم من انه أكثر من الحكم والزهد حتى كان لهما فن خاص من فنون شعره العشرة ، بل نستطيع أن نقول ان اغلب حكمه كان مستقى من ثقافته العربية الاسلامية ، كما كان وليد تجاربه الخاصة في الحياة .

ونعثر في شعره أيضا وبخاصة في مزدوجته المعتضدية وفي معرض هجائه لابن بلبل على بعض المصطلحات الفلسفية ، كما نجد في شعره شيئا عن النجوم والافلاك ، وكل هذا يدل على ان الشاعر لم يقتصر على الثقافة العربيـــة

---

(٦٦) وجدت نصوص كثيرة من كتاب الاداب في كتاب : (مختار الحكم ومحاسن الكلم) لابى الوفاء المبشر بن فاتك المتوفي سنة (٥٠٠هـ) المتضمن اسماء عدد من فلاسفة اليونان وحكمهم وآدابهم . وللوقوف على هذه النصوص المتشابهة يحسن الرجوع الى تخريجات نصوص كتاب الاداب ، تحقيق صبيح رديف ص ٥٥ـ٢٠٨ .

(٦٧) في هذا الكتاب اشارات الى اقوال الحكماء والاطباء ، كما فيه اشارات الى أقوال جالينوس . ومن الجدير بالذكر ان ابن النديم يشير في كلامه على حمزة الاصفهاني الى ان من كتبه (كتاب التماثيل في تباشير السرور ١٩٩) وحاول الدكتور الكفراوي في كتابه (ابن المعتز) . ان يشـــكك هو الاخر في صحة نسبة الكتاب الى ابن المعتز ، وقد اورد عدة ادلـــة على ذلك . ويقول الدكتور : احمد كمال زكي عنـــد كلامه على كتـــاب (البديع) لابن المعتز (ومن المؤكد انه اخذ بعض مصطلحاته من كتـــاب الخطابة لارسطو وكان قد ترجمه في عصره على ما تواتر عن حنين بـــن اسحاق ، بل لا نستبعد ان يكون قد استعان ببعض شواهده بعد تبديلها وتغيير الاعلام فيها) ص ٢٦٧ ، ويقول في (ص ١٠٧) انه رفض وشفع رفضه بتثقيف عنيف كان من آثاره غلبة روح العالم عليه واســـتعداده للعلم الاغريقي عن طريق ارسطو) .

وحدها[٦٨] على انه لم يصل الينا ما يدل على انه كان يعرف لغة اجنبية يترجم عنها او يقتبس منها •

وجملة القول فان شعر ابن المعتز قد برىء من الافكار الفلسفية العويصة والتواءاتها فكان سهلا واضحا غير مستغلق ، ومن أجل هذا لم يُقَل له ماقيل لغيره : (لم تقول ما لا يفهم)[٦٩] •

واتسعت ثقافة ابن المعتز فشملت ضربا آخر من المعرفة يرتبط ارتباطا كبيرا بالادب وبخاصة الشعر ألا وهو الغناء ، فقد اتقنه وألّف فيه[٧٠] ، وكان يدعو الى التجديد والتطوير وعدم التمسك بالقديم والجمود عنده • قال الاصفهاني ، (وكان عبدالله حسن العلم بصناعة الموسيقى والكلام على النغم وعللها ، وله في ذلك وفي غيره كتب مشهورة ومراسلات جرت بينه وبين عبيدالله بن عبدالله ابن طاهر وبني حمدون وغيرهم ، تدل على فضله وغزارة علمه وأدبه ، وقد قرأت بخط عبيد الله بن عبدالله بن طاهر رقعة اليه بخطه ، وقد بعث اليه برسالة الى ابن حمدون في انه يجوز ولا ينكر ان يغير الانسان

(٦٨) انظر : الفن ومذاهبه في الشعر العربي (١٨٢) .

(٦٩) انظر : اخبار ابى تمام (٧٢) .

(٧٠) من كتبه في ذلك الجامع في الغناء . انظر (مؤلفاته) . جاء في كتاب تاريخ الموسيقى العربية ص ٦٦ (وكان المعتز ٨٦٦ ـ ٨٦٩ موسيقيا وشاعرا... واشترك ابنه عبدالله ، وهو موسيقى عظيم النضج (الاغاني ١٤٠/٩) في المناقشات الموسيقية في (بلاط الواثق) (الاغاني ٩٧/٥) وكتب هذا الامير كتابا عن شارية المغنية ، وكتاب البديع وهو الرسالة الاولى من نوعها) . وفي هذا شيء من الوهم :

١ ـ توفى الواثق في سنة ٢٣٢ هـ في حين ولد ابن المعتز في سنة ٢٤٦ هـ فكيف يتسنى له المناقشة في بلاط الواثق ؟ .

٢ ـ ان كتاب البديع لم يكن في الغناء .

بعض نغم الغناء القديم ، ويعدل بها الى ما يحسن في حلقه ومذهبه)[71].
ثم ذكر له عدة أصوات من صنعته في شعره وشعر غيره[72] .

لهـــوه :

ويبدو ان ابن المعتز بعد أوبته مع جدته من مكة في عهد المعتمد وسكناه في قصور أبيه بسامراء وبعد اتمامه تعليمه الاولى وجـــد في نفسه ميلا الى الانطلاق في ميادين اللهو واللذة ، وكانت ظروفه في هذا الوقت ملائمة لما كان يصبو اليه ، كما كانت البيئة تمده بكل ما يتطلبه هذا اللهو وهذه اللذة .

فالمدينة وضواحيها كانت عامرة بمجالس الغناء والشراب والطرب ، كما كانت القصور مليئة بالجواري والغلمان من اجناس مختلفة وعناصر شتى ، كما كان ضغط العنصر التركي على الخلفاء قد خف في هذا العهد عما كان عليه قبله . ولعل ابن المعتز رأى الانصراف الى هذه الحياة ضربا من تأسية النفس مما تكابده من الآلام والاحزان التي افعمها بهما مصرع ابيه الشاب ونكبة جدته في مالها وعرضها ، ونفيه معها الى مكة[73] .

وعلى الرغم من أن كثيرا من أخباره في هذا الصدد لم تصل الينا الا أننا نستطيع مما تسرب الينا منها ومن أشعاره ان نقف على بعض جوانب لهوه ، وصنوف لذاته ، وكيفية ازجائه الوقت وبذله النشب في سبيلهما .

---

(٧١) الاغاني (١٠/٢٧٦) وانظر ص٢٧٨ من المصدر نفســه ونهــاية الارب (٤/٢٢٥) ومن حديث الشعر والنثر (١٧٠) .

(٧٢) انظر الاغاني (١٠/٢٧٩) .

(٧٣) جاء في تاريخ الطبري (٩/٣٩٤) في حوادث (٢٥٥هـ) : (ولم تزل قبيحة مقيمة الى ان شخص الناس الى مكة في هذه السنة فسيرت اليها مـــع رجاء الربابى ووحشي مولى المهتدي ، فذكر عمن سمعها في طريقها وهي تدعو الله على صالح بن وصيف بصوت عال وتقول : (اللهم اخز صالح بن وصيف ، كما هتك ستري ، وقتل ولدي ، وبدد شملي ، وأخذ مالي ، وغربني عن بلدي ، وركب الفاحشة مني ، فأنصرف الناس عن الموسم واحتسبت بمكة) .

ويجمل بنا قبل مواصلة الكلام على لهوه أن نشير الى نظرة ابن المعتز في الحياة ، ونظرته تتمثل — في مجال تبرير لهوه — في قوله :

ألا علّلاني إنما العيش تعليلُ وما لحياةٍ بعدَها موتةٌ طولُ

خُذا لذّةً من ساعةٍ مُستعارةٍ فإنّي عنها بعدَ ذلك مشغولُ

دَعاني مع الدنيا أنلْ من نعيمها فليس لتعويقِ الحوادثِ تمهيلُ(٧٤)

من هذه النظرة للحياة او العيش انطلق ابن المعتز في ميدان اللهو واللذة، واتخذ عدة وسائل للوصول الى مبتغاه ، وهذه الوسائل — وان تشعبت — تلتقي في كثير من الاحيان مع بعضها لتؤدي الى غاية واحدة •

ففي أخباره انه كان يعمر مجالس الغناء ويألف الجواري المغنيات اللائي كن يغنين بشعره ، وأغلب الظن ان هذه المجالس لم تكن للغناء وحده وانما كان يقع فيها من اللذات والشهوات وما الى ذلك الشيء الكثير • وفي اغاني ابي الفرج بعض اخبار تلك المجالس، منها عن جعفر بن قدامة أحد جلساء ابن المعتز ، (قال : كنا عند ابن المعتز يوماً وعنده نَشْر وكان يحبها ويهيم بها ، فخرجت علينا من صدر البستان في زمن الربيع ، وعليها غِلالة معصفرة وفي يديها جنابى باكورة باقلا ، فقالت له : يا سيدي تلعب معي جنابى ؟ فالتفت الينا وقال على بديهته غير متوقف ولا مفكر :

فديتُ من مرَّ يمشي في معصفرةٍ عشيّةً فسقاني ثمَّ حيّاني

وقال تلعب جنّابى فقلت له من جادَ بالوصلِ لم يلعبْ بهجرانِ

وأمر فغنى فيه)(٧٥) •

قلنا ان هذه المجالس لم تكن بريئة من العبث في اكثر الاحيان ، بل ربما كانت داعية الى الحب والتعلق بالمغنيات ، وقد روى عن ابن قدامة قوله : (كنا

(٧٤) الديوان (٢/٢١٦) وانظر امثلة اخرى في (٢/٤٨) ، (٢/٢٥٨) •

(٧٥) الاغاني (١٠/٢٨٠) وانظر المصدر نفسه (١٠/٢٨١) للوقوف على مجلس اخر من هذه المجالس •

عند ابن المعتز ومعنا النميري ، وعنده جارية لبعض بنات المغنين تغنيه ، وكانت محسنة الا أنها كانت في غاية من القبح ، فجعل عبدالله يجمشها ويتعلق بها . فلما قامت قال له النميري : ايها الامير سألتك بالله أتتعشق هذه التي ما رأيت قط أقبح منها ، فقال عبدالله وهو يضحك :

قلبيَ وثّـــابٌ الى ذا وذا ... ليسَ يَرى شـيئاً فيـــأباهُ
يَهيمُ بالحســنِ كما يَنبغي ... ويرحمُ القبـحَ فيهواهُ (٧٦)

ويظهر ان ابن المعتز قد شغل نفسه في مواصلة اولئك الجواري ومكاتبتهن وارسال رسله اليهن ، فكن يجبنه بطواعية ورضا في أكثر الاحيــــان ، فهو يقول :

شَغلتُ بلــذةِ القُبَـــلِ ... ووعــدِ الكُتْبِ والرسُــلِ
ومعشــــوقٍ يواصـــلُني ... بلا مطـلٍ ولا علَـــلِ
وندمــــــانٍ يســاعدُني ... ويَسقيني ويَشربُ لي (٧٧)

غير ان الذي استهوى ابن المعتز من هذه الملذات هو الشراب ، فانصرف اليه بكل طاقته وراح يتنقل بين الاديرة وحاناتها في سامراء وبغداد ، وينتهز كل فرصة سانحة لزيارتها واحتساء خمورها ، باذلاً في سبيل ذلك كل ما يملك من مال وصحة وسمعة وجاه ، فهو يقول بكل صراحة :

ومــا العيشُ إلاّ لِمُستهتَرٍ ... تظلُ عواذلُهُ في شَـــغَبْ
يَهيمُ الى كـــلِّ ما يَشتهي ... وإنْ ردَّهُ العَذْلُ لم يَنجذبْ
ويسخو بما قــد حوت كفّـهُ ... ولا يتبع المَنَّ ما قــد وهبْ
فكم فضةٍ فضَّها في ســرو ... رِ يومٍ وكم ذهبٍ قد ذهبْ (٧٨)

(٧٦) الاغاني (١٠/٢٨٤) وانظر المصدر والصحيفة نفسيهما للوقوف على مجلس اخر من هذه المجالس . وانظر بدائع البدائه (٣٤٥) .
(٧٧) الديوان (٢/٢١٨) .
(٧٨) نفسه (١/٤٠٣–٤٠٢) .

ويقول في شغفه بالخمر :

فَتَنَتْهُ السُّلافَةُ العَذْراءُ   فلها ودُّ نفسِه والصَّفاءُ(٧٩)

وقد شغلته لذة الخمر عن كل أمر يشغل غيره ، فهو لم يفكر في شيء سواها وعلى من يبحث عنه ان يتلمسه في حانة من الحانات أو في بستان ذي كروم مظللة وقد تنحى عن أمر الخلافة ومشاكلها ومن يعين لها او يعزل منها ، وابتعد عما كان يخوض به الآخرون من الجدل في المفاضلة بين عثمان وعلي او الانشغال في امور الحساب والتقويم :

قليلُ همومِ القلبِ إلاّ لِلَذةٍ   يُنعِّمُ نفساً آذنَتْ بالتنقُّلِ

فانْ تَطلُبْهُ تقتنِصْهُ بحانةٍ   والاّ ببستانٍ وكَرْمٍ مظلَّلِ

ولستَ تراهُ سائلاً عن خليفةٍ   ولا قائلاً من يعزلونَ ومن يلي

ولا صائحاً كالعَيْرِ في يومِ لذةٍ   يناظرُ في تفضيلِ عثمانَ أو علي

ولا حاسباً تقويمَ شمسٍ وكوكبٍ   ليعرفَ أخبارَ العلوم من أسفلِ

يقومُ كحِرباءِ الظهيرةِ ماثلاً   يُقلِّبُ في اصطرلابهِ عينَ أحولِ

ولكنَّهُ فيما عناهُ وسرَّهُ   وعن غيرِ ما يَعنيهِ فهو بمَعزلِ(٨٠)

وقد سجل ابن المعتز في شعره أسماء كثير من مواطن اللهو والشرب التي كان يرتادها ويختلف اليها في سامراء وبغداد ، وهي مواطن كانت تهيأ فيها كل ما يحتاجه أرباب اللذات وطلاب الشهوات من وسائل الترفيه والمداراة .

(٧٩) الديوان (١٥/٢) وانظر ايضا (٢/ ٣٦) الرقم (٦١٥) .

(٨٠) نفسه (١٩٦/٢) .

ففي سامراء كانت المطيرة والكرخ ودير السوسي[٨١] ، ودير العذارى والصوامع والقصر والجسر[٨٢] ، ودير عبدون[٨٣] ، والقادسية[٨٤] ، وفي بغداد القُفْص وقطربّل والدَسكرة وغُمَّى[٨٥] والكَرْخ[٨٦] وطِيزناباذ وكِركين[٨٧] .

وهكذا مضى ابن المعتز منطلقا في ميدان الشهوات باذلا في سبيلها ما في حوزته من أموال ، معللا اتجاهه هذا بأن الدنيا بساعاتها ، والحياة الى أمد ، والنفس أولى بميراث مالها من سواها ، فهو يقول :

عَرِّج على القُفْصِ وحاناتِها وعُجْ بنا في ظلِّ جناتِها

وعلّلِ النفسَ بها ساعةً فانما الدنيا بِساعاتِها[٨٨]

(٨١) انظر : الديوان (١٠٢/٢) يقول الاستاذ سيد الاهل : (وانه (اي ابن المعتز) ليجنح الى دير السوسى الذي كان قد ابتناه رجل من اهل السوس وسكنه هو ورهبانه معه بالجانب الغربي من سامراء ، وظننا انه الدير الذي بنيت سامراء بساحته وفضائه ، يبيت فيه ابن المعتز ليالي بين كؤوسه وشرابه واهله ويقول فيه ... (عبدالله بن المعتز ٩٨) .
ان سامراء واقعة على الضفة الشرقية من نهر دجلة وهذا الدير واقع في القادسية احدى ضواحي سامراء وفي جنوبها ، فلم يكن بحال موقع سامراء أو الذي بنيت فيه هذه المدينة .

(٨٢) الديوان (١٠٨/٢) .

(٨٣) نفسه : (١٠٩/٢) .

(٨٤) نفسه : (٢٢٤/٢) .

(٤٥) نفسه : (١١٧/٢) .

(٨٦) نفسه : (٢٠٢/٢) .

(٨٧) نفسه : (٤٧٧/٢) .

(٨٨) نفسه : (٦٥/٢) .

ويقول :

خليليَّ طوفا بالمُـــدامِ وبادرا ... بقيةَ عمري والسلامُ على مثلي

ألا إنمـــا جســـمي لروحـــي مطيـــةٌ ... ولابُدَّ يومـــاً أنْ تُعرّى من الرحلِ[٨٩]

ويقول :

أُوَرِّثُ نفسي مالَها قبلَ وارثي ... وأُنفقُهُ فيما تحبُ وتشتهي[٩٠]

ولكن أكان اندفاع ابن المعتز نحو الشراب من أجل اللذة وحدها ، أم كان اقباله عليه لسبب آخر ؟ . أكبر الظن ان ما أصاب أهله من كوارث ، وما حل به من شدائد ، وما تجمع في نفسه من هموم وآلام كان من أسباب هذا الاندفاع .

وقد مر بنا نكبة جده ووالده وجدته ، كما مر بنا ما تعرضت له كتبه من الدمار حين وقعت فيها الارضة ، وامتدت هـذه الحوادث فشملت داره في بغداد التي على الصراة حيث أغرقتها دجلة بمدها فاضطر الى اصلاحهـا واعمارها فقال فيها :

ألا مَن لنفسٍ وأحزانِهـــا ... ودارٍ تداعَى بحيطانِهـــا

أظَلُّ نهـــاريَ في شـــمسها ... شـقّياً لَقِيّـاً بِبنيـانِها[٩١]

---

(٨٩) الديوان (٢/٢١٦) .

(٩٠) نفس المصدر (٢/٢٦٠) .

(٩١) الديوان (٢)(٦٤٧) . من الجدير بالذكر ان الاستاذ خفاجي يقول في هذه الدار في كتابه : (ابن المعتز وتراثه في الادب ص ٨٠) : (ودخل الصولى عليه وقد هدمت داره التي على المطيرة بسامراء من اثر السيل وهـو يبنيها ..) . وهو وهم ، فداره هذه كانت في بغداد على الصراة ولـم تكن في المطيرة بسامراء ، على اننا لا نعلم ان له دارا في المطيرة كما يقـول الاستاذ خفاجي . وانظر ايضا في وصف داره الديوان (٢/٦٢٨) .

ويبدو ان الموت أخذ يختطف أقاربه وأصدقاءه وجواريه المحببات فازدحمت في نفسه الاحزان ، واضطربت في صدره الهموم ، فرفع عقيرته شاكيا قسوة الزمن ، وكثرة النوائب ويقول :

قد عَضَّني صرفُ النوائبْ ورأيتُ آمالي كواذبْ
والمرء يَعشَقُ لذَّة الدنيا فتعقِرُها المصائبْ
واذا تَفَوَّقَ درهما زَبَنَتْهُ حين يلَذ شاربْ[٩٢]

فهذه النكبات والحوادث جعلته يحسو الخمر ليذيب فيها آلامه ، ويداوي همومه ، ويريح أحزانه ، ويتناسى واقعه ، وفي شعره اشارات كثيرة الى هذه المعاني كقوله :

داوِ الهموم بقهوةٍ عذراءِ وامزُجْ بنارِ الراحِ نورَ الماءِ[٩٣]

وقوله :

وسَقّيا واشرَبا راحاً معتقةً
تستأصل الهمَّ والاحزانَ والفِكَرا[٩٤]

غير ان الشاعر — على ما يبدو — لم يكن مطلق الحرية في جريانه وراء هذه الملذات وبخاصة تعاطيه الشراب ، او لعله قد بلغ به الاندفاع في هذه السبيل مبلغا لم يستطع الخليفة المعتضد — وهو ابن عمه — السكوت عليه ، فنهاه عما شهر به من التمادي في هذه السبيل ، فانصاع لامره على مضض ، وكان يهتبل الفرص ليشير الى هذا المنع الذي حد من حريته ولذته ، مما

---

(٩٢) الديوان (٢٧٠/٢) .
وانظر ايضا في هذا المعنى الديوان (٢٧٦/٢ ، ٤٧٨ ، ١٥/٣) .

(٩٣) الديوان (١٢/٢) .

(٩٤) نفس المصدر (١٠٤/٢) .
وانظر الديوان (٣١/٢ ، ٧٥ ، ٢٣٣ ، ٢٣٢/٣-٢٣٣) .

يذكرنا بحالة بشار حين منعه المهدي من قول الغزل الذي تمادى فيه أيضا .
قال ابن المعتز مشيرا الى منع المعتضد له من تعاطي الشراب :

سَقَى اللهُ في غُمَّى بقيةَ منزلٍ   يُعفّيهِ ذيلٌ من جنوب وشمألِ
تركتُكَ لا تركَ المَلالةِ والقِلى   فما لي عليك نوحُ ثكلانَ مُعولِ
خليليَّ عوجا بعضَ ذا اللوم فاسألا   متى عهدُهُ بالشاربِ المتميّلِ
حمانيه آمرٌ لا أُطيقُ خلافه   وايعادُ سلطانٍ بمنعِي مُوكَّلِ (٩٥)

ويظهر أنه بعد ان قطع شطرا من حياته في اللهو ، أخذ يسترجع أيام أنسه ولذاته وما كان يقوم به في شرخ شبابه ، وكأنه يبتغي من ذلك تخفيف ما كان يحسه في نفسه من الألم والحسرات على ما آل اليه امره ، فيقول :

واهاً لأيامِ الصِّبا   مُحيتْ من الايام مَحوا
أيامَ تُغفرُ غَيَّتي   ويُظنُّ عمدُ الذنب سهوا
من كلّ عيشٍ قد أصبتُ لذيذهُ وسلكتُ نحوا (٩٦)

(٩٥) الديوان (٢/١٩٤) .

(٩٦) نفس المصدر (١/١٩٤-١٩٥) وانظر الديوان ايضا (١/٣٥ ، ١٥٩) .

الفصل الثاني

حياة ابن المعتز

زواجه وأولاده :

في حياة ابن المعتز مشكلة اختلف في الحكم عليها من ذكروه من القدامى والمحدثين . وهي مسألة زواجه أو عدمه ، ومسألة انجابه اولادا أو عدمه أيضا . ويمكن ان نقول ان الآراء في هاتين المسألتين تتشعب بصورة عامة الى ثلاث شعب :

١ – فهناك من ينفي زواجه ويتهمه بأنه كان حصورا لم يقرب امرأة قط ، ومن ثَمَّ لم يكن له ولد بطبيعة الحال ، ويمثل هذا الاتجاه ابن حزم[١].

٢ – وهناك من يجمجم الحديث في زواجه ، ويشير الى ان الشاعر بعد مقتله لم يبق له خلف يقرظه ولا عقب يرفعه ، ويمثل هذا الاتجاه ابو الفرج الاصفهاني[٢] .

٣ – وهناك من يؤكد زواجه ويؤيد انجابه اولادا أيضا ، ويمثل هذا الرأي الثعالبي[٣] .

---

(١) انظر ص٢٨ من هذه الدراسة . ويشايع ابن حزم في عدم الزواج – وان لم يتهمه بانه كان حصورا – سيد الاهل من المحدثين (عبدالله بن المعتز ١٨٥) .

(٢) انظر ص٢٨ من هذه الدراسة ، وذهب الى مثل هذا من المحدثين الدكتور الكفراوي (عبدالله بن المعتز العباسى ٢١) .

(٣) انظر ص ٢٩ من هذه الدراسة ، ويذهب الى مثل هذا من المحدثين الدكتور احمد كمال زكي (ابن المعتز ٣٦) ولكنه تشكك في انجابه اولادا (٣٧) .

أما ابن المعتز نفسه فيبدو انه لم يشر الى زواجه ولا الى اولاده اشارات واضحة ، مما جعل الدارسين يذهبون في هذه المشكلة المذاهب التي أشرنا اليها سالفا .

وكل ما جاء في شعره مقطوعتان في الهجاء احداهما في تطليق عرسه ، وثانيتهما في هجاء ابنة بسطام ووالدها ولعلها زوجته او عرسه التي أشار اليها في المقطوعة الاولى . يقول في الاولى :

ونقّبتُ عرسي بالطلاقِ مُصمّمـاً
وكانت حصـاةً بين رحلي وأخمصِي

فأبهتُ عُذّالي وفاتَ الـذي مضى
وهُنّيتُ عيشاً بعـد عيشٍ مُنغَّصِ (٤)

ويقول في الثانية :

دبّتْ بنيـةُ بسطام عقاربُهـا
نحوي ونامت على الأضغانِ والحَنَقِ

حتّى كأنيَ قـد فزّعـتُ والدَهـا
في المهدِ فانقلبتْ عيناهُ من فَرَقِ (٥)

ونحن لا نستبعد زواج ابن المعتز بل نرجح انه قد تم ولكن يظهر انه لم يستمر طويلا ، لامر لم نستطع الوقوف على حقيقتـه ، وان كان بعض الدارسين كما أشرنا يعزو ذلك الى اسلوب الشاعر في الحيـاة وقلة احتماله وضيقه بالقيود الزوجية ولعل ما يرجح هذا قوله :

أنا مذْ صارَ لي سـكَنْ   في ضـروب من الحـزَنْ

---

(٤) الديوان (١/٦٧٩ـ٦٨٠) .
(٥) نفسه (١/٦٦٨) .

هائمٌ العقلِ في نهـــاري وليلِي بلا وَسَـــنْ
بيتني عُدتُ مثلَ مـــا كنتُ أرعَى بلا رَسَـــنْ[6]

ونعود من جديد الى مشكلة انجابه الاولاد بعد ترجيحنا لزواجه ، ونطرح السؤال السابق وهو هل كان لابن المعتز اولاد ؟

أشرنا في الكلام على كنية الشاعر الى آراء الدارسين في ذلك وبينا انه نشأ في أن يكون له ولد يسمى العباس الذي يكنى به ، غير ان بعض الباحثين أشار الى ان له ولدا آخر يسمى عبدالواحد ، ولعل أقدم من ذكر هذا من الاقدمين الثعالبي في معرض دفاعه عن رجولة ابن المعتز وتبرئته مما كان يرمى به من العنة . فقال : (ومن عجيب أمره ــ أي ابن المعتز ــ انه كان يستكثر في اوصافه من التشبيه بالعنين ... حتى أتهم انه كان عنينا ولم يكنه (لمكان) ابنه عبدالواحد)[7] .

وتمسك الاستاذ خفاجي بهذا النص ليدعم رأيه في صحة نسبة الاولاد الى ابن المعتز[8] .

لقد تتبعنا هذه المشكلة فتجمع لدينا ثلاثة أشخاص كل منهم يسمى (عبدالواحد) ، فأولهم عبدالواحد بن الخليفة المهتدي ، جاء في تاريخ بغداد: (عبدالواحد بن محمد المهتدي بالله بن هارون الواثق .. أبو أحمد الهاشمي ... كان راهب بني هاشم صلاحا ، ودينا وورعا ... مات في ذي الحجة من سنة ثمان عشرة وثلاثمائة ...)[9] .

---

(٦) الديوان (١/٣٦٣) .

(٧) خاص الخاص (١٣٢) .

(٨) انظر : ابن المعتز وتراثه في الادب (٢٤٠ــ٢٤١) وجاء في ص ٨٢ــ٨٣ قول الاستاذ خفاجي (ولابن المعتز ابن اخر وهو عبدالواحد ولا ندري هل من زوجته ابنة بسطام ام من زوجة اخرى تزوجها بعد طلاق اولى زوجاته) .

(٩) (١١/٦) .

وثانيهم عبدالواحد بن الموفق . جاء في تاريخ الطبري حوادث سنة (٢٨٩ هـ) : (وفي ليلة الاثنين لاربع عشرة بقيت من شهر رمضان منها ، قتل عبدالواحد بن أبي احمد الموفق – في ما ذكر – وكانت والدته – فيما قيل – وجهت معه الى دار مؤنس لما قبض عليه داية له ، ففرق بينه وبين الداية فمكثت يومين أو ثلاثة ، ثم صرفت الى منزل مولاتها ، فكانت والدة عبدالواحد اذا سألت عن خبره قيل لها : انه في دار المكتفي ، وهو في عافية ، وكانت طامعة في حياته ، فلما مات المكتفي أيست منه وأقامت عليه مأتما)[١٠] .

وجاء في مروج الذهب: (وكان ممن قتل القاسم بن عبيدالله عبدالواحد ابن الموفق ، وكان معتقلا عند مؤنس الفحل ، فبعث اليه حتى أخذ برأسه ، وذلك في ايام المكتفي ، وقد كان المعتضد يعزه ، ويميل اليه ميلا شديدا ، ولم يكن لعبدالواحد همة في خلافة ولا سمو الى رياسة ، بل كانت همته في اللعب مع الاحداث ، وقد كان المكتفي أخبر عنه انه راسل عدة من غلمانه الخاصة، فوكل به من يراعي خبره وما يظهر من قوله اذا أخذ الشراب منه (ظهر منه ما يدل على عدم التفكير بالملك والسياسة) .. فلما انتهى ذلك الى المكتفي ضحك وقال : قد قلت للقاسم ليس عمي عبدالواحد ممن تسمو همته اليها... أطلقوا لعمي كذا وكذا ، فلم يزل القاسم بعبدالواحد حتى قتله . وقد كان المكتفي لما ان مات القاسم وتبين قتله لعبدالواحد أراد نبش القاسم من قبره، وضربه بالسوط ، وحرقه بالنار ...)[١١] .

أما الثالث فهو عبدالواحد بن المقتدر ، جاء في الهفوات النادرة : (وكتب – أي ابو الحسن القمي – يوما رقعة الى عبدالواحد بن المقتدر بالله يسأله مبايعته سقف ساج مذهب كان في بيت ماء من داره على دجلة بباب خراسان ...)[١٢] .

---

(١٠) (١٠/٩٣) .
(١١) (٤/١٩٢–١٩٣) .
(١٢) ص ٣٣٣ .

وأكبر الظن ان الثعالبي وهم في أمر عبدالواحد هذا فنسبه الى ابن المعتز ولعله كان يقصد به عبدالواحد بن الموفق دون سواه • اذ من الواضح ان قول الثعالبي يدل على ان عبدالواحد كان معروفا وكانت له مكانة وهذا ما لم تشر اليه المصادر الاخرى ، كما كان عليه ان يدرأ التهمة عن ابن المعتز بابنه العباس الذي كنى به او احدى بناته ، في حين ان عبدالواحد ابن الموفق كان معروفا وكانت مكانته مرموقة لدى أخيه المعتضد ولدى ابن اخيه المكتفي، بل كانت امه حريصة عليه وانها أقامت له مأتما عند تأكدها من قتله ، بل لعل اقدام القاسم على اغتياله كان بدافع من المكتفي نفسه الذي خامره الشك في مزاحمته له في الخلافة او تدبيره أمرا له ، على الرغم من تظاهره بالنقمة على القاسم ومحاولته نبشه واحراقه •• فهذه الامور كلها تدل على ان امر عبدالواحد بن الموفق كان مشهورا معروفا في غضون القرن الثالث الهجري وامتد الى القرن الذي تلاه فالتبس امره على الثعالبي ، واذا صح هذا فالزعم بأن لابن المعتز ابنا يسمى عبدالواحد غير صحيح ولا يقوم على سند من الحقيقة •

وأثار الاستاذ خفاجي مشكلة أخرى في أمر اولاد ابن المعتز فادعى ان له بنتا أيضا قال (ولابن المعتز بنت توفيت في حياته ، ورثاها في شعره قال :

أَيا شَعبةَ النفس التي ليس غيرُها
سقطتِ فقد أَفردتِ عودي لكاسر

الخ ، وقال في رثائها أيضا :

سقياً لوجه حبيبةٍ أودعتها كَفناً ورمسا
ثم انطلقنا مسرعين الى القبور نزف شمسا[13]

(١٣) ابن المعتز وتراثه في الادب والنقد والبيان (ص ٨٣) .

ويبدو ان الاستاذ خفاجي اعتمد على نسخة ديوان ابن المعتز المخطوطة والموجودة في دار الكتب المصرية وهي النسخة التي رمزنا لها بعلامة (د) عند تحقيقنا الديوان ، فقد جاء العنوان للمقطوعتين اللتين أشار اليهما الاستاذ خفاجي في تلك النسخة : (وقال يرثي ابنة له) في حين ان اقدم النسخ المخطوطة وهي النسخة (ل) التي يرجع تاريخ نسخها الى سنة (٣٧٢هـ) قدمت للمقطوعة الاولى (وقال) وللثانية (وقال يرثي جارية له) واتفقت مع (ل) في عنوان المقطوعة الثانية كل من النسخ المخطوطة الاخرى ما عدا (د)[١٤] ، وشاركت (د) في عنوان المقطوعة الثانية النسختان : (ع ، أ) •

ونرى من المستحسن ان نذكر المقطوعتين السابقتين دون الاجتزاء منهما بأجزاء كما فعل الاستاذ خفاجي • قال في الاولى :

وغَرس من (الأحباب) غيّبتُ في الثرى
وأسقيتُهُ أجفاني بسَحٍّ وقاطرِ

فأثمرَ همّاً لا يبيدُ وحسرةً
لقلبيَ يجنيها بأيدي الخواطرِ

أيا شعبة النفسِ التي ليس غيرُها
سقطتِ فقد أفردت عودي لكاسرِ

ويا دهرُ حتّى هذه قد فعلتَها
على مثلها كانت تدور دوائري[١٥]

(١٤) يعول الاستاذ خفاجي في نسخة الديوان المخطوطة التي رجع اليها : (وفي الديوان المخطوط كثير من التحريف والخطأ في نسبة شعر ابن المعتز للذين نظم فيهم الشاعر قصائده) .
(هامش ٦ ص ٩٢) • وقد حاولنا في التحقيق ان نصحح الكثير من تلك الاخطاء والتحريفات .

(١٥) الديوان (٣/٤٩) .

وقال في الثانية :

يا دهرُ كيف شققتَ نفسا ... فخلستَ منها النصفَ خَلْسا

وتركتَ نصفاً للأسى ... جُعِلَ البقاءُ عليه نحسا

سقياً لوجه (حبيبةٍ) ... أَودعتُه كفناً ورمسا

عهدي به وكأنما ... ذَرَّ الحِمامُ عليه ورْسا

ثم انطلقنا مسرعينَ ... الى القبورِ نزُفُّ شمسا[16]

ولابن المعتز مقطوعة أخرى (يرثي جارية له توفيت) :

سقياً لمن في الثرى أَمست منازلُه ... ومَن بدارِ البِلَى قَرَّت رواحلُه

أمسيتُ خِلواً من الأحبابِ منفرداً ... والسيف يَبقى ولا تبقى حمائلُه[17]

اكبر الظن ان هذه المقطوعة قيلت في رثاء شخص واحد واكبر الظن ان التي رثاها هي احدى جواريه المحببات لديه ، وليست ابنة له ، كما وهم ناسخ المخطوطة (د) ، ولعل لفظة (الاحباب) في الاولى والثالثة ، و (حبيبة) في الثانية دليل على هذا ، واذا صح هذا فلم يكن لابن المعتز ابنة كما يرى بعض الدارسين ايضا .

صفاته ومعتقده :

كان ابن المعتز شديد السمرة ، مسنون الوجه ، يخضب بالسواد ، هذا

---

(16) الديوان (٣/٥٦) .

(17) نفسه (٣/٧٤) .

كل ما تحدثنا به عـن صفاته الجسمية المصادر القديمة[18] ، وقد اشـار هو الى جماله وشبابه بقوله :

وشـباب كـان يعجبني وبـه قـد كنت لعّـابا
جاه حسنٍ مـا رُددتُ بـه وشـفيع" قـط ما خـابا[19]

وبقولـه :

اذا ما تمشّـتْ فيّ عـينُ خريـدةٍ
فليسـتْ تخطّـاني الى مَـنْ ورائيـا[20]

واكبر الظن انه كان رجـلا طوالا كأبيه ، ولعل ما يؤيد هذا قوله :

سـقياً لعصـر شـبابي اذ لِمّتنـي سَـبجيّه
وإذْ أَمُـد ردائِـي بقامـةٍ خطيّـه[21]

ويبدو ان الشيب قد دهمه في سن مبكرة ، ولعل من أسباب ذلك ما تعاوره من النكبات المتعاقبة والهموم المترادفة ، فاضطر الى اخفائه بحيلـة الخضاب فهو يقول :

شـيّبتني ــ ولم يشيّبني السـ ـنُ ــ هموم" تترى ودهر" مريد[22]

---

(١٨) انظر : وفيات الاعيان (٢/٢٦٦) ، وفوات الوفيات (١/٥٠٦) وتاريـخ بغداد (١٠١/١٠) . جاء في اللسان : (ووجه مسنون : مخروط أسـيل كأنه قد سن عنه اللحم ، وفي الصحاح : رجل مسنون الوجه : اذا كـان في انفه ووجهه طول) .

(١٩) الديوان (١/٣٥) .

(٢٠) نفسه (٣/٢١٧) .

(٢١) نفسه (٢/٢٦١) .

(٢٢) نفسه (١/٧٩) .

ويقول :

ومَشى الشيبُ قبلَ عقد الثلاثيـ ـنَ فلمّا انتهى إليهـا أغذّا[23]

ويقول :

أيّها الشـيبُ قد عبثتَ برأسـي إنّ عسري عشرٌ وعشرٌ وبنجٌ[24]

ومن أجل هذا فقد كثر في شعره الحديث عن الشيب والخضاب • ومن المحتمل انه كان أنيق الملبس معنى بزيه وهندامه ونحـن وان كنـا نجهـل نوع ملابسه وألوانها ، الا اننا نعرف نوعها والوانها في وقـت اسـتخلافه • قال الصولي في معرض الكلام على القاء القبض على ابن المعتز : (فوقفت حتى رأيته من حيث لم يرني وقد أخرج من الطيار حافيا عليه غلالة قصب فوقها منطقة ملحم خراساني يضرب الى الصفرة قليلا ، وعلى رأسه مجلسه •••) (الاوراق ٢٧ ف قسم اخبار المقتدر) •

وكان الى جانب هذه الصفات يتحلى بصفات اخرى لم تحدثنا عنها المصادر التي تصدت للكلام عليه . وانما نستطيع ان نستقرئها من شعره ومن بعض أخباره التي تسربت الينا ، فقد كان دمث الخلق لطيف المعشر ، كريم النفس ، مرهف الحس ، ذواقة للجمال ، وفيا ، كتوما ، صبورا ، ذا ارادة وآمال ، كثير الفرح والسرور ، يميل الى لعب الشطرنج ، والى حفلات الصيد ، فيـه دعابة خفيفة . ووطأة شديدة على من يتصدى له • ومن أجل هذا فقد كـان يجتمع عنده كثير من اصدقائه الادباء والظرفاء ، فكان يحتفي بهم ويتحفهم بافكاره وآرائه ويبرهم بكرمه وافضاله ، كما كان يعقد مجالس الطـرب

---

(٢٣) الديوان (١/٩٢) .

(٢٤) نفسه (٣/١٤٧) .

والظـرافة ويدعـو اليهـا اربـاب الغنـاء والفـن ، ويسـبغ عليهـم مـن عطاياه ونعمه الكثير . جاء في قطب السرور (١٩٧ ــ ١٩٨) (ودعـا ابن المعتز جماعة من المغنين فخلع عليهم ولم يكن جحظة حاضرا ، فبعث اليـه خلعة الى منزله وزاده عليهم فرسا ، فغاظهم ذلك ، فنالوا منه ، وبلغه قولهم ، فكتب الى ابن المعتز :

اطـال لك العمـر ربّ السـماء   وزادك في الخـير مـن خـيره
أتـاني الكميت بلـون غـريب   يبـاري الجنـائب في سـيره)

ولا أدل على وفائه من مدائحه لمن كان يسدي اليه فضلا في حياته ، ومن مراثيه له بعد وفاته[٢٥] .

وقد أحس ابن المعتز بصفاته هذه فأشاد بها في غضون شعره ، فقال يصف خلقه عند الشراب :

وكنتُ كما شاءَ النديمُ ولم أكـنْ   عليها سفيهاً يفرسُ الناسَ صخّابا[٢٦]

أما صبره وجلده على ما أصابه منذ طفولته حتى أواخر حياته فأمر يعرفه كل من أطلع على شيء من سيرة حياته[٢٧] .

ولعل ما أُحيطَ به من ظروف قاسية وما انتابه من هزات عنيفة جعلـه كثير التحفظ ، قليل البوح بأسراره ، ولهذا فقد أكثر في شعره من ضرورة كتمان السر ، وعدم اشاعته[٢٨] .

---

(٢٥) انظر : مدائحه لآل وهب ورثاءه لهم ، وانظر : مراثيه لاصدقائه كمراثيه لعلي بن المنجم مثلا .
(٢٦) الديوان (٣١/١) وانظر ايضا (٥٦/١) .
(٢٧) انظر : (ابن المعتز العباسي) للدكتور احمد كمال زكي (٣٨) .
(٢٨) انظر الديوان (٦٤/١) ، (١٨٣/١–١٨٤) .

ويظهر انه عاش وفي صدره أمل كبير يراوده ويسعى الى تحقيقه ، وانـه على الرغم من تكتمه وتحفظه في اقواله واعماله كان يطغى احيانا فيجتاز الحجب التي يختفي وراءها ويظهر فيما ينفثه في قريضه من الزفرات والشكوى ، فهو يقـول :

ألا زوّدِي يا ربـةَ الخـدر راحـلا
يبيـعُ بأرضٍ قد دَعتْ شخصهُ أَرضـاً

ينَـلْ (أملاً) او تسـتوِي الارضُ فوقـه
ويُمسِي كذِي نفسٍ الى أَجلٍ أَفضَى[٢٩]

ويقول :

الى الله أَشـكو انّ في النفسِ حاجـةً
تَمـرُّ بهـا الأَيامُ وهي كمـا هيـا[٣٠]

ولكـن ما هذا الامل الذي كان ينشده ابن المعتز ويترقبه ؟ اكبر الظن انه الخلافة ! ولعل ما يوضح هذا قول ابن الفرات حين أراد ابعاد ابن المعتـز عن الخلافة (هذا وهو (اي ابن المعتز) يعتقد ان الامر كان له ولابيه وجده ، وانه مظلوم ، منذ قتل ابوه ، مهضوم ، مقصود ، مضغوط)[٣١] .

وتظهر دعابة ابن المعتز مع اصدقائه واودائه وبخاصة صديقه الشاعـر النميري وفي فن الهجاء والذم شيء كثير من تلك الدعابة .

هذه الصفات مجتمعة هي التي جعلت من ابن المعتز شخصية مرموقـة يتطلع اليها الناس في ساعة حرجة من ساعات الفوضى السياسية التي اعقبت وفاة المكتفي واستخلاف اخيه المقتدر ، كما سنشير الى ذلك فيما بعد !

(٢٩) الديوان (٢/٣٤٠)
(٣٠) نفسـه (٣٩٨/٣) .
(٣١) تحفة الامراء في تاريخ الوزراء (١٣١) .

كان ابن المعتز عربي النزعة ، عباسي الاتجاه . ومن أجل هذا فقد كان يرد على من يطعن على العرب من الشعوبيين ، كما كان يرد على من يخرج على العباسيين من علويين وغيرهم . وشعره في ذلك توزعته فنون : الفخر ، والمديح ، والهجاء ، والرثاء ايضا من ديوانه . وكان سنيا على غرار ما كان عليه جده وأبوه[٣٢] .

ويظهر ان كثرة ما تتابع من المكاره لمن كان تربطه به وشائج القربى واواصر الصداقة جعلته وكأنه يستسلم للقدر او يرى رأي القدرية في ذلك ، فهو يقول :

رُويدكِ إنَّ الدهرَ ما قد علمتِهِ وليس لنا من حُكمِهِ كلُّ ما نَرضى
ولا بدَّ أن يُصغِي الى البؤس جانبُ النعيم ويقضِي مُنيةً ثمَّ لا تُقضَى
أرى الدهر يقضِي كيف شاء مُحكَّماً ولا يَملِكُ الانسانُ بسطاً ولا قَبضا[٣٣]

---

(٣٢) جاء في الكامل (٨/١٦) في معرض الكلام على فشل خلافة ابن المعتز : (ولما رأى ابن المعتز ذلك ركب ومعه وزيره محمد بن داود وهربا وغلام له ينادي بين يديه : يا معشر العامة . ادعو لخليفتكم السني البربهاري) ومن الطريف أن بعضهم استدل على انه كان حنفي المذهب من قوله في الخمرة المطبوخة :

خليلي قد طاب الشراب المبرد وقد عدت بعد النسك والعود احمد
فهات عقارا في قميص زجاجة كياقوتة في درة تتوقد
وقتني من نار الجحيم بنفسها وذلك معروف لها ليس يجحد

(وفيات الاعيان ٢/٢٦٦) .

(٣٣) الديوان (٢/٣٣٨-٣٣٩) .

ويقول في رثاء المعتضد :

يا دهـــرُ ويحكَ ما ابقيتَ لي أحــدا
وأنت والدُ ســـوءٍ تأكــلُ الولــدا

اســتغفرُ اللــه بــل ذا كلّــه قــدرٌ
رضيــتُ بالله ربّاً واحــداً صمــدا[٣٤]

علاقته برجال عصره :

اتصل ابن المعتز بثلاثة من خلفاء العباسيين وبعدد من الامراء والوزراء كما كانت له صلات حسنة مع كثير من أدباء العصر وشعرائه وظرفائه ، وله مع هؤلاء جميعا أخبار وأشعار ومكاتبات .

لقد اتصل بالمعتمد[٣٥] الذي عكف على الملذات وترك امور الدولة بيد أخيه الموفق . غير أننا لا نعرف الكثير عن علاقة ابن المعتز بعمه المعتمد سوى اعادته له معجدته من مكة بعد استخلافه الى سامراء ، وكان الشاعر آنذاك مايزال في مرحلة الطفولة ، بيد أن بعضهم يشير الى شيء من صلته بالخليفة فيقول : (... غير ان المعتمد نفسه غيّر موقفه منه في أواخر خلافته فكان يستدعيه الى مجلسه ويعده من أخصائه)[٣٦] . وقد روى ابن المعتز بعض أشعار المعتمد مما يدل على مجالسته له[٣٧] . وفي ديوان ابن المعتز قصيدتان وردتا في المديح، جعل عنوان الاولى منهما (وقال يمدح المعتمد على الله) ، وهي تتألف من أربعة وعشرين بيتا ومطلعها :

هــذا الفراق وكنــت أفرقــــهُ   قد قرّبتْ للبَين أيْنقهُ[٣٨]

---

(٣٤) الديوان (٣/٢١) وانظر ايضا (٣/٧٦–٧٧ . ٨٢–٨٣ . ٨٥ . ٢٩٥) .
(٣٥) انظر ترجمته في الديوان حاشية (١/٤٨١–٤٨٢) .
(٣٦) دائرة المعارف للبستاني (٤/٤٦) .
(٣٧) انظر الديارات (٩٩) .
(٣٨) الديوان (١/٤٨٢) .

ويبدو أن الخليفة كان في سفر بدليل قوله فيه :

أهلاً وسهلاً بالإمام فقد جلّى الدجى وأنارَ مشرقُهُ
فَرِحتْ به دارُ الملوكِ فقد كادت الى لُقياه تسبقُهُ

أما عنوان القصيدة الثانية فهو في نسخ الديوان المخطوطة : (وقال يمدح المعتضد على الله حين رجع وقتل البصري) • في حين جاء في الاوراق : وقال فيه ــ أي المعتضد ــ • وهي تتألف من واحد وعشرين بيتا وأولها :

يا صاحِ وَدّعتُ الغواني والصِّبا
وسلكتُ غيرَ سبيلهنَّ سبيلا[39]

والقصيدة لا تشتمل على أية اشارة تدل على أنها في هذا الخليفة أو في قتله أحدا ــ وأكبر الظن أنها في المعتضد ، وانه قالها بعد استخلافه ففيها اشارات تدل على أنها فيه • منها : اولها الذي يشير فيه الشاعر الى توديعه عهد الغواني والصبا . ومعنى هذا انه اجتاز مرحلة الشباب وأشرف على عهد الكهولة . ومنها شكواه من صعوبة الوصول اليه ، وهي شكوى يرددها في شعره الذي قاله في المعتضد ، فهو يقول :

أهلاً وسهلاً بالإمام ومرحباً
لو استطيعُ الى اللقاءِ سبيلا

ومنها أوصافه وهي أوصاف خلعها عليه كثيرا في شعره الذي قاله فيه • وهناك مقطوعة من ثلاثة أبيات لابن المعتز قيل انه قالها في المعتمد ، وقيل إنها في المعتضد •

---

(٣٩) الديوان ٤٩٦/١ •

واتصل أيضا في غضون حكم المعتمد بشخصية كبيرة من شخصيات الامراء العباسيين وهو أبو أحمد طلحة بن المتوكل[٤٠] • وفي ديوان الشاعر ست مقطوعات وأربع قصائد في مدح الموفق ورثائه • يبلغ عدد أبياتها (١١٤) اربعة عشر بيتاً ومائة بيت •

لقد كانت حنكة الموفق السياسية ، وجرأته الحربية ، وذوده عن الخلافة مادة استوحى منها ابن المعتز ما قاله فيه . ومن أجل هذا فقد أكثر من ايراد لقبه الذي عرف به وهو (الناصر لدين الله) كقوله في قصيدة :

يا ناصر الاسلام إذْ خُذِلتْ
دعواتُهُ فابتلَّ وانتعشا[٤١]

وحين يموت الموفق في سنة ٢٨٧ هـ نجد الشاعر يرثيه ويندبه [٤٢]

كما اتصل أيضا بالخليفة المعتضد[٤٣] •

ان شخصية المعتضد القوية كانت محببة لدى ابن المعتز . ولعله وجد فيه الامل الذي كان ينتظره للحد من الفوضى السياسية التي ضوحت بجده ووالده من قبل ، ولهذا نجده يجهد في الاتصال بالخليفة وينشط في تسجيل الكثير من أعماله السياسية والعمرانية •

ونحن لا نعرف شيئا عن صلة الشاعر بالمعتضد قبل استخلافه وأغلب الظن ان شعره فيه جاء بعد ذلك •

---

(٤٠) انظر ترجمته في الديوان حاشية (١/٤٢٧–٤٢٨) .
(٤١) الديوان (١/٤٦٢) .
(٤٢) يقول الاستاذ خفاجي (ابن المعتز وتراثه في الادب ٨٦) : ولما توفي الموفق عام ٢٧٨هـ رثاه ابن المعتز بقصائد كثيرة (كذا) بعضها في ديوانه المطبوع والاخرى في ديوانه المخطوط) . والحقيقة ان ابن المعتز رثى الموفق بثلاث مقطوعات تقع في ثمانية أبيات ، وبقصيدة واحدة تقع في (٤١) بيتا .
(٤٣) انظر ترجمته في الديوان حاشية (١/٢٩٢–٢٩٣) .

وفي ديوانه تسع مقطوعات وست عشرة قصيدة تبلغ أبياتها جميعا (٨٢٦) ستة وعشرين وثمانمائة بيت من ضمنها مزدوجته التاريخية •

ويظهر ان ابن المعتز حاول التقرب من المعتضد منذ أول خلافته في سنة (٢٧٩هـ) ، فهو يقول في احدى قصائده فيه :

يا أميرَ المؤمنين المُرجَّى قد أقرَّ الله فيكَ العيونا

ودعتنا لك بيعةُ حقٍّ فسعينا نحوَها مُسرعينا

بنفوسٍ آمَلَتْك زماناً سبقت أيدينا طائعينا[٤٤]

ويبدو أن العلاقة بينهما لم تكن على وئام دائما ، اذ في شعر ابن المعتز ما يدل على أنه أبعد عن الخليفة وحيل بينه وبين الوصول اليه • ونحن لا نستطيع أن نحدد زمن ذلك ، أو هل كان هذا الجفاء قد حدث مرة واحدة أو مرات مدة خلافة المعتضد التي استمرت زهاء عشر سنين • كما لم نعثر على أسباب هذا الجفاء وان كان الشاعر قد ذكر أكثر من مرة ان الخليفة قد نهاه عن الشراب فانصاع لامره مكرها[٤٥] ، ولعل وراء هذا السبب سببا أو أسبابا أخرى لم يفصح عنها الشاعر كما لم تشر اليها المظان الاخرى •

وهناك أمر آخر في صلة الشاعر بالمعتضد وهو مكان اقامته خلال هذه الحقبة ، او على الاقل في اوائلها ، فهل كان يقيم في بغداد او كانت اقامته في سامراء في قصور والده ؟ او انه كان يتردد بين المدينتين ، ثم استقر في بغداد بعد ذلك ؟ الارجح انه كان في سامراء ثم دعي الى بغداد فأقام بها بعد أن هيء له مسكن ذكره في شعره كثيرا •

---

(٤٤) الديوان ١/٥٩٢ •

(٤٥) انظر ص٥٥–٥٦ •

قلنا ان جفاء حدث بين الشاعر والخليفة ، والظاهر انه طال بعض الشيء فراح ابن المعتز يوالي مدح الخليفة ولكنه يلمح الى هذا الجفاء والى طول شوقه للقاء ، فيقول من قصيدة :

إنْ أغبْ عنك فما غاب شـكري دعـوةً جاهـدةً وامتـداحا[٤٦]

ويقول من أخرى وكان نظمها في سنة ٢٨١ هـ :

وقـد طالَ شوقي الى وجهـه فضاق بسري ضميري فباحا

وانـي لمنتظـرٌ رأيـه كما انتظرَ العاشقونَ الصباحا[٤٧]

ويقول من اخرى وقد استطال جفاءه :

قد طال عهـدي بالإمامِ وأخلقتْ أسبابُ وعد كادَ يدرسُ ذكرُهُ

ظلتْ تحاربُني العوائقُ دونَهُ ويمدُّني أمدٌ طويلٌ صَيْرُهُ[٤٨]

ويظهر ان هناك عوائق كانت تعترضه في هذا اللقاء ، واكبر الظن انها من صنع المعتضد نفسه ، كما يبدو ان الشاعر لم يكن في بغداد ، ولعله كان في سامراء ، وانه جهد في القرب منه ولكنه لم يفلح فبقى مطرحا مجفوا ، فهو يقول :

لَعمري لئن أمسى الإمامُ ببلدةٍ
وأنتَ بأخرى شائقُ القلب نازعُ

لقد رمتَ ما يدنيكَ منه وانما
أتى قَدَرٌ والله معطٍ ومانعُ

واني لكالعطشانِ طال به الصدى
اليه ولكن ما الذي أنا صانعُ

(٤٦) الديوان (١/٤٢٢) .
(٤٧) نفسه (١/٤٢٤) .
(٤٨) نفسه (١/٤٤١) .

أيذهب عـُمري والعوائقُ دونـــــهُ
على ما أرى إني الى الله راجــــعُ

وما أنا في الدنيـا بشيءٍ أنالـــــهُ
سوى أنْ أرى وجه الخليفة قانــعُ(٤٩)

ويظهر ان وزير المعتضد عبيد الله بن سليمان قد تدخل في أمر هـذا الجفاء فحاول تخفيفه بما كان يثني به على الشاعر في حضرة الخليفة فهـو يقول :

وذكّـرتَ بي سـمعَ الإمـام وعينَهُ
ورفّعتَ ناري كي يرى ضوءَها الساري(٥٠)

ويرضى الخليفة عنه ويأمر باحداره من سامراء الى بغداد فيتلقى الامر بالانشراح ويسارع الى الرحيل ويقول في ذلك :

دعاني الإمـامُ الى قربـــهِ فأهلاً بذاكَ وسـهلاً بـــهِ

ويشير الى تعويق الدهر له عن هذا اللقاء في قوله :

وعوّقني الدهرُ عن قربـــهِ زماناً فقـد تـابَ عـن ذنبهِ(٥١)

ويبدو أن المعتضد قد مال الى الشاعر وأحله من نفسه محلا كبيرا فأسبغ عليه من نعمه ، ووسع له في عيشه ، وفي هذا يقول :

أفرشتَني أمنـاً يقرُ مضـاجعي وذكرتَني فبررتني بحَيَا فمِ(٥٢)

---

(٤٩) الديوان (١/٤٧١) .
(٥٠) نفسه (١/٤٤٠) .
(٥١) نفسه (١/٣٩٨) .
(٥٢) نفسه (٣/٨٨) .

ولا أدل على هذه المكانة من نفس المعتضد من الرواية التي تقول ان الناس حين رأوا سوسنا أحد اتباع المقتدر يلطم وجه ابن المعتز عند القبض عليه استعظموا ذلك وقالوا لو كان المعتضد حيا لقطع يد سوسن .

وكان ابن المعتز يحس هذا العطف من الخليفة . لذلك نراه يصاب بالفزع حين سمع بمرضه فأخذ يتضرع الى الله ان يشفيه مما هو فيه :

رفعتُ يدي أستوهبُ الله صحةً

لخيرِ إمامٍ سالكٍ في التُّقَى نَهجا[53]

وحين يحم القضاء وينتهي أمد الخليفة نرى الشاعر يندبه بشعر يفيض أسى وحزنا . ولعل مرثيته التي مطلعها :

يا دهرُ ويحكَ ما أبقيتَ لي أحدا

وأنتَ والد سَوءٍ تأكلُ الولدا[54]

تقف في مصاف أجود المراثي في الشعر العربي .

وقد سجل الشاعر الكثير من أعمال الخليفة المعتضد الحربية والعمرانية، ثم جمعها كلها في قصيدة كبيرة هي مزدوجته المعتضدية .

وآخر من اتصل به من الخلفاء هو المكتفي[55] .

ومن الجدير بالذكر ان ابن المعتز قد تعرض وبعض الأمراء العباسيين، الى الحبس في أول خلافة المكتفي هذا احترازا وحيطة[56] من قبل القاسم بن

---

(٥٣) الديوان (١/٤١٦) .

(٥٤) الديوان (٣/٢١) .

(٥٥) انظر ترجمته في الديوان حاشية (/٤٣٩) .

(٥٦) جاء في الفخري (٣٣٦) (كانت عادة الخلفاء العباسيين أن يحبسوا اولادهم وأقاربهم، وبذلك جرت سنتهم الى اخر أيام المستنصر ، فلما ولى المستعصم اطلق أولاد الخلافة ولم يحبسهم) .

عبيد الله . جاء في تاريخ بغداد عن أبي بكر الصولي : (قال كان القاسم بن عبيدالله الوزير قد تقدم عند وفاة المعتضد بالله ، الى صاحب الشرطة مؤنس الخادم ان يوجه الى عبدالله بن المعتز ، وقصي بن المؤيد ، وعبدالعزيز بن المعتمد ، فيحبسهم في دار ، ففعل ذلك ، فكانوا محبسين خائفين الى ان قدم المكتفي بالله بغداد فعرف خبرهم ، فأمر باطلاقهم ، ووصل كل واحد بألف دينار . قال : فحدثنا عبدالله بن المعتز قال : سهرت ليلة دخل في صبيحتها المكتفي الى بغداد . فلم أنم خوفا على نفسي ، وقلقا بوروده ، فمرت بي في السحر طير فصاحت . فتمنيت أن أكون مخلى مثلها ، لما يجري عليّ من النكبات ، ثم فكرت في نعم الله علي ، وما خاره لي من الاسلام ، والقربة من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما أؤمله من البقاء الدائم في الآخرة فقلت في الحال :

يا نفس صبراً لعلَّ الخيرَ عُقباكِ

خانتك من بَعدِ طول الأمنِ دنياكِ (٥٧)

وقد أشار ابن المعتز الى حبسه هذا في قصيدة مدح بها القاسم بن عبيد الله واختتمها بقوله :

فيا جودَ كفيه امحُ آثارَ بأسه

فانَّ عليه أرْشَ حبسِي ولم أجنِ (٥٨)

وفي ديوان ابن المعتز ثلاث مقطوعات وثلاث قصائد في مدح المكتفي وتسجيل اعماله الحربية ، تقع في (٨٣) ثلاثة وثمانين بيتا .

وكانت له علاقة مع أحد افراد اسرته وهو أبو محمد بن المتوكل ، ويبدو انه أحد ابناء جده المتوكل ، فقد جاء في مقدمات قصائد ابن المعتز في مدحه

---

(٥٧) (١٠/٩٨) .

(٥٨) الديوان (٦٠٤/١) .

ورثائه بهذه الكنية ، غير ان ابن المعتز كان يذكره في شعره باسم (محمد) وقد جاء في جمهرة أنساب العرب في صدد الكلام على ولد المتوكل ان لاسماعيل شقيق المعتز ابنا اديبا اسمه موسى ويكنى أبا محمد ، فهل معنى هذا ان هناك اثنين من اقربائه كانا يكنيان بهذه الكنية . ويبدو ان أبا محمد هذا كان محبوسا في حبس الموفق ببغداد كما تشير الى هذا مقدمة القصيدة التي يمدحه بها والتي مطلعها :

فكّ حرّ الوجدِ قيدَ البكاء فاعذريني أو فسوتي بِداء (٥٩)

ويظهر انه مات ولا ندري هل مات في حبسه أو مات حتف أنفه . ولابن المعتز خمس مقطوعات وست قصائد ، قصيدة واحدة في مدحه وما تبقى في رثائه وتبلغ ابياتها جميعا (١٨٠) ثمانين ومائة بيت . كما كانت له صلة مع آل وهب .. وهم من الاسر الادبية والسياسية في العصر العباسي ، أشهر أفرادها في عهود المعتصم والواثق والمعتمد الحسن بن وهب ، وسليمان وهب ، وكان الاول احد كتاب محمد بن عبدالملك الزيات وزير المعتصم والواثق والمقربين اليه ، وهو أديب وشاعر ، كما كان الثاني احد وزراء الموفق في عهد المعتمد(٦٠) . واشتهر من ابناء سليمان عبيدالله(٦١) وابنه القاسم (٦٢) .

وكانت صلة ابن المعتز بآل وهب وبخاصة عبيدالله والقاسم صلة وثيقة ، ومن أجل هذا نراه يكثر من مدحهما والثناء عليهما ووصف احوالهما مما لانجد له مثيلا في شعره الا في علاقته مع المعتضد والمكتفي ، ولعل هذه الصلة تقوم على ما كان يسبغه هذان الوزيران على ابن المعتز من المنح والعطايا ، وعلى ما كان يوفران له من الامن والسلامة ، والاطراء الحسن في حضرة المعتضد والمكتفي .

---

(٥٩) نفسه (١/٣٨٢) .

(٦٠) انظر : اخبار ابي تمام (٢٦٧) والفخري (٢٥٤) .

(٦١) انظر ترجمته في الديوان حاشية (١/٣٩٧) .

(٦٢) انظر ترجمته في الديوان حاشية (١/٣٩٨) .

وفي ديوانه في آل وهب (٥٤) اربع وخمسون مقطوعة وقصيدة ، منها ثلاث مقطوعات في الثناء على هذه الاسرة عموما ، ومنها سبع مقطوعات وخمس قصائد في مدح عبيد الله . واثنتا عشرة مقطوعة واربع قصائد في رثائه . وثمان مقطوعات واربع قصائد في مدح القاسم وثلاث مقطوعات في رثائه . ويبلغ مجموع أبيات القصائد والمقطوعات جميعا (٣٧١) واحدا وسبعين وثلاثمائة بيت .

وأتصل أيضا بأحد رجال هذا العصر وهو أبو الحسين جعفر بن محمد ابن ثوابة(٦٣) . وكان من أصدقائه واودائه ، وله فيه ثلاث مقطوعات ، واحدة في مدحه . واثنتان في رثائه تقع جميعا في(١٧) سبعة عشر بيتا .

وربطت وشائج الادب وأواصر الشعر بينه وبين كثير من أدباء العصر وشعرائه ، وكانت بينه وبينهم مكاتبات ومساجلات شعرا ونثرا . وممن كانت له معه صلة :

آل المنجم : وهم من الاسر الادبية في هذا العصر واشهر افرادها : أبو الحسن علي بن يحيى المنجم (٦٤) ، وابنه أبو احمد يحيى بن علي المنجم (٦٥) . وكانت صلة ابن المعتز بهذه الاسرة حسنة ولكنها شيبت ببعض التوتر حين وقع الخلف بينه وبين يحيى ، عندما وقف ابن المعتز على شعر له يدل على شعوبيته والتعريض بالعرب وقريش خاصة ، فرد عليه وصلاه بقارص هجائه .

وفي ديوان ابن المعتز سبع مقطوعات وأربع قصائد في آل المنجم ، منها : ثلاث مقطوعات وقصيدة في رثاء أبي الحسن علي بن يحيى ، ومقطوعتان في مدح ابنه يحيى ، ومقطوعة في عتابه ، ومقطوعة وثلاث قصائد في هجائه والرد

---

(٦٣) انظر ترجمته في الديوان حاشية (٥٩٥/١) .

(٦٤) انظر ترجمته في الديوان حاشية (١٦/٣) .

(٦٥) انظر ترجمته في الديوان (٥١١/١) .

عليه ويبلغ مجموع أبيات المقطوعات والقصائد جميعا (١٢٨) ثمانية وعشرين ومائة بيت .

وممن كانت له به صلة أيضا من الادباء : أبو الحسن علي بن مهـــدي الكسروي[٦٦] ، وكان له معه مكاتبات ومجاوبات بالاشعار ، وفي ديوانه ثلاث مقطوعات في الكسروي هذا اثنتان منها في فن الهجاء ، هما أقرب الى الممازحة منهما الى الهجاء ، وواحدة في الاخوانيات ، ويبلغ مجموعها (٩) تسعة ابيات، وللكسروي اجابات على هذه القطع الثلاث[٦٧] .

وأبو الطيب محمد بن القاسم النميري[٦٨] ، وكان ابن المعتز يأنس به ولا يكاد يفارقه ، وكانت تجري بينهما مكاتبات ومداعبات ومناقضات في الشعر . وفي ديوان ابن المعتز احدى وعشرون مقطوعة وقصيدتان في هجاء النميري وممازحته ومداعبته يبلغ مجموعها (١٠٩) تسعة ومائة بيت .

والملاحظ ان ابن المعتز بقي يهجو ويعابث النميري حتى بعد وفاته ويتهمه بامرأة كان يتلاعب بتحريف اسمها في اشعاره كثيرا[٦٩] ، كما كان يلقبه سخرية واستهزاء بالنبي .

ويبدو ان النميري هذا كان يتعمد أحيانا أن يثير ابن المعتز في بعض حالاته وتصرفاته[٧٠] .

---

(٦٦) انظر ترجمته في الديوان حاشية (١/٦٥٢) .

(٦٧) انظر : معجم الادباء (١٥٠) ونور القبس (٣٣٨) ومعجم الادباء (٥/٩٣) وروضات الجنات (٤٤٧) .

(٦٨) انظر ترجمته في الديوان حاشية (١/٦٠٨) .

(٦٩) انظر الديوان الارقام : (٥٠٧ ، ٥١٧ ، ٥٢٧ ، ٥٣٠) .

(٧٠) انظر الديوان (١/٦٨٥) ، ومعاهدة التنصيص (١٩٥) .

وجحظة البرمكي : وكانت صلته بأبن المعتز قوية وهو الذي لقبه بجحظة • وكان ابن المعتز يكرمه ويعطف عليه وبينهما مكاتبات في النثر[٧١] •

وعبيدالله بن عبدالله بن طاهر[٧٢] ، وكانت صلته بابن المعتز حسنة فكانا يتزاوران ويتراسلان ، وهو القائل في ابن المعتز :

ولو قـُبلتْ في حادثِ الدهر فدية   لقلنا ــ على التحقيق ــ نحن فداؤه

ولابن المعتز في عبيد الله هذا مقطوعتان احداهما في التهنئة وثانيتهما في العتاب ، وبيتان وردا خلال رسالة له يعزي فيها عبيدالله بوفاة جاريته شاجي[٧٣] •

وجعفر بن قدامة[٧٤] وقدامة بن جعفر[٧٥] •

---

(٧١) كان حسن الادب ، كثير الرواية للاخبار ، متصرفا في فنون من العلم ، مليح الشعر ، حاضر البديهة ، وكان طنبوريا حاذقا فيه فائقا ، توفي سنة ٣٢٤هـ (انظر معجم الادباء ٢/٢٤٢ـ٢٦٢) ، والديارات (٢١) ، وخاص الخاص (٥٤) وثمار القلوب (٣٤٣) .

(٧٢) انظر ترجمته في الديوان حاشية (١/٤٥٧ـ٤٥٨) .

(٧٣) انظر : الاغاني (١٠/٢٨٥ـ٢٨٦) ، والديارات (١٢) والعمده (٢/٧١) ، ومعاهد التنصيص (١٩٦) .

(٧٤) كان يجالس ابن المعتز ويطلع على بعض احواله الخاصة ، ويتدخل في فض ما يحدث من خلاف بين ابن المعتز وبعض غلمانه وجواريه (انظر لاغاني ١٠/٢٨١ـ٢٨٢ ، ونهاية الارب (٤/٢٢٦) ومعاهد التنصيص (١٩٤ـ١٩٥) .

(٧٥) كان أحد الكتاب البلغاء والمتقدمين في علم المنطق والفلسفة ، كان في ايام المكتفي ، وتوفي ببغداد سنة ٣٣٧هـ (الاعلام ٦/٣١) ، وكان من ندماء ابن المعتز وجلسائه ، وروى عنه بعض اخباره .

واحمد بن اسماعيل المعروف بنطاحة[٧٦] ، والمفضل بن سلمة بن عاصم[٧٧] والقاسم بن احمد الكوفي[٧٨] .

وفي ديوان ابن المعتز خمس مقطوعات[٧٩] في ابن بشر يبلغ مجموع ابياتها (١٨) ثمانية عشر بيتاً وهي في فن الهجاء ، وبعضها اقرب الى المداعبة والمعابثة ، وكان يقرنه احيانا بالنميري ، ولم يتيسر لنا معرفة شيء عن ابن بشر ولعله احد الظرفاء او الادباء الذين كانوا يترددون على ابن المعتز[٨٠] .

(٧٦) وهو من اهل الانبار وكان كاتب عبدالله بن طاهر وهو احد البلغاء المترسلين . شاعر ، اديب ، متقدم في صناعة البلاغة ، وكان في الاكثر يكتب عن نفسه الى اخوانه ، وكانت بينه وبين ابن المعتز مراسلات ومكاتبات وجوابات : (انظر معجم الادباء (٢٢٧/٢) ، والاوراق قسم اخبار المقتدر (٣٢و) .

(٧٧) وكان نحويا اديبا ، وكانت بينه وبين ابن المعتز مكاتبات بالاشعار (انظر معجم الشعراء ٢٩٨) .

(٧٨) كانت له مع ابن المعتز مكاتبات بالاشعار ايضا (معجم الشعراء ٣١٨) .

(٧٩) انظر الديوان الارقام : ٤٧٧ ، ٤٨٩ ، ٥٠٢ ، ٥٤٥ ، ٥٦١ .

(٨٠) جاء في الفهرست ١٩٣ : (المرثدي : ابو احمد بن بشر المرثدي الكبير الذي كتب اليه ابن الرومي الاشعار في السمك وكان بينهما مداعبة ،وكان يكتب للموفق في خاص امره ، وله من الكتب : كتاب الانواء كبير في نهاية الحسن ، كتاب اشعار قريش وعليه عول الصولي في الاوراق وله انتحل ورأيته بخط المرثدي ، كتاب ديوان الرسائل) . وجاء في التشبيهات ٧٣ (وكتب ابو عثمان الناجم) (وهو راوي شعر ابن الرومي) الى ابن الرومي يلومه على طلبه من ابن بشر المرثدي (ثلاثة ابيات) . فهل ابن بشر هذا هو الذي قصده ابن المعتز في شعره ؟ ولعل الذي يرجح هذا انه معاصر للشاعر !

وانظر عن ابن بشر ايضا (ادب الكتاب) (١٦٠) ، والتحف والهدايا (٨٩) وديوان ابن الرومي (١٠٥/١) وتاريخ بغداد (٢٥٥/٤ ، ٤١/٥) ومعجم الادباء ٢٣٦/٣ ، ١٨٦/٤ والوافي بالوفيات ٣٩٣/٧ .

وفي ديوانه ايضا مقطوعة في مدح ابن صالح وينعته بأنه صديق مخلص، ولم نعرف عن ابن صالح هذا شيئا ايضا ، ولعله من جملة اولئك الادباء الذين كانوا يختلفون الى مجالس ابن المعتز[٨١] .

ويبدو ان ابن المعتز لم يكن على وئام مع علي بن محمد بن نصرالمعروف بابن بسام[٨٢] .

وفي ديوان ابن المعتز قصيدة في هجاء احمد بن أبي العلاء[٨٣] .

حالته الاقتصادية :

مرت بنا حالات ابن المعتز من لهو وجد وهي حالات بحاجة الى اموال تسدها وتغذيها ، فمن اين كان يستمد ابن المعتز هذه الاموال ؟

الحق اننا لا نعلم المنابع الحقيقية لثروته ، فالمصادر التي تحدثت عنه لم توضح هذا الجانب من جوانب حياته كثيرا ، ولكننا نعلم ان والده المعتز قد اقطعه اقطاعا في الشام منذ صغره وجاوره في بعضه البحتري الذي أخذ يلح على ضم ما جاوره من اقطاع ابن المعتز الى ضيعته التي كانت بجواره[٨٤]. ولعل اباه قد اقطعه في مناطق أخرى من اقطار الدولة كما اقطعه في الشام[٨٥]. ولعل ما يؤيد هذا قول الصولي في كلامه على دفن ابن المعتز بعد مصرعه (فلما صلح أمر أخيه حمزة بن المعتز واقطع ما كان لاخيه نبشه وحوله من الدار)[٨٦] .

---

(٨١) انظر الديوان (١/٤٢٢) الرقم (٣٩٠) .

(٨٢) انظر ترجمته في الديوان حاشية (١/٦٠٩) .

(٨٣) انظر (١/٧٢٧-٧٣٢) . وانظر ابن المعتز وتراثه في الادب(٩١) والجدير بالذكر ان الاستاذ خفاجي يقول في كتابه في صدد الكلام على علاقة ابن المعتز بابن ابي العلاء هذا : (ولابن المعتز فيه شعر كثير منه قصيدته النونية) . ولعل قوله (شعر كثير) من مزالق القلم .

(٨٤) انظر ص(٤١) من هذه الدراسة .

(٨٥) انظر : العصر العباسي الثاني(٣٣٠) .

(٨٦) انظر ص(٢٨) من هذه الدراسة .

ومن المحتمل كثيرا انه ورث عن ابيه وجدته اموالا اعتمد عليها في حياته اللاهية والجادة ، ومر بنا ان جدته قد احتجنت اموالا ضخمة في حياة ابنها المعتز . وان احد قادة الاتراك صادرها بعد ايقاعه بابنها ، ولعل تلك الاموال المصادرة لم تكن كل ما تملك ، او ما عثر في حوزتها ، ولعل الخلفاء كانوا يخصصون له ما يخصصونه لغيره من اولاد الخلفاء من رواتب دائمة . فقد ذكر ان جاري اولاد المتوكل في عهد المعتضد كان ثلاثة وثلاثين دينارا وسدس الدينار يوميا[٨٧] .

ونشير بعض المصادر الى انه كان له قهرمان ووكلاء اعمال ، جاء في خاص الخاص : (كتب اليه أي ابن المعتز) قهرمانه ينسب وكيله الى الخيانة والسرقة ويستأمره في الاستدلال به ، فوقع في رقعته : اغن من وليته عن السرقة فليس يكفيك من له تكفه)[٨٨] .

وجاء في زهر الاداب : (وكان ابن المعتز قد غضب على بعض وكلائه فصار الى ابي العباس المبرد يسأله ان يكلمه له ، فكتب اليه المبرد ...)[٨٩]

وجاء في تحفة الامراء في تاريخ الوزراء في الحوار الذي جرى بين العباس ابن الحسن الوزير وبين ابن الفرات في صدد ترشيح ابن المعتز للخلافة قول ابن الفرات : (... واي شيء تعمل برجل متأدب قد تحنك وتدرب ... وحاسب وكلاءه على ما تولوه وضايقهم وناقشهم وعرف خياناتهم واقتطاعاتهم واسباب الخيانة ، والاقتطاع التي يدخل فيها غيرهم ... هذا لو كان ما بيننا وبينه عامرا ، وكان صدره علينا من الغيظ خاليا ، فكيف وانت تعرف رأيه ؟ قال الحسن واي شيء في نفسه علينا ؟ قال : أنسيت انه منذ ثلاثين سنة يكاتبك في حوائجه فلا تقضيها ، ويسألك في معاملاته فلا تمضيها ، وعمالك يصنعون

(٨٧) انظر تحفة الامراء (٢٥) وابن المعتز وتراثه في الادب (٨٠) .
(٨٨) ص٩٠ وانظر ابن المعتز وتراثه في الادب (٨٠) .
(٨٩) زهر الاداب (٢/٥٦١) وابن المعتز وتراثه في الادب (٨٠) .

وكلاءه فلا تنكر ، ويتوسل في الوصول اليك فلا تأذن ، وكم رقعة جاءتك بنظم ونثر فلم تعبأ بها ولا أجبته الى مراده فيها ، وكم قد جاءتني منه ما هذه سبيله فلم اراع فيه وصولا الى ما يريد ايصاله اليه ...)[٩٠] وواضح من النص انه كان لابن المعتز منذ كان في العشرين من عمره ـ اي منذ سنة ٢٦٦هـ، وكلاء للاعمال .

وكان له بستان ويبدو انه لم يكن راضيا عنه ، ففي شعره ما يدل على هذا[٩١] .

هذا كل ما وقفنا عليه فيما يتصل بمصادر ثروته ، اما ابن المعتز نفسه ، فلم يحدثنا كثيرا عن حالته الاقتصادية او قل ان شكواه من هذه الناحية كانت قليلة مما يدل على انه كان راضيا عنها ، قانعا بها ، فهو يقول :

ولستُ بحمدالله أشكو خَصاصةً
ولكن هموماً قد أحاطَ بها صدري[٩٢]

وفي مدائحه للخلفاء والوزراء اشارات كثيرة الى قضاء حاجاته ، وتيسير أمره وشد أزره ، ولكن مع كل ذلك فقد كان احيانا يجد تلكؤا من بعض مدوحيه من الوزراء والعمال ، وقد مر بناشيء من ذلك في النص الوارد في تحفة الامراء ، وفي شعره اشارة الى تلكؤ بعض الوزراء في استقباله او الاذن له بمقابلته[٩٣] . وقد روى له ايضا قوله يصف حالته الاقتصادية :

يا قوم إني مُرزَّا	وكلُّ حرٍّ مرزَّا
خَرْجٌ كبير ودخل	نَزْرٌ فلمْ لا أُعزَّى
فالخرج لا يتناهَى	والدخلُ لا يتجزَّأ[٩٤]

(٩٠) ص ١٣١ .
(٩١) انظر الديوان (٢/٥٨٠ـ٥٨١) .
(٩٢) نفسه(٢/٣٣٣) .
(٩٣) نفسه (٢/٣٣٠) .
(٩٤) نفسه (٢/٦٠٣) وابن المعتز وتراثه في الادب (٨٠) . واكبر الظن ان هذه المقطوعة منحولة على ابن المعتز .

وكانت له دار ببغداد على الصراة ، ويظهر انها لم تكن ذات شأن كبير ، وقد وصفها في شعره وصفا فيه سخرية وطرافة[٩٥] ، كماوصف اغراقها نتيجة فيضان نهر دجلة المحاذي لها[٩٦] .

وعلى الرغم من كل هذا فيبدو انه كان مكفياً مؤونة العيش ، مرفهاً في اكثر ايام حياته . ولعل اعساره مجالس الادب والطرب ، واكرامه اصدقاءه واخوانه من أثر نعمته هذه !

خلافته ومقتله :

توفي المكتفي يوم الاحد لثلاث عشرة ليلة من ذي القعدة سنة خمس وتسعين ومائتين ، وفي اليوم نفسه بويـع أخوه المقتدر[٩٧] بوصية من أخيـه المكتفي قبيل وفاته ، وكان عمره ثلاث عشرة سنة وشهرين[٩٨] ، وكان الوزير آنذاك العباس بن الحسن ، ويبدو انه لم يكن راضيا عن بيعة المقتدر لصغر سنه فحاول ان يصرف الخلافة عنه الى شخص آخر ، ووقع نظره علـى ابي عبد الله محمد بن المعتمد على الله ، وكان حسن الفعل جميل المذهب ولكنه لم يمد له في عمره على اثر خلافـه مع صاحب الشرطة ــ يومذاك ــ ابن عمرويه الذي اغلظ عليه في مجلس الوزير ولم يكن يعلم بأمر ترشيحه هذا ، فاشتد الامر به فغشي عليه وفلج في المجلس ثم مات بعد ايام . فعمد الوزير على تقليد

---

(٩٥) الديوان (٢/٦٢٨) .

(٩٦) نفسه (٢/٦١١) .

(٩٧) انظر : العقد الفريد (٥/١٢٧) وتاريخ بغداد (٧/٢١٣) وفيه أن مبايعته كانت يوم الاحد لاربع عشرة مضت من شهر ذي القعدة والكامل (٨/١٠) .

(٩٨) انظر : تاريخ بغداد (٧/٢١٣) كانت ولادة المقتدر في سنة (٢٨٢ هـ) نفس المصدر والصحيفة وانظر العقد الفريد (٥/١٢٧) .

ابي الحسين[٩٩] من ولد المتوكل مكانه فمات ايضا ، وتم الامر للمقتدر[١٠٠] .

غير ان استخلافه كان مثار تساؤل وارجاف شديد من الخاصة والعامة ، الامر الذي جعل الوزير يفكر جديا في تنحيته عن منصبه وتقليد آخر تتوفر فيه صفات الخليفة القادر على ملء هذا المنصب مكانه ، فأخذ يشاور رجاله المقربين اليه ، ويقال انه كان يسايره اذا ركب من داره الى دار السلطان واحد من الاربعة الذين يتولون الدواوين وهم : ابو عبدالله محمد بن داود بن الجراح، وأبو الحسن محمد بن عبدون ، وابو الحسن بن الفرات ، وابو الحسن علي ابن عيسى . فأخذ في استشارة هؤلاء للوقوف على آرائهم فيمن يرشح للخلافة وحين استشار ابن الجراح في هذا الامر اشار عليه بابن المعتز وقرظه ووصفه بالكمال والحنكة ومعرفة امور المسلمين والعلم بشرائع الدين[١٠١] ، ولكنه حين استشار ابن الفرات امسك هذا عن الجواب وحاول المداورة والمراوغة والتخلص من السؤال ، وحين الح عليه الوزير في السؤال طلب منه الانفراد به ليسمع منه الجواب ، فانفردا ودار بينهما الحوار التالي الذي نرى من المستحسن ان نثبته هنا على طوله ، لما اشتمل عليه من آراء وافكار ذات اهمية كبيرة في هذه المسألة .

جاء في تحفة الامراء في تاريخ الوزراء عن ابي أحمد الصحى الكاتب قوله (حدثني غير واحد من كتاب الحضرة ان ابا أحمد العباس بن الحسن لما مات المكتفي بالله جمع كتابه وخواصه وخلابهم وشاورهم فيمن يقلده الخلافة ، فأجمعوا وأشاروا على العباس بعبدالله بن المعتز الا أبا الحسن ابن الفرات فانه امسك

(٩٩) لم نجد من اولاد المتوكل من كنى بابى الحسين . ولكن هناك محمد ابو الحسن (جمهرة انساب العرب ٢٦) .

(١٠٠) انظر : تجارب الامم ١١/٤-٥) .

(١٠١) انظر : تجارب الامم (١/٢) وجمع الجواهر (٢٥٢) .

فقال له العباس : لم أمسكت ولم تورد ما عندك ؟ فقال : هو أيها الوزير موضع إمساك • قال : ولِمَ قال : انه وجب ان ينفرد الوزير ـ أعزه الله ـ بكل واحد منا فيعرف رأيه وما عنده •ثم يجمع الاراء ويختار منها بصائب فكره وثاقب نظره ما شاء • فأما ان يقول كل واحد رأيه بحضرة الباقين فربما كان عنده ما يسلك سبيل التقية في كتمانه وطيه • قال : صدقت والله قم معي ، فأخذ بيده ودخلا وتركا الباقين بمكانهم فقال له ابن الفرات : قررت رأيك على ابن المعتز ؟ قال : هو أكبر من يوجد • قال واى شيء تعمل برجل فاضل متأدب قد تحنك وتدرب وعرف الاعمال ومعاملات السواد وموقع الرعية في الاموال . وخبر المكاييل والاوزان واسعار المأكولات والمستعملات ومجارى الامور والمتصرفات . وحاسب وكلاءه على ما تولوه ، وضايقهم وناقشهم . وعرف من خياناتهم واقتطاعاتهم اسباب الخيانة والاقتطاع التي يدخل فيها غيرهم . فكيف لنا معه امران حمل كبيرا على صغير ، وقاس جليلا على دقيق هذا لو كان ما بيننا وبينه عامرا وكان صدره علينا من الغيظ خاليا ، فكيف وأنت تعرف رأيه ؟

قال العباس . وأى شيء في نفسه علينا ؟ قال : أنسيت انه منذ ثلاثين سنة يكاتبك في حوائجه فلا تقضيها ويسألك في معاملاته فلا تمضيها ، وعمالك يصفعون وكلاءه فلا تنكر ويتوسل في الوصول اليك ليلا فلا تأذن ، وكم رقعة جاءتك بنظم ونثر فلم تعبأ بها ولا أجبته الى مراده فيها ، وكم قد جاءتني منه ما هذه سبيله فلم أراع فيه وصولا الى ما يريد ايصاله اليه • وهل كان له شغل عند مقامه في منزله وخلوته بنفسه الا معرفة أحوالنا والمسألة عن ضياعنا وارتفاعنا وحسدنا على نعمتنا ، هذا وهو يعتقد ان الامر كان له ولأبيه وجده وانه مظلوم منذ قتل ابوه، مهضوم مقصود مضغوط ، فكيف يجوز ان نسلم اليه نفوسنا فننتحرس ، فضلا عن اموالنا ؟ فقال العباس : صدقت والله يا ابا الحسن فمن يقلد وليس ها هنا أحد ؟ قال : تقلد جعفر بن المعتضد ، فانه صبي لا يدري أين هو ، وعامة سروره أن يصرف من المكتب ، فكيف

ان يجعل خليفة ويسلك الاعمال والاموال وتدبير النواحي والرجال ؟ ويكون الخليفة بالاسم وانت هو على الحقيقة . والى ان يكبر قد انغرست محبتك في صدره ، وحصلت محصل المعتضد في نفسه . قال : فكيف يجوز ان يبايع الناس صبيا او يقيموه اماما ، فقال له : اما الجواز ، فمتى اعتقدت انت او نحن بامامة البالغين من هؤلاء القوم واما اجابة الناس ، فمتى فعل السلطان شيئا فعورض فيه او اراد امرا فوقف ؟ وأكثر من ترى صنائع المعتضد ، واذا أظهرت انك اعتمدت في ذلك مراعاة حقه ، واقرار الامر في ولده ، وفرقت المال ، واطلقت البيعة ، وقع الرضا وسقط الخلاف . وطريق ما تريده ان توافق بعض اكابر القواد وعقلاء الخدم على المضى الى دار ابن طاهر وحمله الى دار الخلافة ، وان تستر الامر الى ان يتم التدبير ، وان اعتاص معتاص مد بالعطاء والاحسان . فقال العباس هذا هو الرأى)[١٠٢]

وواضح ان هذا النص قد تضمن الكثير من المسائل والامور التي كانت تسود تلك الحقبة كما اشتمل على آراء من كانوا يدبرون امور الدولة ، من وزراء وكتاب وقادة . فهذا النص شهيد على أن اكبر شخصية جديرة بمنصب الخلافة هو ابن المعتز ، فهو قد جمع كل الصفات التي ينبغي ان يتحلى بها رئيس دولة او خليفة ، بل لعل ابن المعتز في ضوء الصفات التي ذكرت له يعد نسيج وحده من الخلفاء سنا وعلما وحنكة والماماً بمشاكل الناس وخيانات العمال ، فهو على ما يبدو كان يعد نفسه لمثل هذا اليوم اعدادا كبيرا . وطبيعي ان مثل هذا النوع من الرجال لا يمكن أن يحوز رضا من شب على الطمع والخيانة والاستغلال .

---

(١٠٢) ص ١٣٠–١٣٢ . وانظر تجارب الامم (٣/١) ، والكامل في التاريخ (٨/٦–١٠) .

وفي النص اشارات الى ما كان يبطنه اولئك العمال من الكره والحقد للخلفاء والى الطريقة التي كانوا يسلكونها في شراء الذمم وبسط النفوذ ، وفيه اشارة أيضا الى ضعف شخصية الوزير واضطرابه .

غير ان ما اقترحه ابن الفرات لم يكن ليقضي على ما كان يعتمل في النفوس من النفرة والتذمر من استخلاف المقتدر . فاجتمع القواد والكتاب والقضاة على خلعه بعد مضي أربعة اشهر وايام على خلافته[١٠٣] ، ومبايعة ابن المعتز وفوتح في الامر فوافق على ألا يكون في ذلك سفك دم ولا حرب ، فأجيب الى طلبه[١٠٤] وحاول احد كبار المتزعمين لهذه الحركة القضاء على الخليفة ليفرغ الامر لابن المعتز . فنصب لهذه المهمة ثلاثة من القواد هم : بدر الاعجمي والحسين بن حمدان ووصيف بن صوارتكين ، فوثبوا بالوزير وقتلوه واتبعوه بفاتك المعتضدي احد القادة المعارضين ، وقصدوا الحلبة مقدرين ان يجدوا الخليفة هناك يضرب بالصوالجة فيفتكوا به ، غير ان المقتدر عند سماعه الضجة اسرع الى داره وأمر بغلق الابواب دون من كان يطلبه ، فاجتمع القادة والقضاة وأشراف بغداد وصاروا الى دار سليمان بن وهب بالمخرم ، ووجهوا الى ابن المعتز فنزل من داره التي على الصراة وعبر الى المخرم ، فبايعوه وخاطبوه بالخلافة ، وانعقد له الامر ، ولقبوه الراضي[١٠٥] .

---

(١٠٣) انظر : العقد الفريد (١٢٧/٥) ، وتاريخ بغداد (٢١٤/٧) .

(١٠٤) انظر : الطبري (١٤٠/١٠) ، وتاريخ بغداد (٩٨/١٠) . وتاريخ الخميس (٣٤٥/٢) .

(١٠٥) انظر الطبري (١٤٠/١٠) ، وتاريخ بغداد (٢١٤/٧) ، ومعاهد التنصيص (١٩٦) . وقيل لقب المرتضى بالله (انظر : تجارب الامم ٢٥/١ ، وفوات الوفيات (٥٠٦/١) . ومعاهد التنصيص (١٩٦) ، ومرآة الجنان (٢٢٥/٢) . وقيل المنتصف (انظر : جمع الجواهر (٢٥٢) ، وتاريخ الخميس (٣٤٦/٢) . وقيل القائم بالحق (انظر ، جمع الجواهر (٢٥٢) . وتاريخ الخميس (٣٤٦/٢) ، وقيل القائم بالحق (انظر جمع الجواهر ٢٥٢) وقيل المنصف بالله ، وقيل الغالب بالله (انظر : فوات الوفيات ٥٠٦/١ ، ومعاهد التنصيص ١٩٦ ، وتاريخ الخميس ٣٤٦/٢ ، ومرآة الجنان ٢٢٥/٢) وقيل المنتصر بالله (انظر : ثمار القلوب ١٩١) .

واستوزر ابن المعتز محمد بن داود بن الجراح . وقلد علي بن عيسى الدواوين والاصول ، ومحمد بن عبدون دواوين الازمة . واستحجب يُمناً غلام المكتفي ، وكان محمد بن سعيد الازرق كاتب الجيش يأخذ البيعة على القواد ويتولى استحلافهم والدعاء باسمائهم[١٠٦] . وصلى ابن المعتز بالناس غداة يوم الاحد ثم التفت الى القضاة والعدول فقال : قد آن لحق أن يتضح وللباطل ان يفتضح . وقام محمد بن خلف المعروف بوكيع بين يديه فقرظه وقال أمير المؤمنين والله كما قال ابو العتاهية لجده المنصور (كذا والصواب المهدي) :

أتتــــه الخــلافة مُنقــادةً	اليـــه تُجرّرُ أذيالهـــــا
فلم تكُ تصلحُ إلاّ لــــهُ	ولم يــكُ يصلحُ الا لهـــــا
ولو رامَهــــا أحدٌ غـيرُهُ	لزلزلت الأرض زلزالهـــــا
ولو لم تطعه بنــاتُ القلوبِ	لَمَا قبل الله أعمالهـــــا

فرد عليه ابن المعتز ردا جميلا ، وقال لنسأل الله عونا وتوفيقا[١٠٧] ووجه ابن المعتز الى المقتدر يأمره بالتحول الى دار ابن طاهر مع والدته لينتقل هو الى دار الخلافة فأجيب بالسمع والطاعة ، ولم يبق مع المقتدر من رؤساء القواد غير مؤنس الخادم ومؤنس الخازن[١٠٨] ، وغريب الخال والحاشية ،

---

(١٠٦) انظر : الطبري (١٠/١٤٠) . وتجارب الامم ١/٥ . ومرآة الجنان ٢/٢٢٥ وتحفة الامراء ١٦٥-١٦٦ . وثمار القلوب ١٩١ .

(١٠٧) انظر : الاوراق قسم اخبار المقتدر (٢٥ط) . وجمع الجواهر (٢٢٥) .

(١٠٨) يشير الثعالبي في ثمار القلوب (١٩١-١٩٢) ان مؤنسا الحاجب في دار المقتدر كان بايع ابن المعتز على ان يكون حاجبه . وواطاه على ان ينفذ اليه امر المقتدر ، وصافيا الحرمي ، فبلغه ان يمنا غلام المكتفى يذهب ويجيء قدام ابن المعتز كالحاجب له ، وكان عدوا له يناوئه فرجع عن رأيه وعزمه في امر ابن المعتز واخذ في إحكام امر المقتدر . واحضر غلمان الدار ، ووعدهم الزيادة في ارزاقهم . فلما اصبح ابن المعتزواراد

فتشاوروا فيما بينهم ووطدوا امرهم على المقاومة ، فجهزوا أنفسهم ومن كان في جانبهم بالعدد والسلاح وساروا الى دار المخرم حيث ابن المعتز واصحابه فصاحوا بهم ورشقوهم بالنشاب فذعر أصحاب ابن المعتز وولوا هاربين قبل الالتحام معهم في معركة . ويبدو ان الذي فت في عضد مقاومة مؤيدي ابن المعتز ان اكبر قائد في هذه الحركة وهو الحسين بن حمدان قد انسحب قبل التئام شمل أصحاب المقتدر . فقد قيل انه هاجم في غداة اليوم التالي لقتله وأصحابه وزير المقتدر دار الخلافة فقوبل بمقاومة شديدة من قبل غلمان الدار والخدم والحشم فلم يستطع اقتحامها فانصرف في آخر النهار وحمل ما قدر عليه من ماله وحرمه وولده وسار بالليل الى الموصل[109] . وقد استغل اصحاب المقتدر فرار ابن حمدان هذا فقال بعضهم لبعض انه عرف ما يريد أن يجري فهرب في الليل مواطأة بينه وبين المقتدر[110] .

ان هرب ابن حمدان كان وما يزال مثار تساؤل ، ولم يعرف السبب الحقيقي في نكوصه وانسحابه من ميدان المعركة ، ولما يمض على الحركة أكثر من يوم واحد . فهل كان فراره مواطأة بينه وبين المقتدر كما قيل ؟ اغلب الظن انه لم يكن ذلك بدليل انه بقي مطاردا من قبل جيوش الخلافة ومن قبل أخيه الذي كلف بذلك[111] ، وصحيح انه عُفي عنه بعد ذلك ، ولعل العفو

الركوب الى دار الخلافة . قال له وزيره محمد بن داود بن الجراح ننتظر قليلا الى ان ينفض الطريق من عامة تعرضت فيه ، فقال له ابن المعتز : اهم معنا ام علينا ، فقال : ليسوا معنا ، قال ابن المعتز : (ليس يومي بواحد من ظلوم) . يريد ان اهل بغداد كانوا مع المستعين على المعتز . وهم الآن مع المقتدر عليه) .

(١٠٩) انظر : الطبري (١٠/١٤٠ـ١٤١) ، وتجارب الامم (١/٥) والكامل (٨/١٦) .

(١١٠) الكامل ٨/١٦ .

(١١١) انظر : الكامل (٨/١٩) .

عنه كان من أجل أخيه ومن أجل الاستفادة من قدرته الحربية ، ولعل هـذا هو السبب في توليته (قم) بعد الرضا عنه •

ويبدو ان ابن حمدان قد عرف بعد ان حاول اقتحام دار الخلافة ففشل ان الامر الذي يؤيده لا يمكن أن يكتب له النجاح . فرضي من الغنيمة بالانسحاب • على ان عمله هذا مهما كانت أسبابه لا يمكن أن يكون مبررا لفراره وهروبه بحال من الاحوال •

وخرج ابن المعتز ومعه وزيره ابن الجراح وحاجبه يمن ، وقد شهر هذا الاخير سيفه وهو ينادي : (معشر العامة ادعوا لخليفتكم السنّى) ، وأمّوا طريق الصحراء ظنا منهم ان الجيش سيلحق بهم فيسيرون الى سامراء ليشدوا من ازرهم هناك ، غير أن شيئا مما قدروه لم يقع فاضطروا الى الاستتار ، فلجأ ابن المعتز الى دار ابن الجصاص ، ولجـأ الوزير الى داره ، وفر المؤيدون والناس فاضطرب الامن وكثر النهب والغارة والقتل ببغداد •

أما رجال هذه الحركة أو الثورة فكانوا بين قتيل وحبيس وطليق[١١٢] •
فابن المعتز وشى به خادم لابن الجصاص فكبس وجيء به وسلم الى سوسن أحد اتباع المقتدر ، وقد وصف الصولي حالة ابن المعتز وما تعرض له على يد سوسن هذا بقوله : (وقال أبو بكر : فوقفت حتى رأيته من حيث لم يرني ، وقد اخرج من الطيار حافيا عليه غلالة قصب فوقها مبطنة ملحم خراسـاني يضرب الى الصفرة قليلا ، وعلى رأسه مجللسية فلما صار الى سوسن[١١٣] • وهو واقف عند باب الخاصة لطمه فانكب على وجهه . فجعل جماعة يقولون ما معنى هذا ؟ الذي يراد به اعظم ، ولكنه عم الخليفة وابن عم الخليفة وابن

(١١٢) انظر الطبري (١٠/١٤٠) وتجارب الامم (١/٧-٨) •
(١١٣) في ثمار القلوب (١٩٢) الى مؤنس الحاجب •

عم ابيه لا نحب ان يستخف به احد ، والله لو كان المعتضد حيا وبلغه هــذا لقطع يد سوسن)[114] .

وسلّم ابن المعتز الى مؤنس الخادم فادخله السجن فمات في ربيع الآخر سنة ٢٩٦هـ[115] ، وقد اختلف في طريقة موته[116] ، ووجه به الى داره بالصراة فغسل وكفن ودفن وصلى عليه ابو الحسين العلوي المعروف بالبصري وكان جاره وصديقه ، وصلى عليه خلق من جيرانه واخوانه ودفن في داره فلما صلح أمر أخيه حمزة بن المعتز واقطع ما كان لاخيه نبشه وحوله من الدار [117] .

أما محمد بن داود بن الجراح وابو المثنى احمد بن يعقوب القاضي ووصيف بن صوارتكين فقتلوا[118] ، وأما أبو عمر القاضي وابن الجصاص فافتديا نفسيهما بأموال طائلة ، كما اطلق على بن عيسى والقاضي محمد بن خلف وكيع [119] ، وحبس محمد بن سعيد الازرق فمات في حبسه[120] .

ويجدر بنا في أعقاب هذه الثورة التي لم يكتب لها النجاح ان نتساءل عن سبب أو أسباب فشلها . يبدو ان هناك أسبابا في عدم نجاح ما قام بــه ابن المعتز وأصحابه :

---

(١١٤) الاوراق قسم اخبــار المقتدر ٢٧ ظ ، ٢٨و ، وثمار القلــوب (١٩٢) ، وابن المعتز وتراثه في الادب (١١٠) .

(١١٥) تاريخ بغداد (١٠/١٠) ، ووفيات الاعيان (٢٦٤/٢) ، وحياة الحيــوان (٧٩/١) ، وفي المنتظم (٨٨/٦) ، وتاريـــخ الادب العربي لبروكلمــان (٥٤/٢) في ربيع الاول .

(١١٦) انظر : الكامل (١٨/٨) ، والغيث المسجم (٧٩/٢) ، وشرح المقامــات (٥٣/٢) ، وفات الوفيات (٥٠٦/١) ، وحياة الحيوان الكبرى (٧٩/١).

(١١٧) الاوراق قسم اخبار المقتدر (٢٨و) وانظر ابن المعتز وتراثه في الادب (١١٠).

(١١٨) انظر : الفرج بعد الشدة (١٢٦) وتجارب الامم (٨/١) .

(١١٩) انظر الكامل (١٧/٨) والفرج بعد الشدة (١٢٦/١) والطبري (١٤٩/١٠).

(١٢٠) انظر تحفة الامراء ١٦٥ والمصدر نفســه (١٠١) حيــث ذكرت اسماء اشخاص آخرين من مؤيدي ابن المعتز القوا في الحبس بعد فشــل الحركــة .

منها ان الاعداد لهذا العمل لم يكن ــ على ما يظهر ــ دقيق التنسيق والاحكام ، ولهذا نجد ان الامور قد افلتت من يد أصحابها بمجرد زحف قوة مضادة لهم من قبل مؤيدي المقتدر •

ومنها ان الروح السلمية التي ابداها ابن المعتز وشرطها لقبولـه منصب الخلافة ما كانت ملائمة لمثل هذا العمل الخطير في هذا الوقت •

ومنها ان انسحاب ابن حمدان المفاجيء ــ وهو يمثل القوة الضاربة ــ من الميدان قد احدث اضطرابا كبيرا في أساس هذا العمل او الثورة •

ومنها ان الوضع السياسي عموما ما كان يتقبل ما اتصف به زعماء هـذه الحركة . أو الثورة من افكار واتجاه ، ومصداق هـذا ما رواه بعضهم عن الطبري حين دخل عليه في أثر خلع المقتدر وتنصيب ابن المعتز فقال له : (مـا الخبر وكيف تركت الناس ــ او نحو هذا من القول ــ فقال له قد بويع عبدالله ابن المعتز . قال فمن رشح للوزارة ؟ فقال : محمد بن داود بن الجراح ، قال فمن ذكر للقضاء؟ فقال الحسن بن المثنى ، قال فأطرق قليلا ثم قال : هذا امر لا يتم ولا ينتظم ، قال فقلت له وكيف ؟ فقال : كل واحد من هؤلاء الذين سميت متقدم في معناه ، عالي الرتبة في ابناء جنسه والزمان مدبر ، والدنيـا مولية ، وما أرى هذا الا الى اضمحلال وانتقاص ولا يكون لمدته طول ، فكان الامر كما قال)[121] •

ومنها ان ما رُميَ به ابن المعتز من التعصب ضد العلويين في فترة متأخرة من حياته ، قد اتخذ وسيلة للتشنيع عليه وعلى أصحابه من قبل المقتـــدر

---

(١٢١) تاريخ بغداد (١٠/٩٩) وانظر معاهد التنصيص (١٩٦) •

ومؤيديه ، ولعل ما يؤيد هذا قول يحيى بن علي المنجم ، الذي هجاه ابن المعتز لشعوبيته في اثر اخماد ثورة ابن المعتز :

بايعوه فلم يكن عنده الأ نوك الا التغيير والتخبيط
رافضيون بايعوا انصب الأمة هذا لعمري التخليط[122]

ومنها ان الاموال اللازمة لشراء ذمم القادة والجند والناس لم تكن في حوزة رجال هذه الثورة ، وانما كانت لدى المقتدر ورجاله ، وكان لهذه الاموال الفضل الاكبر في مناصرة المقتدر وتأييده[123] .

هذه الاسباب — في ظننا — وقد تكون هناك اسباب اخرى — هي التي عملت على فشل هذه الثورة والقضاء عليها قضاء سريعا .

رثى ابن المعتز عدد من الشعراء والادباء ، فقال فيه علي بن محمد ابن بسام ، وكان يهاجيه في حياته :

لله دَرُّكَ من مَيْتٍ بمضيعةٍ
ناهيكَ في العلم والاداب والحسب
ما فيه لوٌ ولا ليتٌ فتنقصه
وانما أدركتْه حرفةُ الأَدبِ[124]

---

(١٢٢) انظر الكامل (١٧/٨) . (عنده) في الاصل بدون الهاء ولا يستقيم الوزن الا بها .

(١٢٣) انظر : الحوار الذي دار بين وزير المقتدر العباس بن الحسن وابن الفرات ص (٨٦—٨٨) .

(١٢٤) انظر : زهر الاداب (٥٢٣/٢) ، وجمع الجواهر (٢٥٢) ، والمنتظم (٦/٨) ، وثمار القلوب (١٩٣) وغيرها . وانظر في رثائه ايضا فوات الوفيات ٥٠٦/١ والاوراق قسم اخبار المقتدر (٢٨ظ ، ٢٩و) وابن المعتز وتراثه في الادب (١١١) .

مؤلفـاته :

ترك ابن المعتز بعده ــ غير ديوان شعره ــ آثارا أدبية كثيرة ولكن أغلبها ضاع فلم يصل الينا منها الا القليل فمن آثاره :

كتاب الآداب ، وكتاب فصول التماثيل ، وكتاب طبقـات الشعراء المحدثين ، وكتاب البديع ، وهذه الكتب الاربعة وصلت الينا وهي منشورة •

ومن آثاره أيضا : كتاب أشعار الملوك ، وسرقات الشعراء ، والجامـع في الغناء ، والجوارح والصيد ، والزهر والرياض ، ومكاتبات الاخوان ، وأخبار شارية ، والفصول القصار ، وحلي الاخبار ، وهذه الكتب على مايبدو مفقودة •

وله رسالة في وصف سامراء ، ذكرها ياقوت في معجمه[١٢٥] •

(١٢٥) انظر : تاريخ الادب العربي لبروكلمان (٢/٥٧ـ٥٩) ، والاعلام بأعـلام بيت الله الحـرام (٧٣) ، والاغاني : (٤/١٦) ، والمؤتلـف والمختلف للآمدي (٢١٥) ، ووفيات الاعيان (٢/٢٦٤) ، وتاريخ آداب اللغة العربية لزيدان (١/٤٧١) وذكر ان لابن المعتز (كتاب الشراب) شعر ونثر وانه في مكتبة باريس ، كما له كتاب (فصول التماثيل في تباشير السرور) في مكتبة برلين . ولعل الكتابين كتاب واحد ، اذ ان فصول التماثيـل في الشراب وانه يشتمل على الشعر والنثر . وانظـر : تاريـخ الادب العربي للزيات (٢٨٢) ، وابن المعتز وتراثه في الادب (١٢٢) ، وعبدالله ابن المعتز لسيد الاهل (٢٨) ، وأشار الى ان من تصانيف ابن المعتـز (كتاب المؤلف) ولكنـه لم يشر الى المصدر الذي اخـذه منه . وانظر : كتاب : ابن المعتز العباسي للدكتور احمد كمال زكي (٢٦٥) ، وكتـاب الاداب تحقيق صبيح رديف (٢٨ـ٣٦) ، ومعجم البلدان (٣/١٧٧ـ١٧٨)

الباب الثاني

شعر ابن المعتز

الفصل الاول

رواية شعره وتحقيقه

ان اول راو لشعر ابن المعتز هو ابن المعتز نفسه ، وروايته لشعره كانت عن طريقين : الاول عن طريق ما كان يلقيه منه في مجالسه الادبية والغنائية على أصحابه واخوانه من الادباء والشعراء ، وعلى من كان يتمتع بغنائهن من القيان والمغنيات ، وقد وصل الينا شيء من ذلك مما تسرب من أخباره[1].

والثاني : ما كان يكاتب به اساتذته واصدقاءه ، وبما كان يستشهد به في اثناء رسائله وكتبه من أشعاره[2] ، على ان هناك آخرين كان لهم دور كبير وفضل لا ينكر في رواية شعره ، والحفاظ عليه من الضياع .

---

(١) للوقوف على شيء من ذلك يحسن الرجوع الى فن الغزل الرقم (٧٨) ، وفن الهجاء الرقم ٤٥٩) والاوصاف (الرقم ٩٦٦) . والملحق رقم (٧١) .

(٢) اشتهر ابن المعتز بكثرة مكاتباته اخوانه بالاشعار ، وللوقوف على شيء من ذلك يحسن الرجوع الى الشراب (٢/٢٣–٢٤) والهجاء (١/٦٠٨) والملحق الارقام (٩٢ ، ١٢٢ ، ١٥٤ ، ٢٠٠) .

فقد كان لابن المعتز وراق يكتب له ، وقد أشار الى ذلك الصولي في كتابه أخبار البحتري قال : (وكنت عند عبدالله بن المعتز فشكره بعض الطاهرية على احسان من أبي العباس بن الفرات اليه ، بكتاب كتبه له ، فقال له : الامير وهب لي هذا كما قال ابو تمام (بيتان) ... فقال ابن المعتز قل! معنى لابي تمام لم يعمل البحتري في نحوه ، وما اعرف له في هذا المعنى شيئا . فقلت له، قد قال لاحمد بن عبدالرحيم من ابيات ... فقال هذا ذاك ثم قال (لوراقه فكتب له)[٣] ، وليس من المستبعد أن يكون هذا الوراق احد رواة شعره.

واشار الصفدي الى أن احمد بن خلف البغدادي قد روى عن عبدالله ابن المعتز[٤] .

ولعل أخاه حمزة قد كان له دور أيضا في رواية شعره . فقـد جاء في خلاصة الذهب المسبوك في صـــدد الكلام على ذكر اولاد المعتز : (وهم عبدالله بن المعتز ... وحمزة وقد روى عن اخيه عبدالله المذكور..)[٥] ، وكان لاصدقائه ومجالسيه أثر في هذه الرواية . كما كان لاحد اساتذته الذي كان يلازمه دور في رواية آدابه[٦] .

على أن أهم من قام برواية شعره هو صديقه وجليسه أبو بكر محمد ابن يحيى الصولي[٧] ، واليه يعود الفضل في جمعه وترتيبه .

---

(٣) (٦٧-٦٨) وانظر ابن المعتز وتراثه في الادب (١٣٨) .
(٤) الوافي بالوفيات ٦/٣٧٤ .
(٥) ص ١٦٩
(٦) انظر : تاريخ بغداد (١٠/٩٥) . ونزهة الالباء (٢٣٤) . وابن المعتـــز وتراثه في الادب (١٣٨) .
(٧) انظر : تاريخ بغداد (١٠/٩٥) . ونزهة الالباء (٢٣٢) . وابن المعتـــز وتراثه في الادب (١٣٨) .

ويجدر بنا قبل مواصلة الكلام على ديوانه ان نقف وقفة قصيرة عند مصنف هذا الديوان وجامعه .

هو ابو بكر محمد بن عبدالله بن العباس الصولي ، نسبة الى جده صول الذي كان أحد ملوك جرجان .

نشأ الصولي في بغداد وتأدب على مشاهير علماء العصر وادبائه ، فنشأ اديبا واسع الرواية ، حسن الحفظ للآداب ، وكان له بيت عظيم مملوء بالكتب . وهي مصفوفة وجلودها مختلفة الالوان ، كل صف منها له لون ، فصف احمر . وصف اخضر ، وصف اصفر وغير ذلك ، وكانت كلها من سماعه. ونادم عدة من الخلفاء وصنف اخبارهم وجمع اشعارهم ، كما صنع دواوين عدة من الشعراء المحدثين : كابن الرومي وأبي تمام ، وابي نواس ، والعباس ابن الاحنف وعلي بن الجهم ... وابن المعتز[8] .

(8) من الجدير بالذكر ان ابن النديم اشار في الفهرست (٢١٦) الى تصنيف الصولي للدواوين بما يأتي : (ومما صنفه ابو بكر من اشعار المحدثين على حروف المعجم) : ابن الرومي ، ابو تمام ، ابو نواس ، العباس بن الاحنف ، علي بن الجهم ، ابن طباطبا ، ابراهيم بن العباس ، ابن عيينة ، ابن (كذا) شراعة ، (ابن الرومي) (كذا) . وفي هذا النص شيئان : الاول ان (ابن الرومي) مكرر مرتين في الاول والاخير ، وهو تحريف لاشك من الناسخ وقد رجعت الى الطبعة الاوربية فوجدت التحريف نفسه . وقد انتبه الى هذا التحريف من كتب عن الصولي وجهده في صناعة الدواوين من المحدثين فاصلح التحريف وهو (ابن الرومي) الى ابن المعتز . (انظر اخبار ابى تمام ص هـ ، واخبار البحتري ص١٧ ، وابو بكر الصولي اعلام العرب ص٣٠٠ ، والعصر العباسي الثاني ٣٨) . والثاني : ان تصنيف الصولي لديوان ابن المعتز كان على الفنون لا على الحروف .

وكان الصولى صديقا حميما لابن المعتز ، يكثر من مجالسته ومعاشرته ويعجب بعلمه وأدبه[٩] ، وكان يلازمه ويكتب عنه شعره الى آخر ايامه[١٠] ، وقد وصف لنا حالة ابن المعتز يوم ان احضر ـــ بعد فشل ثورته ـــ الى سوسن الحاجب وما عمل به هذا[١١] .

واضطر الصولي في آخر ايامه الى الانحدار الى البصرة ، فتوفي فيهـا سنة ٢٣٥ أو ٢٣٦ هـ[١٢] .

ويبدو ان تصنيف الدواوين في عصر الصولي وما بعده كان يجرى على ثلاثة أنواع :

(١) التصنيف على الحروف .

(٢) التصنيف على الفنون او الابواب او الانواع .

(٣) التصنيف على بحور العروض .

---

(٩) كان الصولي يطرى ابن المعتز كثيرا ويثنى على علمه وأدبه ، وقد اشار الحصري الى أحد مجالس ابن المعتز الادبية التي كان يحضرها الصولي والى ما كان يدور فيها والى تقريظ الصولي لما رآه من علم ابن المعتـز وكرمه ونكتفي بالاشارة الى بعض ما جاء في ذلك المجلس : (قال ابـو بكر الصولي : اجتمعت مع جماعة من الشعراء عند ابي العباس عبـدالله ابن المعتز وكان يتحقق بعلم البديع تحققا ينصر دعـواه فيـه لســان مذاكراته ، فلم يبق مسلك من مسالك الشعراء الا سلك بنا شعبا مـن شعابه ، واوردنا احسن ما قيل في بابه ... فما احد من الجمـاعة انصرف من ذلك المجلس الا وقد غمره من بحر ابى العباس ما غاض معه معينه ، ولم ينهض حتى زودنا من بره والطفه نهاية ما اتسعت له حاله) (زهر الاداب ١٠٠٠ـ١٠٠٥) .

(١٠) انظر الديوان ـــ حاشية (١/٧٢٠ـ٧٢١) .

(١١) انظر ص (٩٢) من هذه الدراسة .

(١٢) انظر تاريخ بغداد (٣/٤٢٧) والفهرست (٢١٥ـ٢١٦) .

وقد مر بنا ان تصنيف الصولي لدواوين عـدد من الشعراء كان على الحروف ، وكان من ضمنها ديوان ابن المعتز ، غير ان الذي وقفنا عليه مـن صنعته لديوان ابن المعتز كان على الفنون .

فهل كان له تصنيف ثان للديوان ؟ . اكبر الظن انه لم يكن له تصنيف آخر ؟ ففي الفصل الذي كتبه عن ابن المعتز في كتابه الاوراق (قسم اشعار اولاد الخلفاء) نجده قد اختار له اى لابن المعتز نماذج من شعره في الفنون المختلفة فيما عدا الرثاء ، معتمدا في هذا على تصنيفه لديوان الشاعر علـى الفنون . وقد أجمعت نسخ ديوان ابن المعتز على ترتيبه على الفنون ، ولم يشذ منها الا النسخة البيروتية المطبوعة في سنة ١٩٦١ . حيث رتبت علـى الحروف .

ونستطيع ان نفترض على اساس ما عثرنا عليه من اشارات في بعض النسخ التى جمعناها من ديوان ابن المعتز ، ان حمزة الاصبهانى قد جمع ديوان ابن المعتز ، ولكنه فيما يظهر لم يرتبه كما رتبه الصولى على الفنون ، وانما رتبه على بحور العروض ، كما نص على ذلك ناسخ النسخة (ل) في هامش الورقة (٢٠٢) ، بقوله (وفيها زيادات في سائر الفنون من النسخة التى صنفها حمزة الاصبهانى معمولة على بحور العروض)[١٣] .

ويظهر ان النساخ قد أفادوا من هذه النسخة عند نسخهم لديوان ابن المعتـز برواية الصـولى ، فقد اشار ناسـخ النسخة (ل) في هامش الورقة (١٤٨ و) ، وناسـخ النسـخة (ى) في هامش الورقة (٦ و) في قولهما : (وما كان علامته (ح) فهو من نسـخة حمزة الاصبهاني) ، يريدان بذلك ان كل زيادة أخذاها من رواية حمزة قد ميزاها بالحروف (ح) وهذا يدل من بعض الوجوه على ان تصنيف حمزة هذا لديوان ابن المعتز كان اوسع من تصنيف الصولى . والزيادات المأخوذة من نسخة حمزة هى التى تحمل الارقام

---

(١٣) الديوان (٢١٨/٣) .

الاتية : ٦٤٢ ، ٧١٦ ، ٧٥١ ، ٧٦٦ ، ٧٦٧ ، ٩٥١ ، ٩٥٥ ، ٩٥٦ ، ٩٦٧ ، ٩٦٨ ، ٩٧٩ ، ١٠٠١ ، ١٠٣٠ ، ١٠٦٣ ، ١٠٦٤ ، ١٠٨٨ ، ١٠٨٩ ، ١٠٩٩ ، ١١١٤ ، ١١٣٢ ، ١١٤٢ .

والجدير بالذكر ان اكثر الزيادات في هوامش النسخة (ل) كان يقدم لها بعبارة : (وجدت في نسخة مؤلفة على غير الحروف) أو (على الفنون) وقدم لمقطوعة واحدة من فن الشراب هى المقطوعة (٧٤٧) بعبارة : (وجدت في نسخة على الحروف) .

ولا ندرى على وجه الدقة متى صنف الصولى ديوان ابن المعتز ؟ فهل كان تصنيفه له في عهد ابن المعتز ، أو بعد وفاته ؟ غير ان ناسخ (ل) يقول بعد الانتهاء من النسخ هذه العبارة : (وكمل شعر ابى العباس عبد الله بن محمد المعتز بالله وفيه زيادات من املائه ، وجدتها في نسخة كتبت سنة خمس وتسعين ومائتين ، فأوردتها وأعلمت عليها ..)[١٤] . واذا صح هذا فمعنى ذلك ان الديوان قد جمع في عهد الشاعر وقبل مقتله بسنة .

ومما تجدر الاشارة اليه ان الفصل الذي عقده الصولي عن شعر ابن المعتز في كتابه الاوراق اشتمل على زيادات لم ترد في الديوان، مما يدل على انه ألفه بعد تصنيفه الديوان ؟ وان بعضا من هذه الزيادات قالها ابن المعتز في أواخر حياته ــ كما يقول الصــولى ــ من ذلك قصيدته في هجاء يحيى بن علــي المنجم[١٥] ، فهل يعنى هذا ان جمعه للديوان كان في سنة ٢٩٥ هـ ؟ .

على انه ينبغى ان نشير الى ان ديوان ابن المعتز كان معروفا قبل سنة (٣٢٢ هـ) ، فقد جاء في ترجمة ابن طباطبا المتوفى سنة ٣٢٢ هـ (وكان ابو الحسن طول ايامه مشتاقا الى عبد الله بن المعتز متمنيا ان يلقاه او يروى

(١٤) الديوان (٣/٢١٨) .

(١٥) انظر الاوراق قسم اشعار اولاد الخلفاء ، الفصل الخاص بابن المعتز (المقدمة) وانظر الديوان (١/٧٢٠-٧٢١) .

شعره ، فأما لقاؤه فلم يتفق له لانه لم يفارق اصبهان قط ، واما ظفره بشعره فانه اتفق له في آخر ايامه • وله في ذلك قصة عجيبة ، وذلك انه دخل الى دار معسر وقد حملت اليه من بغداد نسخة من شعر عبد الله بن المعتز . فاستعارها فسوف بها فتمكن عندهم من النظر فيها ، وخرج وعدل إليّ كالا كأنه ناهض بحمل ثقيل ، فطلب محبرة وكاغدا وأخذ يكتب عن ظهر قلبه مقطعات من الشعر فسألته لمن هي ؟ فلم يجبني حتى فرغ من نسخها وملأ منها خمس ورقات من نصف المأموني ، وأحصيت الابيات فبلغ عددها مائة وسبعة وثمانين بيتا تحفظها من شعر ابن المعتز في ذلك المجلس واختارها من بين سائرها)[١٦] •

ويظهر ان نسخ الديوان أخذت تتعدد وان بعضها كان يشتمل على زيادات لم تشتمل عليها النسخ الاخرى ، والى هذا يشير الثعالبي في قوله وقد أورد مقطوعة لابن المعتز : (وأنشد حمزة الاصفهاني لابن المعتز هذه الابيات ولم أجدها في النسخ العراقية من شعره)[١٧] • ومن النسخ التى كانت تشتمل على زيادات نسخة ابن المرزبان ، فقد جاء في هامش الورقة الاخيرة من النسخة (ل) قول الناسخ : (وفيها ايضا زيادات من نسخة ابى عبد الله ابن المرزبان عن الدمشقى عن عبد الله المعتز) ، كما جاء في هامش الورقة (١٤٨ و) : (ماكان علامته (ن) فهو من نسخة ابن المرزبان عن الدمشقى عن ابن المعتز)•

وقد تعرض ديوان ابن المعتز خلال سفرته الطويلة الى كثير من تحريفات النساخ وتصحيفاتهم حتى كاد يؤول الى صورة من التشويه تبعده كل البعد عن صورته الحقيقية ، كما أضاف اليه النساخ في العصور المتأخرة اضافات لم تكن في أغلبها من شعر ابن المعتز ، مما سنشير اليه في الفصل الذى سنتحدث فيه عن المنحول من شعره •

---

(١٦) معجم الادباء (١٧/١٤٤–١٤٥) .

(١٧) انظر : الديوان (١٤٦/٣) . ومن الجدير بالذكر ان هذه المقطوعة منسوبة لابن الرومي وهي في ديوانه (٥٠٥/٢) .

وكنت قد أحسست بهذا التشويه فأخذت اعد نفسي للقيام باصلاحه ، ومحاولة بناء الديوان بما يتناسب وما لهذا الشاعر من مكانة أدبية مرموقة • فأخذت أبحث عن مخطوطات الديوان ، واستطعت أن أحصل بمساعدة الدكتور الكريم رمضان عبدالتواب على أفلام لخمس نسخ منه ، أربع منها تشتمل على الديوان كاملا ، وواحدة تشتمل على القسم الثانى منه ، ونسخة تشتمل على الفصل الخاص بأخبار ابن المعتز وأشعاره من كتاب الاوراق (قسم أشعار أولاد الخلفاء) كما وقفت على نسخة كاملة من الديوان فيالعراق، وعلى قطعة منه أيضاً ووقفت كذلك على نسخة كاملة ، وعلى نسخة أخرى تشمل القسم الثاني منه ، وعلى ثلاث نسخ ناقصة في معهد المخطوطات التابع للجامعة العربية ، ووقفت ايضا على نسخة كاملة من الديوان في مكتبة جامعة الازهر سنشير اليها كلها بعد قليل • وضممت الى هذه النسخ أربع نسخ مطبوعة من الديوان : ثلاثا منها تشتمل على الديوان كاملا ، وواحدة تشتمل على القسم الثانى منه • وهذه النسخ كلها من رواية الصولى ، وهى ـ ما عدا النسخة المطبوعة في سنة ١٩٦١ ـ مرتبة على عشرة فنون هى : الفخر ، الغزل ، المديح والتهانى ، الهجاء والذم ، الشراب ، المعاتبات ، الطرد ، الاوصاف والملح ، المراثى ، والتعازى ، الزهد والشيب والحكمة •

وكل فن مرتب على حروف الهجاء • والنسخ المخطوطة جميعا تشتمل على مقدمات لكثير من القصائد والمقطعات في اغلب الفنون •

وفيما يلي وصف لمصادر الديوان :

اولا : المصادر المخطوطة : الدواوين والكتب :

أ ـ النسخ الكاملة :

١ ـ ع :

في مكتبة الاوقاف ــ ببغداد ، رقمها (٢٢٤ / ١٢١٨١) ، تقع في (٢٠٣) ورقات ، وخطها نسخ غير مشكول ، ورقها اسمر خشن ، مجهولة الناسخ[١٨] ، قياسها : ٢٥ سم × ١٦ سم ، في كل صحيفة (٢٣) سطرا وفي اسفل الزاوية اليسرى من كل ورقة كلمة تقفية . وفي آخر الزهد جاء قول الناسخ : (تمت قافية الياء في الزهد بعون الله ومنه وبتمامها تم الكتاب من شعر ابى العباس عبد الله بن المعتز بالله وصلى الله على محمد وآله واصحابه بتاريخ اواخر الصفر من شهور سنة ١٣٠٥) .

وأتخذتها أ ُمّاً في تحقيق فنون : الفخر ، والغزل ، والمديح والتهاني ، والهجاء والذم ، وهو القسم الاول من الديوان ، لاشتمالها على زيادات هى ارقام الغزل (١٦٩ ، ٣٦١ ــ ٣٦٧) ، والمقطوعة (٥١٦) من فن الهجاء والذم ، ولقلة مافيها من تحريفات بالنسبة الى النسخ الكاملة الاخرى ، غير انها لم تخل من اسقاط بعض الكلمات ، واهمال للاعجام احيانا .

٢ ــ د :

في دار الكتب المصرية ، رقمها ٥٢٤ أدب ، في اول المخطوطة : (ديوان امير المؤمنين ابن المعتز رحمه الله جمع الصولى) ، وهى مكتوبة بخط رقعة جميل غير مشكول ، عدد اوراقها (٢٤٣) ، في كل صحيفة (٢١) سطرا وهناك

---

(١٨) كتب الى من العراق الاخ الاستاذ / عبدالله الجبوري امين مكتبة الاوقاف ببغداد ــ مشكورا هذه الرسالة حول ناسخ المخطوطة (ع) : (الملا عباس البغدادى : شاعر اديب من الحلة ، ولد فيها سنة ١٢٥٧هـ ، وتوفى سنة ١٣١٨هـ اشتغل بنسخ الكتب لال الالوسى ، وآل الجميل . ومن هذه الكتب المنتسخة بخطه : كتاب (ديوان ابن المعتز . المخطوط في المكتبة برقم (١٢١٨١) ومؤرخ في سنة ١٣٠٥هـ . وهو وان لم يذكر اسمه في آخره الا انه هو هو خطه ، والدليل : مقارنة كثير من المخطوطات التي تضمها مكتبة الاوقاف العامة مع هذا المخطوط ينهض جليا على ما اذهب اليه واغلبها كتب في سنة ١٣٠٥هـ و١٣٠٧هـ ومن هذه الكتب:
ديوان الشريف الرضى رقم (١٢١٨٢) ، وديوان السري الرفاء برقم (١٢١٨٣) وفيهما يصرح باسمه) .

بقدر ثلاث صفحات بياض في اول المخطوطة ، وبعد قوله (بسم الله الرحمن الرحيم) وكان الناسخ تركها للمقدمة فلم يتيسر له ، مجهولة الناسخ ، عليها بعض الهوامش بعلامة (ن) ، وفي آخر ورقة منها جاء قول الناسخ : (تنجز الديوان المبارك من شعر مولانا الامير ابى العباس عبد الله بن المعتز بالله الخليفة العباسي رحمه الله رواية الشيخ العلامة الصولي رحمه الله آمين • وكان الفراغ من تحرير هذه النسخة في يوم الثلاثاء تاسع عشر ذى القعدة المبارك سنة ١٢٨٥ الف ومائتين وثمانين من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام على آله وأصحابه ، والحمد لله وحده) •

ووردت في هذه النسخة زيادات لم ترد في النسخ المخطوطة الاخرى ، ما عدا المخطوطة (ز) ، وهى المقطوعات ذوات الارقام الاتية :

٥٩٩ ، ٦٠٠ ، ٦٠٢ ، ٦٢٥ ، ٦٢٦ ، ٦٢٧ ، ٦٢٨ ، ٦٢٩ ، ٧٢٤ ، ٧٥٢، ٩٥٧ ، ٩٧١ — ٩٧٣ ، ٩٨٢ — ٩٨٣ ، ٩٨٧ — ٩٨٨ ، ١٠٠٢—١٠٠٤ ، ١٠٤٢— ١٠٥٩ ، ١٠٦٦ ، ١٠٧١ — ١٠٧٢ ، ١٠٧٦ ، ١٠٧٨ — ١٠٨٠ ، ١٠٩١ ، ١٠٩٧ ، ١١٠٠ ، ١١١٦ ، ١١٢٥ ، ١١٣٣ — ١١٤١ ، ١١٤٤ •

ووردت في هذه المخطوطة موشحة منسوبة لابن المعتز •

ويبدو ان هذه المخطوطة هى التي اعتمد كثير من دارسي ابن المعتز عليها ، كما أشار بعض الدارسين المحدثين اليها[19] ، كما اعتمدت عليها نسخ الديوان المطبوعة في مصر وبيروت ومختارات البارودى •

(١٩) انظر : نهاية الارب هامش (٢) (١١٨/١١) • وابن المعتز وتراثه في الادب (١٣٩) • وابو بكر الصولي لاحمد جمال العمري ص ٣٠٤ • والعصر العباسي الثاني (ص٣٢٥) •

٣ ــ ز :

في المكتبة الازهر ، رقمها (١٩٩) خاص ، (٦٨٠٤) عام ، تقع في ٢٣٧ ورقة ، مسطرتها ٢١ سطرا ، ٢١ سم في الصحيفة الاولى : وقف هذا الكتاب ورثة المغفور له سليمان باشا اباظة بالجامع الازهر سنة ١١٣١هـ • وللمخطوطة مقدمة هي نفس مقدمة المخطوطة (أ) التى سنشير اليها • وفي آخر صحيفة من النسخة : (نجز الديوان المبارك من شعر الامير ابي العباس عبد الله بن المعتز رحمه الله تعالى رواية العلامة الصولى رحمه الله تعالى آمين • وكان الفراغ من تحرير هذه النسخة يوم الاحد المبارك ثامن عشر شهر جمادى الاولى من شهور سنة ١٢٨٢ اثنين وثمانين ومائتين والف هجرية نبوية على صاحبها افضل الصلاة وأتم السلام على يد كاتبه الفقير محمد بن وفا الشافعي غفر الله له ولوالديه ولمن دعا لهم بالمغفرة آمين ، والحمد لله رب العالمين) • وتشتمل هذه النسخة على الزيادات التى اشتملت عليها النسخة (د) وهما من نسخة واحدة • ان لم تكن (د) منتسخة منها • غير ان خط (د) اجمل وتحريفها اقل ، ولهذا اهملناها ولم نتخذها ضمن المخطوطات المعتمدة •

٤ ــ أ :

في دار الكتب المصرية رقمها (٤٥٤٦) أدب ، تقع في (٢٣٢) ورقة ، في كل صحيفة (٢١) سطرا ، خطها نسخ مشكول في أكثره ، مجهولة الناسخ • ولها مقدمة قصيرة يظهر انها لبعض النساخ بدليل ما جاء فيها من ذكر قطب الدين النهروالي المتوفى سنة (٩٩٠ هـ) لابن المعتز • والمقدمة ثناء على ابن المعتز وأدبه وشاعريته وذكر ما قاله فيه بعض الادباء كالمرزباني والحصري والمطوعي والنهروالي ، والماح الى خلافته ومقتله ، وذكر شيء من تصانيفه • وتبدأ بقوله (الحمد لله الملك الوهاب الغفور التواب •••) وبعد التمهيد يقول (اما بعد فهذا ديوان شريف ، حوى من كل معنى ظريف) •

ثم يقول : (وهذا الديوان المنتخب الذي اعتنى بجمعه من بعده الشيخ العلامة العمدة الصولي رحمه الله تعالى المشتمل على عشرة فنون ، الفن الاول في الفخر ...) • وفي نهاية النسخة : (وهذا آخر الديوان المبارك من شعر أبي العباس عبدالله بن محمد المعتز بالله ، والله الموفق للصواب واليه المرجع والمآب ... وحرر في اواخر محرم الحرام افتتاح سنة ١٠٣٠) •

٥ ـ ج :

في دار الكتب المصرية ، رقمها (٩٠٤٦) أدب ، خطها نسخ مشكول في بعضه ، عدد أوراقها (٢٠٥) ، في كل صحيفة (٢١) سطرا ، وفي بعض هوامشها تصحيحات واستدراكات ، مجهولة الناسخ ، وسنة النسخ ، فيها تحريفات وتصحيفات ونقص • لها نفس مقدمة المخطوطة (أ) مما يدل على ان احداهما قد أخذت عن الاخرى • في الصحيفة الاولى : (هذا ديوان عظيم لامير المؤمنين ابي العباس عبدالله بن المعتز العباسي رواية محمد بن يحيى الصولي) • ومما جاء في المقدمة : (وهذا الديوان المنتخب رواية الشيخ الامجد محمد بن يحيى الصولي المؤرخ المشهور يشتمل على عشرة فنون الاول في الفخر ...)، وفي نهاية فن الزهد جاء قول الناسخ : (تم الفن العاشر وبتمامه تم الديوان المبارك من شعر ابي العباس عبدالله بن المعتز العباسي والله الموفق للصواب رواية محمد بن يحيى الصولي وجمعه ...) •

٦ ـ ف :

في دار الكتب المصرية ، رقمها (٦٦١٠) أدب ، خطها فارسي (تعليق) دقيق غير مشكول ، تقع في (١٤٠) ورقة في كل صحيفة (٢٩) سطرا ، ويبدو انها و (ج) من أصل واحد ان لم تكن منقولة عن (ج) • وهي ليست كما يشير ناشر (س) الى انها و (أ) منقولتان عن اصل واحد مما دعاه الى اطراحها وعدم الرجوع اليها • وليس لها مقدمة • جاء في نهاية فن الزهد قول الناسخ (تم الفن العاشر وبتمامه تم الديوان المبارك من شعر ابي العباس عبدالله بن

المعتز من رواية محمد بن يحيى الصولي وجمعه • وكان الفراغ من كتابته في غرة رمضان المبارك من شهر سنة ١٠٩٦ من الهجرة النبوية بقلم الحقير فتحالله ابن عمر بن فتح الله الحمصي الشهير بابن العبطا غفر الله له ولوالديه آمين) •

٧ ـ ر :

في معهد المخطوطات التابع للجامعة العربية رقمها (١٠٥) بدون صنف، تقع في (١٦٠) ورقة ، في كل صحيفة (١٨) سطرا ، قياسها ٥ر١٤×١٩ سم ، خطها نسخي معتاد مشكول في أغلبه ، ليست لها مقدمة ، في الصحيفة الاولى منها : (بسم الله الرحمن الرحيم قال ابو العباس عبدالله بن محمد المعتز بالله في الفخر ••••) • وهي والنسخة (ع) منقولتان عن أصل واحد ، الا انها كثيرة التصحيف والتحريف ، وقد سقطت بعض اوراق منها كما انها لا تشتمل على كل الزيادات الواردة في (ع) ، وفي آخر ورقة منها جاء قول الناسخ : (تمت قافية الياء في الزهد بعون الله ومنه وبتمامها تم الديوان من شعر أبي العباس عبدالله بن المعتز بالله ، والله الموفق للصواب، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم ، وكان الفراغ من هذا الكتاب المبارك يوم الخميس المبارك رابع عشر من شهر ربيع الاول سنة خمس عشرة والف) •

وأكبر الظن ان الصولي قد قدم للديوان بشيء من اخبار الشاعر ، كما فعل في الفصل الذي عقده عليه والذي اختار له فيه نماذج من شعره مرتبة على الفنون التي رتب فيها ديوانه ، وكما فعل في ديوان ابي تمام والبحتري اللذين قام بجمعهما وقدم لكل واحد منهما بشيء من اخباره • ويبدو ان ما قدم به للديوان فُقِـدَ . ولو وصل الينا لوقفنا على اشياء اخرى تتصل بحياة الشاعر ولعرفنا السبب الذي حدا بالصولي الى ان يسلك في ترتيبه لهذا الديوان طريقة الفنون . فقد دأب بعض المصنفين للدواوين على أن يبينوا السبب الذي دفعهم الى سلوك هذا الاتجاه في الترتيب ، كما فعل ذلك حمزة الاصبهاني في مقدمة ديوان أبي نواس •

ب ــ النسخ الناقصة :

١ ــ ل :

في معهد المخطوطات التابع للجامعة العربية (وهو فيلم مصور عن النسخة الاصلية في مكتبة لالەلي) رقم الفيلم (٢٦٠) عدد اوراق النسخة (٢٠٢) ، في كل صحيفة (١٥) سطرا ، وخطها نسخ قديم مشكول ، كاتبها عبدالملك بن عبدالعزيز بن محمد بن اسماعيل بن يعقوب الوراق • تاريخ النسخ سنة ٣٧٢ هـ • والنسخة جيدة قليلة التحريف والتصحيف ، وفي هوامشها زيادات واستدراكات كثيرة ، ويبدو ان الناسخ قد رأى نسخة الصولي فقابلها بها ، فهو يقول في الورقة (١٨) : (بلغت المقابلة وحدي بنسخة الصولي) • كما انه وجد زيادات اخرى من نسخة كتبت سنة ٢٩٥هـ وزيادات من نسخة حمزة الاصبهاني المعمولة على بحور العروض ، ونسخة المرزباني فأضافها اليها • وفي الهوامش علامات وضعت امام الزيادات والمستدركات منها :

ح : ويراد بها الاشارة الى حمزة الاصبهاني ، فقد جاء في الورقة (١٤٨و) (وما كان علامته (ح) فهو من نسخة حمزة الاصبهاني)[٢٠] • ومنها :

ن : ويراد بها الاشارة الى ابن المرزبان ، فقد جاء في الورقة (١٤٨و) نفسها:

(٢٠) هو حمزة بن الحسن الاصبهاني ، مؤرخ اديب من اهل اصفهان زار بغداد مرات • وكان مؤدبا ، وصنف عددا من الكتب ، كما صنف ديـوان ابى نواس وابى تمام توفى سنة ٣٦٠هـ (عن الاعلام ٣٠٩/٢ وانظر الفهرست ١٩٩ ومقدمة ديوان ابى نواس وكشف الظنون (٥٣) • ويبدو انه صنف ديوان ابن المعتز وان لم يصل الينا شيء من ذلك ما عدا ما جاء في هوامش هذه المخطوطة •

(وما كانت علامته (ن) فهو من نسخة ابن المرزبان[٢١] عن الدمشقي عن ابن المعتز) • ومنها :

ع : ولعله يراد بها الاشارة الى ابن ابي عون[٢٢] صاحب كتاب التشبيهات الذي اورد لابن المعتز نماذج كثيرة من شعره في كتابه • ومنها :

ص : ولعله يراد بها الاشارة الى رواية اخرى للصولي لم ترد في نسخته[٢٣] •

وفي الحواشي أيضا عبارات كتبت قبل الزيادات والمستدركات مثل : (وجدت في نسخة علي غير الحروف) ، أو (وجدت من املاء ابي العباس لنفسه) • والنسخة تشتمل على ستة فنون هي : الشراب ، والمعاتبات ، والطرد، والاوصاف والملح، والمراثي والتعازي، والزهد والشيب والآداب والحكمة• وكان الناسخ يكتب تحت كل فن عبارة : (صنعة أبي بكر محمد بن يحيى الصولي) وجُعِلَ الفنان الاولان في جزء واحد هو الجزء الثالث ، والفنون الاخرى في جزء آخر هو الرابع[٢٤] • وأشير في الصحيفة الثانية من المخطوطة الى أن الجزءين هما نصف الكتاب •

واتخذت هذه النسخة أُمّاً في تحقيق هذا القسم من الديوان •

---

(٢١) المرزباني : هو ابو عبدالله او عبيدالله محمد بن عمران من الاخباريين المصنفين الرواة . كان معروفا بصدق اللهجة وسعة المعرفة بالروايات ، وكثرة السماع • ولد سنة ٢٩٧هـ وتوفي سنة ٣٨٤هـ ، وله من الكتب: الموشح ومعجم الشعراء • واخبار الشعراء المشهورين والمكثرين من شعراء المحدثين اولهم بشار بن برد وآخرهم ابن المعتز (عن الفهرست ١٩٠ ، ووفيات الاعيان ٤٧٥/٣) .

(٢٢) هو ابو اسحاق ابراهيم بن ابى عون بن احمد المنجم • وكان من اصحاب الشلمغاني . قتل معه في سنة ٣٢٢هـ (انظر الفهرست ٢١١) .

(٢٣) انظر مقدمة (س) .

(٢٤) اشار بروكلمان الى هذه النسخة بقوله : (لا للى ١٧٢٨) (ويشتمل على القسم الاول فقط وكتب سنة ٣٧٢) (تاريخ الادب العربي ٥٦/٢) والصحيح انه يشتمل على القسم الثاني فقط لا على الاول .

٢ ـ ن :

في معهد المخطوطات التابع للجامعة العربية فلم من مكتبة الامبروزيانا رقمه (٧٠) • وهو تصوير لنسخة من الجزء الثاني من ديوان ابن المعتز ، وتقع في (١١٩) ورقة ، في كل صحيفة (١٩) سطرا ، كتبت في القرن السابع الهجري. وفي واجهة الغلاف كتب : (الجزء الثاني من ديوان أبي العباس عبدالله بن محمد المعتز بالله صنعة ابي بكر محمد بن يحيى الصولي عفا الله عنه . فيه من الفنون : الشراب والمعاتبات والطرديات والاوصاف والمراثي والزهديات) •

وفي الصحيفة الاولى : (بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على نبيه وآله قال أبو العباس عبدالله بن محمد المعتز بالله في الشراب) • وكان الناسخ يكتب عقب كل فن جملة (من شعر ابي العباس عبدالله بن محمد المعتز بالله رواية الصولي) • وسقطت من النسخة جملة من الاوراق لبعض الفنون ، كما كان يهمل الاعجام كثيرا • وفي هوامش النسخة استدراكات وزيادات ، كما فيها تصويبات لبعض ما طمس من ابيات في المخطوطة (ل) • وفي آخر صحيفة منها جاء قول الناسخ : (تمت قافية الياء في الزهد بعون الله ومنه وبتمامها تم الجزء الثاني من شعر أبي العباس عبدالله بن محمد المعتزبالله في جميع الفنون •••) •

٣ ـ ى :

في مكتبة الدراسات العليا ببغداد ، رقمها (١٤٤٢) وهي قطعة من ديوان ابن المعتز رواية الصولي وحمزة الاصبهاني • وتبدأ من البيت العاشر من القصيدة الاولى في فن الفخر ، وتنتهي بالبيت الثامن من القصيدة (١٦) من الفن نفسه • وهي مجهولة الناسخ والتاريخ ، ولكن يبدو من ورقها وحبرها انها حديثة جدا ، وهي قطعة نفيسة ، لاشتمالها على زيادات خلت منها المخطوطات الاخرى ، ولتصحيحها تحريفات وقعت في النسخ الاخرى •

٤ ـ ت :

في معهد المخطوطات التابع للجامعة العربية فلم مصور لنسخة من شعر ابن المعتز من مكتبة الشيخ عبيد مدني الخاصة بالمدينة ، والفيلم بدون رقم لوروده الى المعهد حديثا • وفي واجهة الغلاف : (ديوان ابن العباس عبدالله بن المعتز العباسي المتوفى سنة ٢٩٦هـ جمع واختيار الصاحب بن عباد[٢٥] مرتبة على عشرة فنون) •

والنسخة تقع في (٨٧) ورقة في كل صحيفة (١٨) سطرا • ومسطرتها ١٧ × ٢٤ سم وهي بقلم معتاد ، كتبت سنة ٥٨٧هـ ، كتبها بنفسه مسعود بن عباس بن علي بن ابي عمرو • والورقة الاولى بخط مغاير حديث • وللنسخة مقدمة هي مقدمة النسخة (أ ، جـ) نفسها • ولعل هذا ما يضعف القول في انها من جمع واختيار الصاحب المتوفى سنة ٣٨٥هـ[٢٦] ، او انها كتبت في سنة ٥٨٧هـ ، ان لم تكن المقدمة من وضع احد النساخ • وهي كثيرة التصحيف والتحريف ، ولم نعتمدها في التحقيق ولكننا استأنسنا بها •

٥ ـ ك :

في معهد المخطوطات التابع للجامعة العربية (فيلم بدون رقم لوروده حديثا الى المعهد) وهو تصوير لجزء من ديوان ابن المعتز في كوبنهاجن ، والنسخة تقع في (١٠٣) اوراق ، بخط رقعة ، لها مقدمة هي مقدمة المخطوطة

(٢٥) كذا جاء العنوان ، ولا ندري هل ان للصاحب اختيارا كهذا او انه اقحم على النص • غير انه جاء في كتاب الكشف عن مساوىء شعر المتنبي للصاحب (٣٥) ما نصه : (وكنت (اي الصاحب) اقرأ عليه (اي على ابن العميد) شعر ابن المعتز متخيرا الانفس فالانفس ، فابتدأت قصيدة على المديد الاول فرسم تجاوزها • وقدرته يحفظها ولا يرضاها ، فسألته عنها فقال هذا الوزن لا يقع عليه للمحدثين جيد الشعر • فتتبعت عدة قصائد على هذا الضرب فوجدتها في نهاية الضعف) •

(٢٦) كشف الظنون (٢/ ٢٨٦) •

(أ) وتشتمل على فن : الفخر والغزل واكثر فن المديح • وهي كثيرة التحريف بحيث لا يمكن الافادة منها ، ولهذا لم تتخذها في جملة النسخ المعتمـــدة في التحقيق وهي غير نسخة كوبنهاجن التي اعتمدها ناشر (س) •

جـ ـ

خ ـ كتاب اشعار ابن المعتز وأخباره[٢٧] :

وهو فصل من كتاب الاوراق للصولي (قسم أشعار اولاد الخلفاء)الذي نشره المستشرق ج • هيورث سنة ١٩٣٦ م في مصر مع قسمين آخرين من الكتاب• وبدأ الصولي هذا الفصل بمقدمة عن بعض اخبار ابن المعتز ثم سرد نماذج من أشعاره مرتبة على الفنون كما فعل في ترتيب ديوانه • وذكر تسعة فنون هي :

المديح . والهجاء ، والفخر ، والخمر ، والطرد ، والغزل ، والصفـــات والمعاتبات ، والزهد والشيب ، ولكنه اسقط فن الرثاء ، واعقب رواية شعر ابن المعتز بنماذج من نثره •

وقد آثرنا الرجوع الى المخطوط الذي تناول هذا القسم من أشعار ابن المعتز في تحقيق ديوانه ، اذ ظهر لنا ان ناشره قد وقع في كثير من التحريفات، وقد شكا ناشر النسخة (س) من طبعة المستشرق هيورث فقال ص ٧ : (على ان رواية اشعار ابن المعتز في كتاب الاوراق ليست بتلك الجيدة (كذا) في الكثير من المواضع هذا وبعض ما في المتن المطبوع ظاهر التحريف ، ولم يمكننا مقابلته بأصله المخطوط المنقول منه) •

---

(٢٧) جاء في كتاب تاريخ الادب العربي لبروكلمان (٢/٥٧) في صدد الكلام علـى نسخ ديوان ابن المعتز (والظاهر ان النسخة الموجودة في مكتبة ـ الاب انستاس الكرملي بعنوان : اشعار ابن المعتز واخباره هي مخطوط آخر من هذا الديوان . وذكر الكرملي هذه النسخة في رسالة الى المستشرق كرنكو بتاريخ ١٥/٩/١٩٢٥) •

والصحيح ان هذه النسخة هي الفصل الخاص باشعار ابن المعتز مـــن كتاب الاورق (قسم اشعار اولاد الخلفاء) وليست نسخة من الديوان •

وفي هذا الفصل زيادات لم ترد في الديوان وهي القصائد والمقطوعات ذوات الارقام الآتية : (٤٩٨ ، ٤٩٩ ، ٥٦٧ ، ٥٨٥ ، ٨٤١ ، ١٠٤١) .

والنسخة التي اعتمدنا عليها مصورة عن اصل محفوظ بمكتبة الدراسات العليا ببغداد ، وقد قامت دار الكتب المصرية بتصوير هذا الاصل وحفظه تحت رقم (١٣٠٠٢ ز) . وتقع هذه النسخة في (٦٩) ورقة في كل صحيفة (٢١) سطرا ، وهي مجهولة الناسخ . كتبت في سنة ١٠٠٥ هـ .

ورجعنا الى كتاب الاوراق (قسم اخبار المقتدر) ، وهو مخطوط في مكتبة جامعة الازهر برقم (٧٠٨٣) أباظه ، ووقفنا فيه على بعض اخبار ابن المعتز ، ونقلنا منه القصيدة الدالية في هجاء ابن المنجم[٢٨] .

ثانيا :

أ ـ نسخ الديوان المطبوعة :

١ ـ م :

وهي الطبعة المصرية في سنة ١٨٩١ ، وهي في جزءين مرتبة على الفنون. يشمل الجزء الاول فنون : الفخر ، والغزل ، والمدح ، وهو في (١٥٠) خمسين ومائة ورقة ، ويشمل الجزء الثاني فنون : الهجاء ، والشراب ، والمعاتبات ، والطرد ، والاوصاف ، والمراثي ، والزهد ، وهو في (١٤٣) ثلاث واربعين ومائة ورقة .

٢ ـ ق :

وهي الطبعة البيروتية الاولى في سنة ١٣٣٢ هـ ، في جزء واحد يقع في (١٧٠) ورقة ، مرتبة على الفنون ، وعليها شرح لغوي لمحيي الدين الخياط .

---

(٢٨) انظر الديوان (١/٦٤٥) .

٣ ـ ب :

وهي الطبعة البيروتية الثانية للديوان في سنة ١٣٨١ هـ ـــ ١٩٦١ م في جزء واحد يقع في (٢٥٣) ورقة ، وهي مرتبة على الحروف ، مشكولة ، وعليها الشرح اللغوي لمحيي الدين الخياط ، واسقطت منها الموشحة المنسوبة لابن المعتز ، وفي حواشيها تصويبات قليلة جدا .

والجدير بالذكر ان الطبعتين البيروتيتين معتمدتان على الطبعة المصرية وهذه الاخيرة معتمدة على النسخة (د) ، وهي التي يرجع تاريخها الى سنة (١٢٨٥ هـ) . غير ان هذه النسخ المطبوعة لم تشتمل على جميع ما في النسخة (د) من شعر ، فقد سقط منها عدد كبير من القصائد والمقطوعات ، كما اشتملت على اضافات لم تكن في اغلبها ـــ كما اسلفنا ـــ من شعر ابن المعتز .

وجارت هذه النسخ النسخة (د) في كل ما وقعت فيه من تحريف وتصحيف . كما وقعت في تصحيفات وتحريفات أخرى في اثناء الطبع . وهي طبعات سقيمة لا يمكن الركون اليها في أية دراسة .. تتصل بشعر ابن المعتز .

٤ ـ س :

وهي طبعة استانبول ، قام بها المستشرق ب . لوين ، وهي تشمل القسم الثاني من الديوان ، وتقع في جزءين[٢٩] ، ثالث ورابع ، يضم الثالث فني : الشراب ، والمعاتبات ، طبع سنة ١٩٥٠ م بمطبعة المعارف في استانبول ويقع في نحو (٩٧) سبع وتسعين ورقة . ويضم الرابع فنون : الطرد ، والاوصاف ، والمراثي ، والزهد ، وطبع في سنة ١٩٤٥ م بمطبعة المعارف في استانبول أيضا ، ويقع في نحو (١٢٣) ثلاث وعشرين ومائة ورقة .

(٢٩) اشار الاستاذ خفاجي الى هذه الطبعة في كتابه (ابن المعتز وتراثه في الادب ١٣٢) فقال : (وطبعه مستشرق المـاني في اربعة اجزاء في استانبول) . والصحيح ان الذي طبع منه جزءان : الثالث والرابع . ويبدو ان الذي اوقع الاستاذ خفاجي في اللبس هو وقوفه على الجزء الرابع الذي طبع قبل الجزء الثالث . وذلك في سنة ١٩٤٥م .

ولكل من الجزءين مقدمة للناشر ، شرح فيها الطريقة التي اتبعها في التحقيق ، واعقب الجزء الثالث بفهرست موجز لاسماء الكتب الواردة في الحواشي كما اعقب الجزء الرابع بفهرست للتصويبات والاستدراكات ، وأشار الناشر في مقدمة الجزء الرابع الى اعتماده في نشره لهذا الجزء على نسخة واحدة هي النسخة (ل) محتجا بظروف الحرب العالمية الثانية التي حالت بينه وبين الرجوع الى النسخ الاخرى للديوان ، كما اعتمد على المطبوع من كتاب الاوراق للصولي (المقدمة ص ٧ ، ٨ •)

كما أشار في مقدمة الجزء الثالث الى النسخ التي اعتمدها في نشره هذا الجزء منها نسخة محفوظة في كوبنهاجن ، والحقيقة ان هذه الطبعة جيدة وقد اشتملت على زيادات جاءت في نسخة كوبنهاجن وهي ذوات الارقام الآتية :

٥٩٧ ، ٦٢٠ ، ٦٢٣ ، ٦٤٠ ، ٦٤١ ، ٦٤٣ ، ٦٤٤ ، ٦٦٨ ، ٦٦٩ ، ٦٧٠ ، ٦٧١ ، ٧٢٥ ــ ٧٢٨ ، ٧٦٠ ، ٧٧٠ ، ٨٢٥ــ٨٢٦ ، ٨٣٣ ولكنها مع ذلك لا تخلو من تحريفات وتصحيفات نبهنا عليها في الحواشي • كما اشتملت على تكرار لكثير من المقطوعات وكان سببه عدم رجوع الناشر الى الفنون الاخرى من الديوان وهي : الفخر ، والغزل ، والمديح ، والهجاء ، مع انه ذكر في مقدمة الجزء الثالث انه رجع الى نسخ كاملة من الديوان • ونذكر فيما يأتي المقطوعات التي تكررت في هذه المطبوعة :

١ ــ المقطوعة (٥١٠) جاءت في س (٩٨/٤) زيادة من هامش المخطوطة (ل) في فن الاوصاف والملح ، ومحلها الاصلي الهجاء •

٢ ــ المقطوعة (٤٥٨) في المديح جاءت في س (٦/٣) زيادة من هامش (ل) في فن الشراب • ولم يفطن الناشر الى هذا التكرار •

٣ ــ المقطوعة (١٠١) في فن الغزل ذكرت في س (١٥/٣) في فن الشراب ، زيادة من نسخة كوبنهاجن •

٤ ــ البيت السادس والشطر السابع من المقطوعة (٦٨٨) من فن الشراب في

(٣/٤٠) كررا زيادة من هامش (ل) في س (٤/٢٠) في فن الطرد • وكرر عجز الخامس وصدر السادس مطموسا ، وعجز السادس والشطر السابع زيادة من هامش (ل) في فن الاوصاف (٤/٧١) ولم يشر الناشر الى هذا التكرار •

٥ ــ المقطوعة (٧٠٩) وردت في (٣/٦٢) في فن الشراب وكررت زيادة من الهامش في (٤/٩٦) في فن الاوصاف ، ولم يشر الناشر الى هذا •

٦ ــ المقطوعة (٢٠٤) في فن الغزل جاءت في س (٣/٦٣) زيادة من هامش (ل) في فن الشراب •

٧ ــ البيتان الثالث والخامس من المقطوعة (٧٦٤) في س (٣/٨٥) في فن الشراب كررا في (٤/١٠٦) زيادة من هامش (ل) في فن الاوصاف ولم يفطن الى ذلك الناشر •

٨ ــ الابيات (١٢ ، ١٤ــ١٥) ذكرت كمقطوعة قائمة بنفسها في (س/١٠٣) في فن الشراب ، وهي من القصيدة (٨٨٨) في فن المعاتبات وهي في (س ٣/١٨٤ ــ ١٨٦) •

٩ ــ المقطوعة (٨٢٤) في س (٣/١٢٠) في فن الشراب وهي زيادة من نسخة كوبنهاجن وكررت في س (٤/١٢٢) في فن الاوصاف زيادة من هامش (ل) • والغريب ان الناشر ترك قافية الكلمة الاولى من البيت في (٤/١٢٢) مطموسة بحجة ان محل القوافي مأروض (كما أشار في الحاشية) في حين ذكرها صحيحة في (٣/١٢٠) ولم يفطن الى هذا •

١٠ــ الابيات : (١٠ ــ ٢٠) من القصيدة (٣٨٣) من فن المديح ذكرت في س (٤/١٢ ــ ١٣) في فن الطرد على انها زيادة من هامش (ل) ومن المصايد والمطارد •

١١ــ المقطوعة (٢١٤) من فن الغزل وردت في س (٤/١٠٤) في فن الاوصاف زيادة من هامش (ل) •

١٢ــ الابيات : (١٢ ، ١٧ ــ ١٨) من القصيدة (٣٦٢) من فن الغزل ، وردت في س (١٢٤/٤) في فن الاوصاف زيادة من هامش (ل) •

١٣ــ البيتان : (٨ــ٩) من المقطوعة (٩٢٣) من فن الطرد وردا في س (٧٧/٣) في فن الشراب زيادة من هامش (ل) ولم يشر الى هذا الناشر •

ب ــ المصادر القديمة :

وهي مصادر كثيرة مخطوطة ومطبوعة ، يهمنا منها كتابان لابن المعتز هما : كتاب البديع وكتاب فصول التماثيل ، وهما مطبوعان ، وقد ورد في الاول منهما شيء قليل من شعره فيه ، من ذلك المقطوعة (٣٥٠) من فن الغزل والمقطوعتان : (٧٠١ ، ٧٤٢) من فن الشراب •

أما في الثاني : (فصول التماثيل) ــ وهو كتاب في الشراب وأنواعه ، وتحريمه وتحليله ، وأباريقه وكاساته ، وجاماته وكيزانه ، وصوانيه وصفات السقاة والندماء ، وما قيل في ذلك من الاشعار ، فقد جاء في نحو (٤٦) موضعا منه شعر لابن المعتز ، أشرنا اليه في التخريج ، كما جاء فيه زيادات لم ترد في نسخ الديوان ، وهي المقطوعات ذوات الارقام الاتية في الملحق : ١٣ ، ٤٤ ، ٧٣ ، ٩٥ ، ٩٦ ، ١٧٠ ، ١٨٣ ، ١٨٨ ، ٢٤٩ ، ٢٦٣ ، ٢٧٠ •

ومن المصادر القديمة التى وردت فيها نماذج كثيرة ايضا من شعر ابن المعتز كتاب : (قطب السرور) ، كما وردت فيه زيادات لم ترد في نسخ الديوان أشرنا اليها في التخريجات والملحق •

أما المصادر الاخرى التى وردت فيها اشعار لابن المعتز ، فقد ذكرت أسماءها وصفحاتها في التخريجات التى جعلتها في الحواشي •

منهج التحقيق :

الحق انه ليس من بين النسخ الكاملة للديوان التى عثرنا عليها نسخة يمكن الركون اليها واتخاذها أُمّاً في تحقيق الديوان جميعه ، ولهذا فقد اتخذنا النسخة (ع) أُمّاً في تحقيق فنون : الفخر والغزل والمديح والهجاء ، والنسخة الناقصة (ل) في تحقيق فنون : الشراب والمعاتبات والطرد والاوصاف والمراثى والزهد واتبعت الى جانب ذلك في التحقيق المنهج الآتى :

١ ــ التقيد بنص الاصل لنسخة (ع) ، ونسخة (ل) ، والاشارة في الحاشية الى اختلاف الروايات في النسخ الاخرى ، وعمدت في فن الطرد الى ترتيب قصيدتين استقيته مما ورد في المخطوطة في الاصل والهوامش وأشرت في الحاشية الى ذلك •

٢ ــ اثبات التصحيفات والتحريفات للنسخ : ع ، ل ، د ، س ، م ، ق ، ب ، واهمال ماعدا ذلك من النسخ الاخرى لشيوعها وكثرتها فيها •

٣ ــ وضع اسماء البحور للقصائد والمقطوعات لفنون : الفخر ، والغزل والمديح ، والهجاء ، والملحق • اما الفنون الاخرى فجاءت البحور في المخطوطة •

٤ ــ اكمال ما نقص من الابيات •

٥ ــ حصر الزيادات بين اقواس والاشارة في الحاشية الى مصادرها •

٦ ــ اعادة ما تجزأ من القصائد الى اماكنها •

(*) كنت قد اعتمدت كتاب فصول التماثيل المطبوع حين اعددت الرسالة ووقفت على شعر لابن المعتز في (٣٦) موضعا فيه ، ثم اطلعني الاخ الكريم الاستاذ هلال ناجي ــ مشكورا ــ على نسخة مخطوطة في مكتبته من هذا الكتاب • وهي نسخة اوسع من النسخة المطبوعة • فقد جاء فيها شعر لابن المعتز في (٤٦) موضعا •

٧ ــ حذف ما تكرر من المقطوعات •

٨ ــ تأريخ ما امكن تاريخه من القصائد والمقطوعات •

٩ ــ شرح للاعلام والحوادث والاماكن وبعض الالفاظ •

١٠ ــ تخريج الشعر •

١١ ــ كتابة ما جاء في (ل ، س) من الالفاظ المقصورة أمثال : لها ، تأبا ، العتبا ، تهوا ، أخرا • بالياء ، والالفاظ المنتهية بالتاء امثال : الحيات ، أنات ، معافات ، نجات ، جنات ، قذات •• الخ •• بالتاء المعقودة مجاراة لكتابة العصر ، ونبهت في الحواشي الى ذلك •

١٢ــ وضع ملحق للشعر الذي لم يرد في نسخ الديوان المخطوطة والمطبوعة وكتاب الاوراق •

ترتيب الديوان :

أشرنا الى ان ترتيب الدواوين او صنعتها كان في عصر الصولى وما بعده يجرى على طريقتين في الغالب ، الاولى ترتيبها على حروف الهجاء ، والثانية ترتيبها على الفنون او الابواب والانواع • وأشرنا الى ان هناك طريقة ثالثة وهي ترتيبها على بحور العروض • وجرى الصولي في صنعته لديوان ابن المعتز على الطريقة الثانية كما فعل مثل ذلك في الفصل الذي عقده على اخبار ابن المعتز واشعاره •

ويبدو ان تصنيف الدواوين على هذه الطريقة قد لا يخلو احيانا من تكرار او تجزئة لبعض اجزاء القصائد والقطع ، وسبب ذلك يعود الى ان الشعراء في ذلك العصر لم يكونوا من ذوى وحدة القصيدة عامة ، ولهذا فقد يضطر المصنف الى تكرار بعض المقطوعات او تجزئة بعض القصائد ليضعها في الفن الذي تنتمي اليه •

ويظهر ان المصنفين كانوا ينظرون الى الغرض الاصلى من القصيدة ، فكانوا يغلبون هذا الجانب على الجوانب الاخرى الثانوية التى تأتى في ثناياها وقد وقفت من خلال تحقيقي لديوان ابن المعتز على شيء من هذا التكرار او التجزئة لبعض قصائده وهو — وان لم يكن كثيرا — الا انه موجود فيه • وفيما يأتى بيان لما وقفت عليه منه :

١ — جاءت الابيات (٣ — ٨) من القصيدة (٥٦٤) في فن الهجاء بعد القصيدة (٥٤) في فن الفخر ، وأشارت النسخ الى ورود تلك الابيات في فن الفخر •

٢ — وجاء في فن الغزل بعد المقطوعة (٨٢) مقطوعة من اربعة ابيات هي الابيات الاخيرة من القصيدة الثانية من فن الشراب •

٣ — جاء البيتان (٤—٥) من القصيدة (٧٠٠) من فن الشراب على أنهما مقطوعة في الغزل •

٤ — وجاءت المقطوعة (٣٩٦) من فن المديح في النسخ : ع ، ر ، د ، أ وكررت في النسخ نفسها في فن الاوصاف ، وهى في : ل ، س (٤ / ٨٢ — ٨٣) في فن الاوصاف ، وفي جـ ، ف ، والاوراق خ ، ط في فن المديح ، وهو موضعها الصحيح •

٥ — وجاءت الابيات (١٢ ، ١٤—١٥) من القصيدة (٨٨٨) من فن المعاتبات في فن الشراب في جميع النسخ •

٦ — وكررت المقطوعة (٨٣) من فن الغزل مرتين ، مرة في قافيية الالف ، وأخرى في قافية الهاء •

٧ — وجاءت الابيات (٥ — ٧) في فن الغزل وهى جزء من المقطوعة (٦٠٤) في فن الشراب •

هـ ـ وجاءت المقطوعة (٦٤٧) في باب الوصف ثم نقلناها الى الشراب لانه موضعها . حذفت ما تكرر او تجزأ من هذه المقطوعات او القصائد واعدته الى موضعه الاصلي .

وعلى الرغم من هذا ، ومع ان الطريقة المتبعة في الوقت الحاضر هي تصنيف الدواوين على الحروف ، فقد رأينا ابقاء ترتيب صانعه كما هو لانه : يبين احدى طرائق ترتيب الدواوين في ذلك العصر ، ويبين ايضا ان للقصيدة وحدة او غرضا اصليا وان اشتملت على اغراض ثانية اخرى . ومع هذا فان جوهر النص لا يتأثر بهذا الترتيب ، وقد نشر على هذه الطريقة : ديوان ابى نواس وابى تمام فى العصر الحاضر[٣٠] .

---

(٣٠) طبع ديوان ابى نواس على ترتيب حمزة الاصبهاني في مصر سنة ١٨٩٨، بشرح محمود افندي واصف على نفقة اسكندر آصاف . وطبع ديوان ابى تمام على ترتيب حمزة ايضا بشرح التبريزي وتحقيق الدكتور عبده عزام في اربعة اجزاء . وجاء في كشف الظنون (٢٥٣) : ديوان ابى تمام حبيب بن اوس جمعه ابو بكر الصولي ورتبه على الحروف ، ثم جمعه علي بن حمزة الاصفهاني ولم يرتب على الحروف بل على الانواع . وقد شرحه ابو زكريا يحيى بن علي الخطيب التبريزي المتوفي سنة ٥٠٢) .

الفصل الثاني

المنحول من شعر بن المعتز

تعرض ديوان ابن المعتز كما أسلفنا خلال مسيرته الطويلة الى شيء غير قليل من تحريفات النساخ وتصحيفاتهم واضافاتهم • وتعرض ايضا حين سول لبعضهم نشره على الناس الى اسقاط اجزاء كثيرة من قصائده ومقطوعاته فجاء مشوها ممسوخا لا يمكن الافادة منه • وقد شكا غير واحد من الدارسين ما أصاب هذا الديوان ــ في طبعاته المصرية والبيروتية وهي طبعات سقيمة معتمدة بعضها على بعض ــ من هذا التشويه والمسخ(٣١) •

وسنقصر كلامنا في هذا الفصل على ما جاء من زيادات في بعض نسخ الديوان مما لم ترد في رواية الصولي ، وعلى ما جاء في مصادر اخرى لم ترد في نسخ الديوان المخطوطة والمطبوعة •

والنسخ التي تشتمل على زيادات هي : د ، ز ، ل ، ى ، م ، ق ، ب ، س• والزيادات فيها على نوعين :

الاول : زيادات في متن الديوان ، والثاني : زيادات في الهوامش او من نسخ أخرى • على انه ينبغي ان نشير الى ان النسخة (ع) قد اشتملت على زيادة ثماني قصائدومقطوعات لم ترد في النسخ الاخرى ، سبع منها في فن

(٣١) قال الدكتور محمد مهدي البصير في كتابه (في الادب العباسي)(في هذا الصدد (في طبعتي مصر وبيروت لديوان ابن المعتز من النقص والزيـادة والمسخ والتشويه لهذا الديوان ما يجعل فائدته محدودة الى النهاية). (هامش (١) ص ٣١٣) •

الغزل وواحدة في فن الهجاء ، وقد شاركتها في اربع منها وهى التى تحمل الارقام : (١٦٩ ، ٣٦٢ ، ٣٦٣ ، ٣٦٦) من فن الغزل ، الاوراق وبعض المصادر الاخرى[٣٢] .

ان ما جاء في النسخ : ع ، ر ، أ ، ج ، ف ، ل ، س من رواية الصولى ، كان سليما من أية شبهة او نحل . ولهذا فقد كادت تخلو تخريجات القصائد والمقطوعات لما في هذه النسخ من نسبة شيء منها الى غير ابن المعتز .

والجدير بالذكر ان ما في النسخ : (ع ، ر ، أ) من القصائد والمقطوعات هو نفسه ما في المخطوطة (ل) ما عدا المقطوعتين (٨٤٣ من المعاتبات) ، (١٣١٢ من الزهد) فقد سقطتا من هذه النسخ وهما في (ل) .

لقد جاءت في (ى) زيادة عدد من الابيات في القصيدة (١٠) من فن الفخر من رواية حمزة الاصبهاني ، وكان بعض هذه الزيادة قد ورد في مصادر اخرى كالاوراق وقطب السرور[٣٣] . كما جاءت في هوامش المخطوطة (ل) زيادات واستدراكات كثيرة من رواية حمزة وغيره ، وكان بعضها قد ورد في مصادر اخرى ، ونقلت هذه الزيادات والاستدراكات الى النسخة المطبوعة (س) .

وقد ظهر لى ان بعض هذه الزيادات التى استدركها حمزة لم تكن لابن المعتز وانما هى لشعراء آخرين ، فالمقطوعة :

أعطِ التحيةَ اصحابَ التحياتِ

القائلينَ إذا لم تسقِهم هاتوا

هي للعطوي وليست لابن المعتز[٣٤] .

---

(٣٢) انظر تخريج هذه القصائد والمقطوعات .

(٣٣) انظر : تخريج القصيدة (١٠) من فن الفخر .

(٣٤) انظر الديوان الرقم (٦٤٣) .

والمقطوعة :

كأنَّ أباريقَ اللُّجينِ لديهمِ
ظباءٌ بأعلى الرَّقتينِ قيامُ

هي على الصحيح لاسحاق الموصلي[٣٥] .

والمقطوعتان :

شيئانِ لو بكتِ الدماءَ عليهما عيناي حتى تؤذِنا بذهابِ

و :

وعائبٍ لحيتي بشيبٍ لم يعدُ لمّا ألمَّ وقتَه

هما لمحمود الوراق[٣٦] .

والمقطوعة :

الشيبُ كُرهٌ وكُرهٌ أنْ يفارقَني أحبِبْ بشيءٍ على البغضاءِ مودودِ

هي لمسلم بن الوليد[٣٧] . والجدير بالذكر ان ناشر (س) لم يشر في الحواشي الى شيء من هذا .

وجاءت زيادات النسخ : د ، ز ، م ، ق ، ب في متن الديوان وكأنها من رواية الصولي وهي في فني الشراب والاوصاف ، ومعلوم ـ ان المخطوطتين : د ، ز تنحدران من أمٍّ واحدة وهما متقاربتان في تاريخ النسخ كما أسلفنا ، ونحن لا نعلم شيئا عن امهما والوقت الذي كتبت فيه وعن واحدة من هاتين النسختين جاءت النسخ المطبوعة : م ، ق ، ب .

(٣٥) انظر الديوان الرقم ٨٠٩ .
(٣٦) انظر الديوان (٣/١٤٤) .
(٣٧) انظر الديوان (٣/١٦٠) .

ان من يقرأ هذه الزيادات . وقد ألم بخصائص شعر ابن المعتز وعصره ، وما كان يشيع فيه من المصطلحات او الالفاظ ـ يجد الغالب منها بعيدا كل البعد عن شعر ابن المعتز وطابعه او روحه . كما ان انفراد هاتين المخطوطتين وهما متأخرتان جدا برواية هذه الزيادات لتبعث على الشك والريبة في صحة نسبة الكثير منها ، كما استطعنا ان نقف على بعض قائلي هذه الزيادات من الشعراء .

وقد شك الناسخ نفسه في بعض ما جاء في المخطوطة (د) من هـــذه الزيادات فعلق على المقطوعات المتتالية :

أُضيفَ الدجى معنىً الى لون شــعرهِ
فطالَ ولولا ذاك مــا خــصَّ بالجــرِّ

وحاجبُهُ نونُ الوقايـــةِ ما وقَتْ
على شرطِها فعلَ الجفون من الكســرِ

و :

ومِنطقــةٍ شُــدَّتْ بخَصرِ مُعذِّبي
وقالتْ لهـــذا الشدِّ لستُ أَجورُ

وقد ضاعَ مني الخصرُ من فوقِ رِدفِهِ
ولا عجبٌ إني عليـــــهِ أَدورُ

و :

وقالوا لِمْ بكيتَ دمـــاً ودمعـــاً
وقد لاقيتَ بعدَ العُسْــــرِ يُســرا

فقلتُ لِفَــرحتِي بِرضـاهُ عنّي

بكيتُ عليــــهِ ياقوتــاً ودُراً[٣٨]

وقد حصرها بقوس : (قف ما اظن هذه الابيات له) •

ومما جاء فيها قوله في بركة الحبش والخليج :

كأنَّ البِركـةَ الغَنّـاءَ لمَّـــــا

غَدَتْ بالمــــاء مُفعمَـةً تَموجُ

وقـــد لاحَ الدجَى مِرآةُ قَيْنٍ

قد انصقلت ومقبضهــا الخليــجُ

والبيتان على الصحيح لتميم بن المعز ، وبركة الحبش والخليج في مصر[٣٩]

وقولــه :

أَنعِمْ بتين طــابَ طعمـاً واكتسَى

حُسـناً وقاربَ مَخرجــاً من منظرِ

والمقطوعة لكشاجم[٤٠]

وقولــه :

هَجَم الشــتاءُ ونحن بالبيـــداءِ

والقَطْــرُ بـلَّ الأرضَ بالانواءِ

والمقطوعة من اربعة أبيات ، الثلاثة منها التالية لهذا البيت للبحتري من قصيدة له ، اما الاول فلعله من اضافة احدهم[٤١] •

(٣٨) انظر الديوان الارقام ١٠٤٩ــ١٠٥٠ ، ١٠٥٣ •
(٣٩) انظر الديوان (٥٣١/٢) •
(٤٠) انظر الديوان (٥٩٥/٢) •
(٤١) انظر الديوان (١٧/٢) •

وقولـه :

وأشـجارِ نارنجٍ كأنَّ ثمارَهـا

حِقـاقُ عقيقٍ قد مُلئنَ من الدُّرِّ

والابيات منسوبة في ديوان المعاني الى أبي هلال العسكري[42] .

ومن الزيادات التي يخامرنا الشك في صحة نسبتها لابن المعتز لانهـا لا تشاكل طابع شعره ـ هذه المقطوعة :

اشـرَبْ على بركـةِ نيلوفـرٍ

مُصفرَّةِ الأرجـاءِ خضـراءِ

كأنَّمـا أَزهارُهـا أَخـرجتْ

أَلسـنةَ النـار من المـاءِ[43]

وهذه المقطوعة :

ومدامـةٍ عُنيَ الزمـانُ بشرحها

فأجابَهـا وأَدارهـا التقبيـلُ

ذهبيـةٍ ذهبَ الزمـان بجسـمها

قِـدْماً فليس لجسـمها تحصيـلُ

بتنـا ونحنُ على الفراتِ نُديرُهـا

وهنـاً فأشـرقَ من سَناها النيـلُ

فكأنَّهـا شمسٌ وكفُّ مُديرهـا

فيهـا ضُحىً وفمُ النـديم اصيلُ[44]

---

(٤٢) انظر الديوان (٦٠١/٢) .

(٤٣) انظر الديوان (١٧/٢) .

(٤٤) انظر الديوان (٢٢١/٢) .

وهذه المقطوعة المشتملة على التلاعب بالالفاظ والتجنيس الركيك :

نَقَّطتْ صدغَك دالاً فانويلٌ من شكلِ ذلِكْ
لو أنّ ذلكَ دالِي سجدتَ من أجل ذلِكْ(٤٥)

ويبدو ان جامع الزيادات قد عمد الى بعض المجاميع الشعرية فالتقط منها مقطوعات قيلت في الخال على هذه الشاكلة :

كأنّ أرواحَ أهل العشق سائرةٌ
الى جمالِك بالتقريب والعنقِ
تؤمّ كعبةَ حسن خالُها حجرٌ
في الخدّ أسودُهُ في أبيضٍ يققِ

***

يا حسنَ ذاك الخالِ لمّا بدا
في خدّهِ الأحمرِ للخلقِ
كالهندِ في تقريبِ جثمانها
تعودُ في النارِ الى الحرقِ

★ ● ★

انظرْ الى الخالِ بخدٍّ الذي
لم يدعِ الصبَّ الشجّي حقّه
كبَقّةٍ في حُقّةٍ قد دُمي
مُستقذَرٍ من فوقِها بَصقَه(٤٦)

---

(٤٥) انظر الديوان ٦٢٧/٢ .
(٤٦) انظر الاوصاف الارقام (١٠٩٥ـ١٠٩٧) .

وفي النسخ مقطوعات تشتمل على مصطلحات والفاظ لا نظنها كانت شائعة في عهد ابن المعتز ، كما في هذه المقطوعة :

لا تنكرنّ إذا أهديتُ نحوك من
علومك الغرّ أو آدابك النتفا

فقيّمُ الباغِ قد يُهدي لصاحبه
برسمِ خدمتهِ من باغهِ التحفا(47)

وهذه المقطوعة :

يحكي لنا الفانوسُ من بُعدٍ لنا
برقاً تألقَ مَوهناً لمعانُهُ

النار ما اشتملتْ عليه ضلوعُهُ
والماءُ ما سحّت به أجفانُهُ(48)

فقيم الباغ وبرسم خدمته والفانوس استعمالات لا نحسبها كانت شائعة في عصر ابن المعتز ، ولعلها مما شاع في العصور التي أعقبته •

هذه نماذج اخترناها مما في تلك النسخ من الزيادات خامرنا الشك في صحة نسبتها الى ابن المعتز ، وهناك مقطوعات أخرى غيرها تدور في فلكها من حيث تأخر زمن مصادر روايتها ومن حيث بعدها عن طابع شعر ابن المعتز وروحه • نكتفي بالاشارة الى ارقامها فيما يأتي :

٦٢٥ ــ ٦٢٨ ، ٩٨٢ ، ١٠٠٤ ، ١٠٤٢ ، ١٠٤٣ ، ١٠٤٧ ، ١٠٤٨ ، ١٠٧٨ ، ١٠٨٠ ، ١١٣٣ ، ١١٣٤ ، ١١٣٧ ، ١١٣٨ ، ١١٣٩

---

(٤٧) انظر الديوان (٢/٦١٥) •
(٤٨) انظر الديوان (٢/٦٥٣) •

غير ان أهم ما جاء في هذه النسخ من الزيادات واخطرها هو الموشح الذي نسب الى ابن المعتز والذي مطلعه :

ايها الساقي اليك المشتكى قد دعوناك وإن لم تسمع

وخطره يتجلى فيما يترتب عليه من خلاف بين الدارسين في العصر الحاضر فيما يتصل بأصله وزمنه وقائله •

ونحن لا نريد ان نخوض في امثال هذه الامور ، ولا ان نفصل القول فيها ، لانها في الحقيقة لا تمت الى دراستنا لشعر ابن المعتز بالكثير ، ولاننا في الاساس نشك كثيرا في صحة نسبة هذا الموشح الى الشاعر •

غير اننا مع هذا سنشير الى الآراء المختلفة حول هذه الامور وسنحاول الوقوف على المصدر الذي اشاع هذه النسبة ، والزمن الذي ترجع اليه •

ينقسم الباحثون في دراساتهم لهذه الامور الى قسمين : الاول يرى ان اصل الموشح ـ متخذا مما نسب لابن المعتز في ديوانه المطبوع من موشح أساسا له ـ مشرقي ، وان مبتدعه هو عبدالله بن المعتز[٤٩] •

والثاني ، يرى ان أصله ـ متخذا من شكه لما نسب لابن المعتز من موشح ، ولما جاء به المغاربة في مؤلفاتهم أساسا له أيضا ـ مغربي أو اندلسي وان مبتدعه شاعر آخر غير ابن المعتز[٥٠] •

---

(٤٩) انظر نظرات في تاريخ الادب الاندلسي لكامل كيلاني ص ٢٧٢ • وفن التقطيع الشعري للدكتور صفاء خلوصي ٣٠٢ والموشح في الاندلس وفي المشرق الدكتور محمد مهدي البصير ص ٨ • والموشحات العراقية للدكتور رضا القريشي (دراسة ماجستير الورقة ٣٣١ ، ٣٣٨) •

(٥٠) انظر : مجلة الرسالة العدد ٤٥٩ السنة العاشرة من مقالة الاستاذ طه الراوي • والموشح في الاندلس وفي المشرق ص ١١ • ودار الطراز لابن سناء الملك ص١٢ (المقدمة للدكتور جودة الركابي) وتاريخ الادب العربي في العصر العباسي بالمشرق للسباعي بيومي (٣/٣٠٣) وعبدالله ابن المعتز للاستاذ سيد الاهل (١٤٧) والموشحات العراقية الورقة

ويرى بعض الباحثين ان من أسباب نشأة الموشح تقدم الغناء وازدهاره مما جعله بحاجة الى شعر يتلاءم وهذا الازدهار[٥١] • كما يرى بعض آخر ان للتقدم العقلي والرقي الفني في الاندلس أثرا في الثورة على الادب القديم ، فكان من آثار هذه الثورة نشأة الموشح[٥٢] •

أما المغاربة فيعرض ابن خلدون رأيهم في مسألة الموشح ونشأته ومكانه ومبتدعه في قوله :

(واما اهل الاندلس ، فلما كثر الشعر في قطرهم وتهذبت مناحيه وفنونه وبلغ التنميق فيه الغاية ، استحدث المتأخرون منهم فنا منه سموه بالموشح، ينظمونه اسماطا اسماطا ، واغصانا اغصانا يكثرون من اعاريضها المختلفة ، ويسمون المتعدد منها بيتا واحدا ، ويلتزمون عند قوافي تلك الاغصان واوزانها متتاليا فيما بعد الى آخر القطعة ، واكثر ما تنتهي عندهم الى سبعة ابيات ، ويشتمل كل بيت على اغصان عددها بحسب الاغراس والمذاهب ، وينسبون فيها ويمدحون ، كما يفعل في القصائد ، وتجاروا في ذلك الى الغاية، واستظرفه الناس جملة الخاصة والكافة لسهولة تناوله وقرب طريقه ، وكان المخترع له بجزيرة الاندلس مقدم بن معافر الفريري من شعراء الامير عبدالله ابن محمد المرواني ، واخذ ذلك عنه ابو عبدالله احمد بن عبد ربه صاحب كتاب العقد ، ولم يظهر لهما مع المتأخرين ذكر وكسدت موشحاتهما ، فكان اول من

---

(٣٨) وما بعدها . والجدير بالذكر ان ابن سناء الملك يصرح في كتابه (دار الطراز) بان الموشحات مغربية فيقول : (وبعد فان الموشحات مما ترك الاول للاخر وسبق بها المتاخر المتقدم • واجلب بها اهل المغرب على المشرق) ص ٢٣ المقدمة .

(٥١) انظر : نظرات في ادب الاندلس ص ٢٤٦ ، والموشح في الاندلس وفي المشرق ص ٩ .

(٥٢) انظر : بلاغة العرب في الاندلس للدكتور ضيف ٢٢١–٢٢٢ . وانظر : الموشح في الاندلس وفي المشرق ص٩ .

برع في هذا الشأن عبادة القزاز شاعر المعتصم بن صمادح صاحب المرية..)[٥٣].

فابن خلدون يرى ان مخترع الموشح هو مقدم بن معافر الفريري ، في حين يرى آخرون ان مخترعه هو محمد بن حمود القبري الضرير الذي عاش في نهاية القرن الثالث الهجري[٥٤].

ويرى بعض آخر من الدارسين ان الموشح جاء نتيجة تطور فنون اخرى اكثر بساطة ، كالمزدوجات والمثلثات والرباعيات والمخمسات والمسمطات ويرى ان هذه المراحل لتطور الموشح ظهرت كلها في بغداد في العصر العباسي[٥٥]. غير اننا لم نجد في شعر ابن المعتز الذي قمنا بتحقيقه شيئاً من هذا ، ما عدا مزدوجتين له احداهما في المعتضد والاخرى في ذم الصبوح.

لقد تمسك كثير من المحدثين الذين تعرضوا لشعر ابن المعتز او تصدوا لفن الموشحات بنسبة هذا الموشح عن طريق ديوانه المطبوع له ، وراحوا يشيرون اليه والى اختراعه من قبل ابن المعتز دون محاولة احد منهم ، على ما يبدو ــ تجشيم نفسه مشقة البحث للوقوف على المصدر الحقيقي الذي أشاع هذه النسبة . بل الغريب في الامر ان اولئك الدارسين وهم كثر ، لم يحفلوا بكثير من المصادر القديمة التي اشارت الى نسبة هذا الموشح الى غير ابن المعتز . وجهد بعضهم ــ وقد رأى موشحا واحدا ينسب الى الشاعر ــ في اختلاق الظروف والاسباب التي جعلت هذا الموشح فردا او يتيما فقال : (أما

(٥٣) مقدمة ابن خلدون ٥٨٣ــ٥٨٤ .

(٥٤) انظر : دار الطراز (١٣) مقدمة الناشر ، والموشح في الاندلس وفي المشرق ص ١٠ .

من الجدير بالذكر ان بعضنا يرى ان الاسم الصحيح لمخترع الموشح هو مقدم بن معافى القبري انظر في الادب الاندلسي ص ٢٨٧ هامش (٢)

(٥٥) انظر : فن التقطيع الشعري (٣٠٥) ، والموشحات العراقية الورقة (٤٤، ٤٥) .

انه ــ اي ابن المعتز ــ لم ينظم سوى موشحة واحدة فهذا لا يقوم دليلا على انه لم يخترعه ، فلعل موشحاته الاخرى ضاعت او لعله نظمها في أخريات أيامه ولم يمد الله في آجله ليتحفنا بالمزيد منها)[٥٦] .

ويبدو لنا ان القول بضياع موشحات ابن المعتز المزعومة ، وانه نظم هذه الموشحة في أخريات ايامه قول يحمل في طياته من الوهن أكثر مما يحمل من القوة . فكيف تضيع موشحاته كلها ــ ان وجدت ــ في حين يبقى شعره الآخر ، ونحن نعرف ان شعره قد رواه غير واحد من الادباء في عصره منهم أخوه واستاذه وصديقه الصولي . الذي انبرى لجمع شعره في ديوان خاص ، ثم اختار له نماذج كثيرة في كتابه الاوراق . ومنهم حمزة الاصبهاني الذي جمع شعره فكان اوفى وأوسع مما جمعه الصولي . بل ان الشاعر نفسه كان يضمن كتبه بعض شعره وشعره الخمري بصورة خاصة . كما فعل في كتــابه فصول التماثيل في اكثر من خمسة واربعين موضعا .

أما القول بأنه نظمها في أخريات أيامه . ولم يمد الله في أجله ليتحفنـــا بالمزيد ، فقول فيه من الحذلقة اكثرمما فيه من الحقيقة ، فنحن نعرف انالشاعر بقي متصلا براوي شعره ابي بكر الصولي الى آخر أيامه ، وانه كانيوقفهعلى كل ما يجد له من شعر ، على ان بعض الدارسين يرى ان هذه الموشحة لو صحت لكانت من شعر الشباب لانها تمثله[٥٧] .

ويظهر ان اول من أثار الغبار في وجه نسبة هذا الموشح الى ابن المعتز من المحدثين هو الاستاذ طه الراوي ، فقد كتب مقالا في مجلة الرسالة حول هذا الموشح أشار فيه الى الوهم الشائع من نسبته الى ابن المعتز والى ان صاحبه هو أبو بكر محمد ابن زهر المتوفى سنة ٥٩٦هـ ، واستشهد بياقوت الحموي وابن ابي اصيبعة اللذين ذكراه في كتابيهما منسوبا الى ابن زهر .

---

(٥٦) فن التقطيع الشعري (٣٠٥) .

(٥٧) انظر : عبدالله بن المعتز لسيد الاهل (١٤٧) .

وحمل الاستاذ الراوي في مقاله على أصحاب المجاميع الادبية وحمّلَ وزر هذا الوهم ، ديوان ابن المعتز المطبوع في بيروت فقال : (ولا ادري أي شيطان سول لبعض المتأخرين ان ينسب هذه الموشحة الى عبدالله بن المعتز فتهافت على هذا الخطأ جماعة من المعاصرين الذين أخرجوا للناس مجاميع ادبية ، فجزموا بنسبة هذه الموشحة الى ابن المعتز مع ان ابن المعتز نفسه لا يعرف شيئا عن الموشحات ، ولا عهد لاهل زمانه بشيء منها •• وابن المعتز نفسه لم يشر ولم يومىء الى هذا الضرب من ضروب الشعر في كتابه الذي ألفه في البديع •••)، ثم قال : (وانا لم أكتب في دفع هذا الوهم الا لما رأيته فاشيا بين الشداة من المتأدبين الذين يعتمدون على ما تخطه اقلام المعاصرين من غث أو سمين ، ولا يكلفون أنفسهم مؤونة الرجوع الى الاصول للتثبت من صحة تلك النقول •• واكبر الظن ان هذا الوهم تسرب الى المتأخرين من طريق (ديوان ابن المعتز) المطبوع في بيروت المتداول بين الايدي ، ولا جدال في أن الكثيرين من جمعة الدواوين حاطبو ليل ، يحشرون شعر هذا في ديوان ذاك ، وشعر ذاك في ديوان هذا ، والشواهد على ذلك كثيرة مستفيضة ، وقد وقفت في هذا الديوان على شعر كثير لا علم لابن المعتز به وانما هو من نظم من تقدمه أوتأخر عنه)[٥٨]•

وممن استبعد نسبة هذه الموشحة الى ابن المعتز الاستاذ عبدالمنعم خفاجي الذي يراها (بعيدة عن روح الشاعر وعواطفه ولا تمثل شيئا من نظراته في الحياة ، ولا فنه الادبي في نظم القريض ، وليس فيها تشبيه واحد من التشبيهات التي عرف بها ، وليس فيها شيء من خصائص فنه في الشعر)[٥٩] •

---

(٥٨) مجلة الرسالة العدد ٤٥٩ السنة العاشرة ١٩٤٢ ص ٤٦٤ .

(٥٩) ابن المعتز وتراثه في الادب (٢١٣ـ٢١٤) .

وحاول الاستاذ سيد الاهل ان يدفع نسبة هذه الموشحة عن ابن المعتز بكثير من الادلة قال : (فهذه الموشحة الكاملة لم تسبق بمحاولات ، ولا نظم مقطوعات صغيرة من نوعها ، او قريب منها لتفضي بعد عهد الى هذا الكمال، بل لم تتبع بمحاولات اخرى من ابن المعتز ولا من طبقته حتى نحكم بأنها له ، ونقطع بهذا الحكم او ننسبها للمشارقة على الوجه الاقل .. فالظاهر ان بعض الادباء نسبها للمشرق والى من تشبهه ويشبهها ، ووجد في حرية ابن المعتز في مذهبه الشعري ما يقبل هذه النسبة فنسبها اليه ليكون كلامه اكثر قبولا ولان المغرب مولع بالشرق .. ولِمَ لمْ تتواتر روايتها لابن المعتز وهي حدث جليل في الشعر اولى بالكلام والضجيج ؟ ولم لم يتحدث عنها أبو الفرج في اغانيه وهي أقرب الشعر اتصالا بفنه الغنائي واقرب الاحداث الادبية في عصره ... وهناك في طبيعة الاختصاص بفن ابن المعتز ما يثبت انها ليست له (فهي) لا تتصل بفنه في النسج وأدب الشرب والغزل ، ومثله لا يقع في التكرير الكثير الذي كان للفظة بكى ويبكي والبكا في فقرات قريبة من الموشحة .. وسذاجة المعاني وخلوها من الترتيب والتعليل وتنقلها السريع من فكرة الى فكرة ...)(٦٠) .

مر بنا ان الاستاذ الراوي يرى ان السبب في شيوع نسبة الموشح الى ابن المعتز ، هو ديوانه المطبوع في بيروت ثم حمل على أصحاب المجاميع الأدبية متهما اياهم بعدم التثبت فيما يجمعونه من اشعار ، ومر بنا كذلك انالاستاذ سيد الاهل يعزو نسبته الى بعض الادباء ولم يلمح الى شيء آخر . امـــا الدارسون الآخرون فلم يكلفوا انفسهم مشقة البحث عن شيء من هذا كما أسلفنا(٦١) . وقد حاولت في أثناء تحقيق شعر ابن المعتز ان تتبع مصـدر هذا

---

(٦٠) عبدالله بن المعتز (١٤٧) .

(٦١) يستثنى من اولئك الدارسين الدكتور رضا محسن القريشي ، فقد ألمح الى ان الذي أشاع هذا الوهم هو النهر والي (الموشحات العراقية)

الوهم وزمنه ، فظهر لي ان المصدر المسؤول عن هذا هو كتاب : (الاعـلام بأعلام بيت الله الحرام) لصاحبه قطب الدين النهروالي . المتوفى سنة ٩٩٠ هـ الذي تحدث فيه عن ابن المعتز وأدبه ، وتمثل بنماذج من شعره كان من جملتها هذا الموشح الذي قدم له بقوله : (ومن السحر الحلال الذي عقده في سلك اللآل ورقمه بقلم البلاغة على صفحات الايام والليال ، الموشح الذي يصلح وشاحا للجوزاء واكليلا على التاج المحلى بنجوم الثريا ، سارت به الركبان، وتناقلته الرواة بالسنة الزمـــان قوله) . والادلة على أن هـذا الكتاب هو الذي أشاع هذا الوهم على الاغلب :

١ ـ اننا لم نعثر على هذا الموشـــح منسوبا لابن المعتز في أي كتاب آخر مخطوط او مطبوع يرقى الى أبعد من هذا التاريخ اي تاريخ وفـــاة النهروالي .

٢ ـ ان هذا الموشح لم يرد الا في مخطوطتين من نسخ ديوان ابن المعتزهما النسختان : (ز ، د) وهما من أم واحدة وفي زمن متقارب جدا .

٣ ـ ان بعض مخطوطات نسخ الديوان اشتملت على مقدمة قصيرة جاء فيها شيء من كلام النهروالي عن ابن المعتز وحياته وادبه ومؤلفاته ومن هذه النسخ : (أ) التي كتبت في سنة ١٠٣٠هـ ، (جـ) المجهولة تاريخ النسخ ، (ز) التي كتبت في سنة ١٢٨٢هـ ، وتركت ثلاث صحـــائف بيضاء في اول المخطوطة (د) للمقدمة . غير ان النسختين (أ ، جـ) لم تشتملا على الموشح ولا على الزيادات التي وردت في النسختين (ز ، د).

٤ ـ من المحتمل جدا أن يكون الموشح قد نقل من كتـــاب النهروالي الى النسختين : (ز ، د) ، نقله احد النساخ من الاعلام بعد ان وقف في المقدمة على كلام النهروالي في ابن المعتز وأدبه .

٥ ــ ولعل ما يؤيد هذا ان الموشح الذي جاء في الاعلام يشبه ما جاء في المخطوطتين : (ز ، د) في الفاظه وتسلسل ابياته •

ومعلوم ان طبعات ديوان ابن المعتز المصرية والبيروتية بما فيهما من نقص وزيادة مأخوذة عن احدى النسختين (ز ،د) وانها هي التي اشاعت هذا الوهم لدى الكثير من الدارسين •

وانه ليبدو لنا من الغرابة حقا ان تحتجب هذه الموشحة عن انظار القراء واسماع الرواة وايدي النساخ حقبا طويلة ، ولا تظهر للوجود الا في القرن العاشر الهجري لدى الشيخ النهرواني • ونحن لا ندري هل الشيخ النهروالي قد وقف على هذا الموشح منسوبا لابن المعتز من مصدر سابق له أو ان هذه النسبة كانت من عمله ؟

وقد جاء هذا الموشح في مصادر اخرى ترقى الى زمن أبعد من القرن العاشر ، وهو منسوب فيها الى الحفيد ابي بكر بن زهر المتوفى سنة ٥٩٥هـ[٦٢] •

---

(٦٢) ابن زهر : جاء في كتاب عيون الانباء في طبقات الاطباء (٢/٦٧) : (هو الوزير الحكيم الاديب الحسيب الاصيل ابو بكر محمد بن ابى مروان بن ابى العلاء بن زهر • مولده بمدينة اشبيلية ونشأ بها وتميز في العلوم واخذ صناعة الطب عن ابيه وباشر اعمالها • وكان حافظا للقرآن وسمع الحديث ، واشتغل بعلم الادب والعربية ولم يكن في زمانه اعلم منه بمعرفة اللغة ، ويوصف بأنه قد اكمل صناعة الطب والادب وعاني عمل الشعر واجاد فيه وله موشحات مشهورة يغنى بها وهي من اجود ما قيل في ذلك ...) • اما المصادر التي جاء فيها هذا الموشح منسوبا لابن زهر فهي :

معجم الادباء ١٨/٢١٩ــ٢٢٠ ؛ عيون الانباء في طبقات الاطباء ٢/٦٧ جيش التوشيح (٢٠٢ــ٢٠٣) المغرب في حلى المغرب (١/٢٧٢ــ٢٧٣) وجاء في دار الطراز تحت موضوع الموشحات المغربية (٧٣ــ٧٤). والجدير بالذكر ان هناك موشحا لابن بقى المتوفي سنة ٥٤٠هـ على غرار هذا الموشح اوله :

غلب الشوق بقلبي واشتكى   الم الوجد فلبى ادمعى

(انظر : ابن المعتز وتراثه في الادب ٢١٤) •

الملحق :

لم يخل الملحق الذي اشتمل على كثير من الشعر المنسوب لابن المعتز من النحل والخلط بين شعر ابن المعتز وغيره • وقد استطعت أن اقف على كثير مما نسب اليه وهو في الحقيقة لغيره . من ذلك هذه المقطوعة :

له من عيونِ الوحش عينٌ مريضـــةٌ
ومن خُضرةِ البستانِ خُضرةُ شاربِ

كأنّ غلامــاً حاذقاً خطّـــهُ لــه
فجــاء كنصفِ الصاد من خطِّ كاتبِ

وقد نسبت في بعض المصادر للسلامي[٦٣] • وهذه المقطوعة التي منها قوله :

انظر الى اليومِ ما أحلَى شـــمائلَهُ
صحوٌ وغيمٌ وإبراق وإرعـــادُ

والبيت من جملة أبيات لعلي بن الجهم[٦٤] • وهذا البيت :

وحــدثتني ياســعد عنهمْ فَزِدتَني
جنوناً فزدني من حــديثكَ يا ســعدُ

وهو من أبيات للعباس بن الاحنف[٦٥] • وهذه المقطوعة التي اولها :

وراحٍ من الشــمس مخلوقــةٍ
بــدتْ لك في قــدحٍ من نهــارِ

---

(٦٣) انظر : الملحق الرقم (٣٨) •
(٦٤) انظر : الملحق الرقم (٨٠) •
(٦٥) انظر : الملحق الرقم (١٨١) •

وهي للتنوحي[٦٦] .

وهناك أمثلة أخرى منسوبة لابن المعتز وهي لشعراء آخرين : كتميم بن المعز ، وسعيد بن حميد ، وأبي تمام وابن تميم وابن الرومي والصنوبري والعطوي وعروة بن آشيم وكشاجم وغيرهم ونكتفي بالاشارة الى ارقامها الآتية :

٢٥ ، ٣٨ ، ٤٤ ، ٤٨ ، ٥٠ ، ٦٥ ، ٦٨ ، ٧٧ ، ٨٠ ، ٨١ ، ١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٤٢ ، ١٦٧ ، ١٧٠ ، ١٨٨ ، ١٩٠ ، ١٩٨ ، ٢٢٧ ، ٢٤١ ، ٢٤٥ ، ٢٤٧ ، ٢٤٩ ، ٢٧١ ، ٢٩٧ ، ٣٢١ ، ٣٤١ ، ٣٩٧ .

وهناك مقطوعات اخرى لا نظنها تتلاءم مع طبيعة شعر ابن المعتز وما كان شائعا في عصره منها هذه المقطوعة :

دَبَّ العـذارُ على صحيفةِ خـــدهِ
مثلَ الطـرازِ فزادَ فيـه تَحيّرِي
فكأنّـهُ القنـديلُ باتَ مُعلّقـــاً
تحت الدجى بسلاسـلٍ من عنبرِ[٦٧]

وهذه المقطوعة :

إني لأَعجبُ من حمائِمهـــا كيفَ اهتدينَ لِمُعربٍ مَحْضِ
هـل كان نحويٌّ يعلّمُهـــا نَصباً وبابَ الرفعِ والخفضِ[٦٨]

وأكبر الظن ان استعمال (القنديل) في المقطوعة الاولى والمصطلحات النحوية في الثانية لم يكن مألوفا في عصر الشاعر وانما هو من استعمالات العصور المتأخرة .

(٦٦) انظر : الملحق الرقم (١٤٢) .
(٦٧) انظر : الملحق الرقم (١٦٨) .
(٦٨) انظر : الملحق الرقم (١٩٤) .

وقد انفردت بعض المصادر المتأخرة برواية مقطوعات كثيرة منسوبة لابن المعتز يخامرنا الشك في صحة نسبتها اليه . لابتعادها عن طابع شعره وخصائصه الفنية ، ولضعفها وركاكتها من جهة اخرى . ونكتفي بالاشارة الى ارقامها فيما يأتي :

١٩ ، ٥٨ ، ٧٤ ، ٨٦ ، ٨٨ ، ٩٨ ، ١٠٣ ، ١٤٦ ، ١٥٠ ، ١٥٣ ، ١٧٣ ، ١٩٧ ، ٢٢٥ ، ٢٢٨ ، ٢٣٥ ، ٢٥٠ ، ٢٨٥ ، ٢٩٥ ، ٣٠٨ ، ٣٢٦ ، ٣٥٥ ، ٣٦١ ، ٣٦٣ ، ٣٩٠ .

وقبل الانتهاء من هذا الفصل يجدر بي أن أشير الى انني وقفت في كتاب فصول التماثيل على خمسة امثلة نسبها ابن المعتز لنفسه وهي لغيره الاول

يـــوم" عليـك مبـــارك" ما شـــئتَ من لهوٍ وطيبِ
فاشـرب عُقـاراً نقلُهـــا تقبيــل" ســـالفةِ الحبيبِ

والبيتان من جملة ستة أبيات منسوبة لسعيد بن حميد[٦٩] .

والثاني :

ورازقي" مُخْطَفِ الخُصـورِ كأنـــهُ مخازنُ البَلّـورِ
قد ضَمِنتْ مِسكاً من الكافورِ وفي الأعـــالي ماءُ وردٍ جوري
لم يَبْقِ منه وَهَجُ الحَرورِ إلاّ ضيـــاءٌ في ظروفِ نورِ
لو أنّــهُ يبقَى على الدهورِ قَرّطَ آذانَ الحسانِ الحورِ
بلا فريـدٍ وبلا شـــذورِ

(٦٩) انظر : الملحق الرقم (١٤٢) .

والمقطوعة مع أبيات أخرى منسوبة لابن الرومي في أكثر من مصدر[٧٠].
والجدير بالذكر ان ابن المعتز قدم لهذه المقطوعة بقوله : (وقت مبتدعا غير متبع) .

والثالث :

كأنّما نَصْبُ كأسهِ قمرٌ يَكرعُ في بعضِ أنجم الفَلَكِ

والبيت من جملة ابيات في اشعار الخليع الحسين بن الضحاك[٧١] .

والرابع :

ومُهفهفٍ تَمّتْ محاسـنُهُ حتّى تجاوزَ مُنْيةَ النفسِ
أبصرتُه والكأسُ بين فمٍ منه ، وبينَ أناملٍ خَمْسِ
فكأنّها وكأنّ شاربَها قمرٌ يُقبّلُ عارضَ الشمسِ

والابيات مع بيت آخر منسوبة لابن الرومي وهي في ديوانه[٧٢] .

والخامس :

اكسرْ بمائكَ حدّةَ الصهباءِ
فإذا رأيتَ خضوعها للماءِ

والبيت من جملة ثمانية ابيات في ديوان ابن نواس[٧٣]

والحق ان ابن المعتز في عموم شعره وفي اخباره التي تسربت الينا لم يحاول ان يسطو على أشعار الآخرين او ينتحلها ، وانما كان يصرح وخاصة في

(٧٠) انظر : الملحق الرقم (١٧٠) .
(٧١) انظر : الملحق الرقم (٢٤٩) .
(٧٢) انظر الملحق الرقم (١٨٨) .
(٧٣) ديوان ابى نواس (٧٠٢) طبعة الغزالي

كتابه (فصول التماثيل) حين يعجبه قول أحدهم الى أن له مثل هذا القول ، من ذلك قوله : ولقد أحسن الحكمي في قوله :

حلبتُ لأصحـــابي بهـا درّةَ الصبـا
بصفراءَ من مـاء الكروم شـــمولِ

إذا ما أتتْ دون اللهـاة من الفتى
دعا همّـهُ من صـدره برحيـلِ

قال أبو العباس ولي في هذا المعنى :

داوِ الهمومَ بقهوةٍ عـــذراءِ
واصرفْ بصرفِ الراحِ صفوَ الماءِ[74]

(٧٤) انظر : فصول التماثيل (١٢) ، وانظر ايضا (ص ١٧ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٣٥) من المصدر نفسه .

الباب الثالث

شعر ابن المعتز
موضوعاته وخصائصه الفنية

الفصل الاول

موضوعات شعره

تمهيـــد :

رزق ابن المعتز موهبة شعرية فذة ، ظهرت بواكيرها منذ نعومة اظفاره ، ويبدو ان الذي حبب الشعر اليه وغرسه في نفسه منذ طفولته هو البحتري الذي كان شاعر والده المعتز طوال مدة خلافته التي استمرت زهاء اربع سنوات ونصف ، وقد قال فيه اكثر من ثمان وعشرين قصيدة[1] ، ويظهر ان ابن المعتز كان يستمع الى ما ينشده البحتري في أبيه في أروقة قصوره الرحبة فكان يجد في ذلك متعة ما لبثت ان استحالت الى ميل ورغبة نحو القريض ، وقـد مر بنا قول ابن المعتز ان مما حبب الشعر اليه انه سمع البحتري ينشد أبـاه شعرا تشوقه الناس واستحسنوه ووصفوه ، تصرّف فيه بغزل ووصف ومدح

(١) يشير الاستاذ خفاجي في كتابه ابن المعتز وتراثه في الادب ص ٦٩ الى ان للبحتري في المعتز (٢٤) اربعا وعشرين قصيدة والصحيح ما اثبتناه (انظر البحتري في سامراء بعد عصر المتوكل ٦٤) .

وشكر وعدد أصناف ما أخذه . وطلب خاتم ياقوت ، وهو عنده من أحسن شعره ، وهو :

بودّيَ لو يَهوى العـاذلونُ ويعشــقُ
ليعلم أسباب الهوى كيفَ تَعلق[٢]

ويظهر انه بدأ يتعاطى نظم القريض منذ الصغر ، وقد وصلت الينا عدة أخبار في هذا الشأن ، فقد جاء في كتاب (ذم الهوى) عن أبي بكر الصولي انه قال : (اعتل عبدالله بن المعتز فأتاه أبوه عائدا وقــال : ما عراك يا بني ؟ فأنشأ يقول :

أيهـــا العــاذلونَ لا تعذلوني وانظروا حسنَ وجهها تَعذروني
وانظروا هل تَرونَ أحسنَ منهــا إنْ رأيتم شــبيهَها فاعذلوني
بي جنونُ الهوى وما بي جنونٌ وجنونُ الهوى . جنونُ الجنونِ

قال : فتتبع أبوه الحال ، حتى وقع عليها ، فابتاع الجارية التي شغف بها بسبعة آلاف دينار ، ووجهها اليه)[٣] .

وأكبر الظن ان هذه الحكاية لا صحة لها ، فعمر ابن المعتز حين قتل والده كان تسع سنوات ، ولا نحسب ان عمراً كهذا يؤهل صاحبه للدخول في علاقات عاطفية كهذه . غير ان هذه الحكاية مع ذلك تحمل في ثناياها اعترافا بشاعرية مبكرة .

ومر بنا انه كتب الى استاذه الدمشقي ، وعمره ثلاث عشرة سنة ، حين شعر الدمشقي ان احد المؤدبين حاول ان يشركه في تأديب عبدالله أبياتا يقول في اولها :

---

(٢) انظر ص٣٢ من هذه الدراسة .
(٣) ص ١٧٢ وانظر نهاية الارب ٣/١٤٤ حيث نقل هذه الحكاية مع الشعر. ومر بنا ان مثل هذه الحكاية وقعت لابيه المعتز مــع احدى الجــواري . انظر ص ٣٨ .

أَصبحتَ يابن سعيدٍ خدنَ مكرمةٍ
عنها يقصِّرُ من يحفَى ويَنتعلُ

والابيات تدل على ما كان يأخذه به استاذه من مواد التعليم وضروب التأديب ، وعلى شاعرية ما تزال في مهدها بعد .

وجاء في الاغاني عن ابراهيم بن خليل الهاشمي انه قال : (دخلت يوما الى ابي عيسى بن المتوكل[4] ، فوجدت عبدالله بن المعتز وقد جاء مسلما وسنه يومئذ دون عشرين سنة ، اذ دخل علي بن محمد بن ابي الشوارب القاضي ، فأكرمه أبو عيسى ونهض اليه ، فلما استقر به المجلس قال لابي عيسى قد احتجت الى معونتك في أمر دفعت اليه لم استغن فيه عن تكليفك المعاونة قال : وما هو ؟ قال : زوجت بنتا من بناتنا رجلا من اهلنا ، فخرج عن مذاهبنا، واساء عشرة أهله ، وجعل منزل عيسى بن هارون اكثر مظانه واوطانه ، ويهددنا ويوعدنا بشره ... فقال له ابو عيسى : انا اوجه اليه بعد انصرافك ، واراسله بما انا المتكفل بعده بألا يعود الى عشرته ... فشكره ودعا له وانصرف . فقال ابو عيسى : ألا ترون الى هذا الرجل النبيه الفاضل السري الشريف يدفع الى مثل هذا ، طوبى لمن لم تكن له بنت . فقال عبدالله بن المعتز : ايها الامير ان لولدك في هذا المعنى شيئا ، قاله واستحسنه جماعة ممن يعلم ويقول الشعر . فقال هاته فداك معك ، فأنشده لنفسه :

وبكر قلتُ مَوتي قبلَ بعلٍ ... وإنْ أثرَى وعُدَّ من الصميمِ
أأمزجُ باللئامِ دَمي ولحمي ... فما عذري الى النسب الكريمِ[5]

---

(4) أبو عيسى محمد بن المتوكل : جاء في الاوراق ص ١٠٤ (كان ابو عيسى من افضل اولاد المتوكل نفسا وعلما وعقلا وديانة ، وكان له درس معروف من القرآن في كل يوم وليلة لا يخليه ولا يشتغل عنه ، وكان يعنى بصلاة القيام ، حتى قال انها ما فاتته قط ... وكان قد سمع حديثا كثيرا ، وعرف شيئا من الفقه ، وكان يلزمه جماعة من العلماء لا يفارقونه ، وله شعر قليل اكثره في الزهد ...) .

(5) الاغاني (١٠/٢٨٢ ٢٨٣) .

وواضح من الخبر الثاني ان ابن المعتز بدأ نظمه للشعر في سن مبكرة وانه أخذ يكاتب به اساتذته وانه بعد ان درج سنوات لم تصل الى العشرين كما في الخبر الثالث أخذ يطلع اصدقاءه من الادباء على شعره ، حتى اذا رضوا به بدأ ينشره على اقربائه واصدقائه • ويبدو انه اخذ يستخدم شعره وهو في العشرين من العمر في مكاتبات العمال واصحاب الدواوين لقضـــاء حاجاته ومر بنا كلام ابن الفرات حين استشاره العباس بن الحسن وزيرالمقتدر في ترشيح ابن المعتز للخلافة بدلا من المقتدر في سنة ٢٩٦ هـ الذي يشير فيه الى مكاتبة عبدالله هذا الوزير وابن الفرات بشعره ورسائله لقضاء حاجاته منذ ثلاثين سنة • ومعنى هذا انه كان يكاتبهما شعرا ونثرا منذ العشرين من العمر • واستمر ابن المعتز يتعاطى نظم القريض الى آخر ايامه ، قال الصولي: (ثم حدث له في آخر ايامه شعر فيه مفاخرة لاهله وبني عمه الطالبيين ، وكان يرى انهم يناقضونه الشعر فكان قوله يمضي على ذلك)[٦] • وهــذا يعني ان ابن المعتز قضى اكثر من خمس وثلاثين سنة وهو يعالج الشعر ويقوله في فنون مختلفة ، ومن غير شك انه كان احيانا كثيرة ينصرف عن الشعر ويتفرغ الى مؤلفاته الادبية وهي غير قليلة •

ويظهر ان بعض شعره قد ضاع ، وقد وردت اشارات كثيرة تدل علىهذا فقد جاء في كتاب الاوراق في الحديث عن اعتذارات ابن المعتز للطالبيين قول الصولي : (وله بعد هذا اعتذار كثير في قصائد الا انه خلط الاعتذار ببعض الاحتجاج فلم أذكره والذي ذكرته عنه هو آخر ما قاله ، وعليه فارق الدنيا[٧]•

(٦) الاوراق قسم اشعار اولاد الخلفاء ص ١٠٨ •

(٧) انظر الاوراق خ (٤و) •

وجاء أيضا قول الصولي بعد ذكره لمطلع القصيدة التي هجا ابنُ المعتز بها يحيى بن علي المنجي (فشبب بها تشبيبا طويلا ثم قال)[٨] والتشبيب الطويل هذا قد اسقطه الصولي من القصيدة . وقدم الصولي لمقطوعة مؤلفة من بيتين في كتابه الاوراق أيضا بقوله : (وله من ابيات)[٩] .

وقد فقد الكثير من مكاتباته لاخوانه شعرا ، فلم يصل الينا منها ما كان، يكاتب به جحظة البرمكي والمفضل بن سلمة ، والقاسم بن احمد الكوفي[١٠] ، ولعل الكثير مما كان يكاتب به غيرهم : كالكسروي وعبيدالله بن عبدالله ابن طاهر وآل المنجم والنميري قد ضاع كذلك . ولعل الاستدراكات التي جاءت في هوامش النسخة (ل) والزيادات الواردة في مخطوطات ومصادر اخرى لا تمثل كل ما ضاع من شعره ، ومن المحتمل جدا أن يكون قد فات المستدركين شيء آخر له .

وقد وردت في ديوانه قصائد ومقطوعات كثيرة غير مصرعة المطلع مما يدل على أن بعضها قد سقط منها أولها ، منها مقطوعة في فن الفخر من اربعة ابيات تبدأ بقوله :

وقد ألاقي بأسَ العداةِ على طِرفٍ بعضبٍ كالنار يتّقدُ[١١]

ومقطوعة في الغزل من خمسة أبيات تبدأ بقوله :

فكيف بها لا الدارُ منها قريبة ولا أنتَ منها آخرَ الدهر صابرُ[١٢]

---

(٨) الاوراق قسم اخبار المقتدر (٤٠و) .
(٩) انظر الديوان الرقم (٤٦٧) .
(١٠) انظر ص (٨١) .
(١١) انظر الديوان الرقم ٢١ .
(١٢) انظر الديوان الرقم ١٧٠ .

ومنها قصيدة في مدح المعتضد اولها :

لقد شَـدَّ مُلْكَ بني هاشـمٍ وأبدَلَـهُ بالفسادِ الصلاحـا

إمـامٌ اعاد الهـدى عدلُه ولاقى المرجّونَ فيه السماحا[13]

ومنها قصيدة في تعزية الموفق بوفاة ابنه هارون تبدأ بقوله :

يا ناصـرَ الدينِ إذْ هُدَّتْ قواعدُهُ

وأصـدَقَ النـاس عن بـؤسٍ وإنعـامِ[14]

ومنها قصيدة في المعاتبات اولها :

وممَّـا شـجاني بارقٌ لاحَ موهنـاً

فأكفـا إنـاءَ الدمعِ واستلبَ الغُمضا[15]

ومع كل ذلك فقد وصلت الينا ثروة شعرية كبيرة له :

والجدول الآتي يبين لنا عدد ما وصل الينا من قصائده[16] ومقطوعاته وما اشتملت عليه من أبيات :

(١٣) انظر الديوان (١/٤٢٢) .
(١٤) انظر الديوان (١/٥٠٢) .
(١٥) انظر الديوان (٢/٣٣٦) .
(١٦) يراد بالقصيدة ما كانت من عشرة ابيات فما فوق (انظر العمدة ١/١٨٨–١٨٩) ومن ضمن هذه القصائد والمقطوعات ما شككنا في صحة نسبته الى الشاعر .

أ ـ الديوان :

الفن	المقطوعات	أبياتها	القصائد	أبياتها	مجموع القصائد والمقطوعات	مجموع أبيات القصائد والمقطوعات
الفخر	٠٢٦	١١٦	٤٣	١١٥٥	٠٦٩	١٢٧١
الغزل	٢٩٢	٩٠٨	١٢	١٨٩	٣٠٤	١٠٩٧
المدح	٠٥٢	٢٠٤	٣٣	١٠٩٥	٠٨٥	١٢٩٩
الهجاء والذم	١١٥	٣٤١	١٨	٠٣٤٧	١٣٣	٦٨٨
الشراب	١٩٢	٧٧٠	٥٠	٧٣١	٢٤٢	١٥٠١
المعاتبات	٣١	١٢١	٢٩	٨٦٧	٠٦٠	٠٩٨٨
الطرد	٠٣٦	١٨٢	١٧	٢٦٠	٠٥٣	٠٤٤٢
الاوصاف	١٨٨	٥٦١	١١	٣٢٣	١٩٩	٠٨٨٤
المراثي	٠٥١	١٤٩	٢٥	٦١٧	٠٧٦	٠٧٦٦
الزهد	١٢١	٣٧٧	١١	٢٢٨	١٣٢	٦٠٥
	١١٠٤	٣٧٢٩	٢٤٩	٥٨١٢	١٣٥٣	٩٥٤١

ب ـ الملحق :

	المقطوعات	أبياتها	القصائد	أبياتها	مجموع القصائد والمقطوعات	مجموع أبيات القصائد والمقطوعات
	٣٩٣	٩٠٥	٠٠٤	٠٥٧	٣٩٧	٠٩٦٢
	١٤٩٧	٤٦٣٤	٢٥٣	٥٨٦٩	١٧٥٠	١٠٥٠٣

ملاحظة :

مما يجدر ذكره ان طبعات ديوان ابن المعتز المصرية والبيروتية اشتملت على (٥٣٧٩) بيتا ، أي نصف الديوان تقريبا .

بين القصائد والمقطوعات :

يظهر لنا من الجدول السابق ان ابن المعتز كان ذا شاعرية خصبة ثرة ، وكان مقتدرا على القصيد ، كما كان متمكنا من المقطوعات • ويبدو انه جارى الكثيرين من شعراء العصر في الميل الى المقطوعات القصيرة التي كانت تطغى على المطولات من القصائد • ولو اردنا ان نتلمس الاسباب التي دعته ودعت سواه من الشعراء الى الجنوح الى هذه المقطوعات ، لوجدناها تنحل في الغالب ــ الى ما ذكره ابن رشيق في هذا الشأن ، فقد عقد في عمدته بابا حول القطع والطوال من الشعر جاء فيه : (سئل ابو عمرو بن العلاء : هل كانت العرب تطيل ؟ فقال : نعم ليسمع منها ، قيل فهل كانت توجز ؟ قال : نعم ليحفظ عنها •• وقال الخليل بن احمد : يطول الكلام ويكثر ليفهم ، ويوجز ويختصر ليحفظ ، وتستحب الاطالة عند الاعذار والانذار والترهيب والترغيب ••• وقال بعض العلماء يحتاج الشاعر الى القطع حاجته الى الطوال ، بل هو عند المحاضرات والمنازعات والتمثل والملح أحوج اليها منه الى الطوال ، وقيل لابن الزبعرى : انك تقصر اشعارك ، فقال : لان القصار اولج في المسامع ، وأجول في المحافل ، وقيل للجماز : لم لا تطيل الشعر ؟ فقال : لحذفي الفضول • وقال الجاحظ : قيل لابي المهوش : لم لا تطيل الهجاء ؟ فقال : لم اجد المثل السائر الا بيتا واحدا (والمشهورون بجودة القطع من المولدين بشار بن برد ، وعباس بن الاحنف والحسين بن الضحاك ، وابو نواس ، وابو علي البصير[١٧] ، وعلي بن الجهم ، وابن المعذل ، والجماز ، وابن المعتز)[١٨] •

---

(١٧) قمت بجمع اشعار ابى علي البصير ونشرتها في مجلة المورد العراقية وكان اكثرها مقطوعات ، كما قمت بجمع اشعار سعيد بن حميد رئيس ديوان الانشاء في عهد المستعين واحد معاصري البصير ونشرتها في كتاب ، وهي في اغلبها مقطوعات ايضا .

(١٨) العمدة (١/١٨٦ــ١٨٨) وانظر عبدالله بن المعتز لسيد الاهل (١٧) .

ان كل ما ذكره ابن رشيق فيما يتصل بالمقطوعات والمطولات كان موجودا في عصر ابن المعتز ، وان نظرة عجلى على الفنون التي رتب عليها ديوانه لتشهد بهذا •

لقد اعجب بشعر ابن المعتز الكثيرون من القدامى والمحدثين فأطـروه واثنوا على صاحبه • ونرى من المفيد وقبل الخوض في شعره وخصائصه أن نشير الى بعض اقول القدامى فيه[١٩] •

قال الصولي : (شاعر مفلق محسن حسن الطبع ، واسع الفكر ، كثير الحفظ والعلم . يحسن في النظم والنثر ، من شعراء بني هاشم المتقدمين وعلمائهم . ومن نشأ في الرواية والسماعة ، يكثر في مجلسه من حدثنـــا واخبرنا)[٢٠] • وقال أيضا : (ومنزلة عبدالله في الشعر منزلة شريفة ، وقد وقع من قوم افراط في أمره وتقديسه)[٢١] • وقال : (وكان ابو العباس احمد ابن يحيى يقدمه ويقول هو أشعر أهل زمانه ، وكان عبيدالله بن عبدالله بن طاهر يقول هو اشعر قريش ، لانه ليس فيهم من له مثل فنونه ، لانه قال في الخمر . والطرد ، والمديح ، والهجاء ، والمذكر ، والمؤنث والمعاتبـــات والزهد . والاوصاف ، والمراثي فأحسن في جميعها • وهو حسن التشبيه مليح الالفاظ واسع الفكر •

وكان احمد بن اسماعيل الكاتب يطارحه ويقول هو اشعر بني هاشم ، وآل وهب كلهم يقدمونه ويقولون فيه مثل هذا القول)[٢٢] •

---

(١٩) اما المحدثون فقد كتبوا عن الشاعر مقالات ووضعوا فيه بحوثا ودراسات وهي كثيرة ذكرناها في الهوامش وفهرست المصادر .

(٢٠) الاوراق قسم اشعار اولاد الخلفاء (١٠٧) .

(٢١) المصدر نفسه (١١٣) .

(٢٢) المصدر نفسه (١١٣) .

وقال المسعودي : (وكان عبدالله اديبا بليغا ، شاعرا مطبوعا ، مجوداً مقتدرا على الشعر ، قريب المأخذ ، سهل اللفظ ، جيد القريحة حسن الاختراع للمعاني)[٢٣] • وقال ابو الفرج الاصفهاني : (وممن صنع من اولاد الخلفاء فأجاد واحسن وبرع وتقدم جميع اهل عصره فضلا وشرفا وأدبا وشعرا وظرفا وتصرفا في سائر الآداب ـ ابو العباس عبدالله بن المعتز بالله)[٢٤] •

وقال الحصري : (وكان ابو العباس عبدالله بن المعتز في المنصب العالي من الشعر والنثر ، وفي النهاية في اشراق ديباجة البيان ، والغاية من رقة حاشية اللسان • وكان كما قال ابن المرزبان : اذا انصرف من بديع الشعرالى رقيق النثر أتى بحلال السحر ، وليس بعد ذي الرمة اكثر افتنانا واكبر تصرفا واحسانا في التشبيه منه)[٢٥] •

وقال ابن رشيق : (وقالت طائفة من المتعقبين : الشعراء ثلاثة جاهلي واسلامي ومولد ، فالجاهلي امرؤ القيس والاسلامي ذو الرمة ، والمولد ابن المعتز •• وليس في المولدين اشهر اسما من الحسن ابي نواس ثم حبيب والبحتري •• ثم يتبعهما في الاشتهار ابن الرومي وابن المعتز ، فطار اسم ابن المعتز حتى صار كالحسن في المولدين وامرىء القيس في القدماء••)[٢٦] •

وقال ابن الانباري : (واما عبدالله بن المعتز بالله ، ويقال له امير المؤمنين فانه كان غزير الفضل بارعا في الادب ، حسن الشعر كثيره ، ومحاسن شعره كثيرة جدا)[٢٧] •

---

(٢٣) مروج الذهب (٢٠٣/٤) وانظر روضات الجنات (٤٦٦) ومرآة الجنان (٢٢٦/٢) •

(٢٤) الاغاني (٢٧٤/١٠) •

(٢٥) زهر الاداب (١٨٧/١) •

(٢٦) العمدة (١٠٠/١) •

(٢٧) نزهة الالبا ٢٩٩ طبعة حجر •

وقال ابن بسام وذكر مقامة ابن شرف التي جاء فيها : (وأما ابن المعتز فملك النظام ، كما هو ملك الانام ، له التشبيهات المثلية ، والاستعارات الشكلية ، والاشارات السحرية ، والعبارات الجهرية ، والتصاريف الصنوفية والطرائف الفنونية ، والافتخارات الملوكية ، والهمات العلويـــة ، والغزل الرائق ، والعتاب الشائق ، ووصف الحسن الفائق)[٢٨] .

وقال الخفاجي : (بديع الشعر رقيق النظم والنثر عذب المشارع مرتبط المطالع بالمقاطع)[٢٩] .

موضوعات شعر ابن المعتز :

قال ابن المعتز في كل الفنون ، والاغراض الشعرية المتعارف عليهـا في عصره ، مما حدا بالصولي أن يرتب ديوانه ــ كما مر ــ على الفنون فجعلها عشرة ، واتبع الترتيب نفسه في الفصل الذي عقده عن الشاعر في كتابـــه الاوراق (قسم اشعار اولاد الخلفاء واخبارهم) . وارتأينا ان نتحدث عن تلك الموضوعات تحت اسماء :

الشعر الحماسي ، والشعر الاجتماعي ، والشعر السياسي ، والغزل والوصف ، والحكمة ، والمزدوجة التاريخية ، والحنين الى الوطن .

الشعر الحماسى :

ونريد به ما يتصل باشادة الشاعر بنفسه واطرائه لقومه[٣٠] . فقـــد تحدث ابن المعتز عن نفسه كثيرا ، تحدث عن علمه ، وادبه وخلقه وصباه ، وكرمه وفتوته وعزمه وشجاعته ، كما تحدث عن اهله وقومه وأشادَ بهم أيضا .

---

(٢٨) الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة (١٦٣/٤) وانظر رسائل الانتقاد ص٢

(٢٩) ديوان الادب الورقة (٥٢ ظ) .

(٣٠) ان الشعر السياسي في الحقيقة يشمل مجالات كثيرة من الشعر غير الاشادة بالنفس والاطراء للاهل والقوم ، وفي الحماسات التي ألفت في عصر الشاعر وبعده دليل على هذه السعة ، ولكننا نريد به هنا ما يقتصر على الاشادة بالنفس والقوم من صفات .

ويبدو ان شعره الحماسي بدأ مع بدء تعاطيه النظم ، وقد مر بنا ما بعث به الى استاذه الدمشقي في اول ما تفتقت عنه قريحته الشعرية من ابيات .

لقد كان الشاعر يهتبل كل فرصة سانحة للاشادة بصفاته وخلاله ، فهو يقول بعد ان احس بكيانه العلمي :

وقَولي هَوَى عرشُ المكارمِ والعُلَى
وعُطِّلَ ميزانٌ من العلمِ راجحُ (٣١)

ويقول مشيدا بقدرته على المحاجة وفطنته للامور :

وفتقتُ أسماعَ الخصوم بحُجّةٍ — بيضاءَ تُبرىءُ بالبيان الأكمها
وحديثِ نفسٍ قدعَصَيتُ ولذّةٍ — وُقّيتُ عنها عِفّةً وتنزدها
إنّي إذا فَطِنَ الزمانُ لَناطقٌ — وَسَكَتُّ حينَ رأيتُ دهراً أبلها (٣٢)

ويقول في دماثة اخلاقه وتهذيبها :

وأصمتُّ عني حاسدِي بخلائقٍ — مُهذّبةٍ ليستْ لهن عيوبُ (٣٣)

ويقول في احتماله للشدائد وترويضه للصعاب :

قلْ لدنيايَ قد تمكنتِ مِني — فافعلِي ما أردتِ أنْ تفعلِي بي
واخرقي كيفَ شئت خرقَ جهولٍ — إنّ عندِي لك اصطبارَ لبيبِ
رُبَّ أُعجوبةٍ من الدهرِ بكرٍ — وعوانٍ قد راضَها تَجريبي (٣٤)

---

(٣١) الديوان (١/٧٨) .
(٣٢) نفسه (١/١٩٣) .
(٣٣) انظر الديوان (١/٥٦) وانظر البيت الثالث من الرقم ٢٧ ايضا .
(٣٤) الديوان (٢/٢٧٦–٢٧٧) .

ويشيد بقدرته على المداراة واستلال السخائم من العرب في مثل قوله:

ألا رُبَّ دساسٍ ليَ الكيــــدَ حاملٍ
ضبــابَ الحقودِ قد عرفتُ وداريتُ

فعادَ صديقــاً بعدما كانَ شــــانئاً
بعيدَ الرضى عني فصافَى وصافيتُ[٣٥]

ويتخذ من إمضاء عزمه في الامور ، وكنه مما استفحل من الادواء مــادة للثناء أيضا فيقول :

لا يَتعــدُ الشدائد عزمي عنــد نهضتــهِ
وليسَ رأيي عن حــزمٍ بمحجوزِ[٣٦]

ويقول :

ولَرُبَّ داءٍ لا يُجبْ برقيـــــةٍ
نَهنهتُــهُ بِصَريــةٍ فتنَهنهــا[٣٧]

ويشغل المجد والوصول اليه الشاعر كثيرا ، فيتخذه غاية يســعى اليها ويسهر الليل من أجلها . فيقول :

واســـهرُ للمجدِ والمكرماتِ ... إذا اكتحلتْ أعــينٌ بالكَرَى[٣٨]

وكان يكثر من الحديث عن كرمه وبذله ماله فى سبيل اصحابه وضيفانه، فكانت نيرانه الموقدة ليلا تهدي العفاة اليه . وكان يتلقاهم ببشر وبشاشـــة ويعمد الى ابله الكريمة فينحرها لهم ، فهو يقول :

---

(٣٥) الديوان (١/٦٠) .

(٣٦) نفسه (٢/١٤٨) .

(٣٧) نفسه (١/١٩٣) . وانظر ايضا (٢/٢٩٠) .

(٣٨) نفسه (١/١٥) وانظر ايضا (١/٤٩ ، ١٧٢) .

وليلـةِ قُـرٍّ قد أهنتُ كريههــا
ولم يكُ بي شُـحٌّ على الجود غلاّبا

وقمتُ الى الكُومِ الصفايا بمُنصُلي
فصيّرتُهـا مجـداً لقومي واحسابا

فباتتْ على أحجارنـا حبَشيـةٌ
تخاطبُ أمثـالاً من السود أترابا[39]

وعلى الرغم من أن ابن المعتز هو القائل :

قـد تردّيتُ بالمكـارمِ حـولي
وكفتني نفسِي من الافتخـارِ[40]

فانه كان يلتفت الى حسبه وعراقة محتده ، ويشيد بهما في شعره كثيرا كقوله:

أنا ابنُ خيرِ الناسِ بعـدَ خيرِهمْ
مُحمّدٍ أكرمْ بهـذا من نَسَـبْ

أنـا ابنُ عبّـاسٍ إليـه انتمِي
بهِ لَعمري حُزتُ أخطار القَصَبْ[41]

على ان الشيء الذي اكثر منه ابن المعتز ، والح عليه من هذه الصفات، هو الشجاعة ، فقد تغنى كثيرا جدا بشجاعته وبطولاته ومغامراته التيما تكاد تنتهي • فبدا فارسا مغوارا ، وبطلا عظيما ، خاض وطيس المعامع ، وقـاد الجيوش الجرارة ، وفتك بالاعداء ، وقطع المفاوز المهلكة ، وغشي الليـالي

(٣٩) الديوان (١/٢٨-٢٩) وانظر ايضا (١/٤٩) •
(٤٠) الديوان (١/١٠٤) •
(٤١) الديوان (١/٤٩-٥٠) وانظر ايضا البيت الثاني (١/١٤ ، ٢٥ ، ٨٠ - ٨١) •

المدلهمة ، مرة على متن طمر ، واخرى على ظهر قارح ، وكان في كل أحواله منصورا مظفرا • والامثلة على ذلك اكثر من ان يمثل لها ، منها قوله :

وجيشٍ كمثلِ الليل تُسودُ شمسُه
ويَحمرُ من أعدائهِ البرُ والبحرُ

شَهِدتُ بطِرفٍ أعوجيٍّ وطِرفةٍ
وعَضْبٍ حسامِ الحدِ في مَتنهِ أثرُ

ولمّا حَبا الصفّانِ فرّقَ بيننا
حَريقُ ضرابِ البيضِ والأسَلُ السمرُ

فَولّوا وقد ذاقوا التي يَعرفونها
فكانَ لهم عذرٌ وكان لنا فخرُ[٤٢]

ويقول في قومه وقد جمع عدة أوصاف لهم :

إنّا لَننتابُ العِداةَ وإنْ نأوا
ونَهزُ أحشاءَ البلادِ جموعا

ونقولُ فوقَ أسِرَّةٍ ومنابرٍ
عَجَباً من القولِ المُصيبِ بديعا

قومٌ إذا غضبوا على أعدائِهم
جَرُوا الحديدَ أزجّةً ودروعا

ونُصيبُ بالجود الفقير وَذا الغنى
والغيثُ يَسقِي مُجدباً ومُريعا

(٤٢) الديوان (١/١١٥–١١٦) .

ومتى تَشأ في الحـــرب تلقَ مُؤمـَّـراً

مِـنـّا مُطاعــاً في الورى متبوعــا[٤٣]

هذه نماذج قل من كثر مما يزخر به شعر ابن المعتز في التغني بصفاته وصفات أهله ، وهي نماذج يتمثل فيها صدق الشعور وقوة الاسر ، وســلامة التعبير ، وروح الفتوة ، وجلجلة الالفاظ ، على انه اذا جاز لنا ان نتقبل جل ما أشاد به من صفات كان يتحلى بها : كالعلم والادب والكرم والمجد وغير ذلك ، اذ كان له من نسبه وتربيته ما يدعم هذا ، فان ما اسبغ على نفســـه من صفات الشجاعة والبطولة وخوض المعارك تجعلنا نقف عند هذه المسألة موقف التساؤل ، فهل كان الشاعر حقا بطلا خاض ميـــادين الوغى ، وجر الجيوش وخضب رمحه وسيفه بدماء الاعداء ، وهل كان يقتحم الفيافي المهلكة ويغشى الليالي الدامسة على صهوات الخيول المطهمة والنياق الكوم ، اوكان ما قاله لا يعدو أن يكون ضربا من التقليد لغيره من شعراء العرب الشجعان؟

يبدو ان زحمة ما جاء من شعره في هذا الاتجاه ، والالحاح عليه وتكراره قد حمل بعض دارسيه[٤٤] على الاعتقاد بصحة ما جاء به الشاعر ، غير ان

---

(٤٣) الديوان (١/١٣٠–١٣١) .

(٤٤) هو الاستاذ خفاجي في كتابه (ابن المعتز وتراثه في الادب ١١٤) فقـد جاء فيه (وكان ابن المعتز متمرنا على اعمال الفروسية وحيـاة البطولة ومعارك القتال . ويذكر كثيرا في شعره اشتراكه في المعارك وانتصاره على الاعداء :

وجررت الجيش اسحبه   لعدو كان من شاني

ولا غرو في ذلك فقد كان مهيئا لولاية الخلافة) .

دارسين آخرين ، ونحن منهم شكوا في هذه الشجاعة وعدوا ما جاء به الشاعر ضربا من التقليد للقدماء[٤٥] .

والحق انه لم يصل الينا خبر واحد مما تسرب الينا من أخباره يؤيد انه اشترك في معركة حربية واحدة اشتراكا فعليا. على انه ينبغي لنا ان لانجنح الى القول بأنه كان على النقيض مما جاء في قريضه ، ولعل قبوله ترشيح نفسه للخلافة في ظروف قاسية حرجة ــ وان لم ينجح فيه ــ دليل على اقدامه وشجاعته التي تغنى بها كثيرا .

٢ ــ الشعر الاجتماعي[٤٦] :

ونريد به ما صدر عن الشاعر في رجال العصر ممن اتصل بهم ، وكانت له معهم صلات وعلاقات ، ويشمل شعره الاجتماعي هذا :

١ ــ المديح :

مر بنا ان الشاعر اتصل بعدد من خلفاء العصر وامرائه ووزرائه ، كما كانت له صلات وثيقة بكثير من الادباء والشعراء .

---

(٤٥) ممن شك في ذلك الدكتور البصير في كتابه في الادب العباسي ص٣٣٣ هامش (١) ويرى انه في هذا يتشبه بامرىء القيس وطرفة والاعشى وغيرهم من فحول الجاهلية ويقلد بطولاتهم ثم يقول (ولكن من المشكوك فيه جدا ان يكون رجل حرب وضرب ورحلة دائمة في الصحراء) .

ومن تشكك في هذا ايضا الدكتور شوقي ضيف فقال (ويكثر ابن المعتز في شعره من الفخر بجوده وشجاعته ومضائه في الحروب وفروسيته ، وهو يحاكي في ذلك القدماء في حماستهم ، فهو فخر مصطنع متكلف في جمهوره) العصر العباسي الثاني (٣٤٠) .

(٤٦) ممن جرى على هذه التسمية ايضا الاستاذ خفاجي في كتابه (ابن المعتز وتراثه في الادب ١٦٦) .

والواقع ان الثناء والتزلف وامتداح الآخرين لم يكن من طبيعة ابن المعتز فقد كان له من شرف نسبه ومجد اسرته وطراز حياته ما يبعده ويعصمه من امثال هذه المزالق ، بيد ان الظروف القاسية التي مر بها وانفرد بهـا دون الآخرين ، هي التي ازجت به الى هذا الامر ، ومعنى هذا ان الرجل قد دفع الى شيء لم يكن مهيئا له ومعدا اعداد غيره ممن نذر نفسه وهيأها له •

ان ابن المعتز بقي — مع كل ما ألم به من ظروف قاسية — أبيّ النفس قوي العزيمة ، رافع الرأس ، ومن اجل هذا فقد قل أو اختفى من شعره الذي أطرى به الآخرين من خلفاء وسواهم ، الاستجداء او طلب المعروف ، ولكنه مع هذا كان وفيا عارفا للجميل ، وقد أشار الى ذلك اشارات غير قليلة لمن كان يثني عليه •

والظاهر انه كان ينشد الامن والسلامة في عصر كانت حياة الانسان فيه رهينة باشارة من خليفة او وزير ، اكثر مما كان يبتغي النشب • وفي شعره اشارات الى هذا •

فتقريظه للآخرين اذن لم يكن مبعثه الاستجداء ، كما كان تقريظ غيره من الشعراء ، وقد عبر هو عن ذلك بقوله :

لا أرحَـــلُ العيس الى ذي نائـلٍ
ولا الى ذي رغبـــةٍ ولا رَهَبْ

ولا احوكُ الشعرَ في مُكتسَـبٍ
إذنْ فلا هُنيتُ ذاك المكتسبْ(٤٧)

(٤٧) الديوان (١/٤٨ ، ٤٩) •

ومع كل هذا فقد اشتمل شعره على شيء غير قليل من المدح حتى شغل فنا قائما بنفسه من ديوانه ، ويمكن القول عامة انه نحا في هذا الفن منحيين : الاول ما خص به الخلفاء ، والثاني ما كان في سواهم • وهو في الاول يتحلل من القيود التي تحد من حرية انطلاقه في اسباغ النعوت على من يثني عليه من غير الخلفاء . وهو في الثاني حذر متيقظ لم يورط نفسه في اسناد صفات المبالغة لمن يطريه وانما كان يكتفي بسرد ما يتصف به غالبا ، ومن هنا رأى بعضهم ان مدحه ينزل عما كان عليه مدح غيره من الشعراء ممن كانوا يبالغون في نعوت ممدوحيهم(٤٨) •

وابن المعتز في هذا الجزء من شعره الاجتماعي لم يأت بجديد ، وانما سلك السبيل التي استنها من سبقه من الشعراء • وكنا نرأحيانا قليلة يستطرد في المقدمة الغزلية حتى لا يدع لموضوعه الاساس الا القليل وهو مما عيب عليه أيضا •

ان اكثر هذا الشعر كان في الخليفة المعتضد وأبيه الموفق ، وفي آل وهب وبخاصة عبيد الله وولده القاسم ، وكان الشاعر يعجب بهذه الشخصيات ويميل اليها ، ومن أجل هذا كان الكثير مما انشأه فيها يتسم بطابع القوة والحرارة وصدق الشعور • فقال في الموفق الذي كان يلقب بالناصر والذي خاض الكثير من المعارك وأبلى فيها بلاء حسنا وكان فضله كبيرا على الخلافة العباسية :

يا ناصرَ الدينِ إذْ هُدِمَتْ قواعدُهُ
وأصدقَ الناسِ عن بؤسٍ وإنعامِ
وقائدَ الخيلِ إذْ شُدَّتْ مآزرُهُ
مُذلَّلاتٍ بإسراجٍ والجامِ

(٤٨) انظر : عبدالله بن المعتز لسيد الاهل (١١٧) •

وسائسَ المُلْكِ يرعاهُ ويكلؤهُ
إذا حلا الغمضُ في أجفانِ نُوَّامِ

تَسري أناملُهُ الدنيا لِصاحبِها
ونصلُهُ من عِداهُ قاطرٌ دامي

كالسهم يَبعثُهُ الرامي فَصفحتُهُ
تَلقَى الردَى دونه والصيدُ للرامي

مُستيقظٌ لا يفُلُّ الشكُّ عزمتَهُ
كأنَّ أوهامَهُ أنصارُ أقوامِ

لا يشتكي الدهرَ إنْ خَطبٌ ألمَّ بهِ
إلاَّ الى صعدةٍ أو حدِّ صمصامِ(٤٩)

وخص المعتضد بكثير من شعره الذي جهد ان يرتفع به كثيرا عن مستوى شعره في الآخرين ، وكان قد وجد فيه الشخصية المحببة اليه بما انطوى عليه من شجاعة فذة وحنكة سياسية نادرة وكسر لشوكات كثير من الثائرين والخارجين وقد تغنى بكثير من الصفات التي عرف بها هذا الخليفة فقال فيه :

لمَّا رأيتَ المُلكَ شظَّى عودُهُ
وهوتْ كواكبُ سعدهِ لِغروبِها

حرَّكتَ تدبيرا عليهِ سكينةٌ
وخلطتَ ضحكةَ حازمٍ بِقطوبِها

راعيتَ جانبَها بلحظٍ حازمٍ
فَطِنٍ بعقربِ عِلّةٍ ودَبيبهَا

(٤٩) الديوان (١/٥٠٢–٥٠٣) .

قُطْبٌ يدورُ رَحَى الحوادثِ حولَهُ

مُتَفرِّدٌ بصروفِها وخطوبِها

وتَنالُ ما فاتَ العَجولَ تَمهُّلاً

ودوامُ حُضْرِ الخيلِ في تقريبِها[٥٠]

وأنشأ في المكتفى عددا من القصائد والمقطوعات غير أنها لا ترتفع الى مستوى ما قاله في أبيه المعتضد ، منها هذه الابيات التي أشاد فيها بصفاته وأعماله وذكر ما كان عليه من الحزم والشجاعة والكرم والبيان :

بالمكتفي كُفِيَ الأنامُ همومَهم

وغدا عليهم طالعٌ وسعودُ

جاؤكَ يحشرهُم إليكَ محبَّةٌ

طوعاً وسيفُكَ عنهمُ مغمودُ

ولطالَما ضَمِئتْ إليكَ نفوسُهُمْ

وطريقُ بابِكَ عنهمُ مَسدودُ

في كلِّ كفٍّ منه خمسةُ أبحرٍ

يسقى الحوائمَ ماؤها المَورودُ[٥١]

واثنى على عدد من وزراء الدولةفي مقدمتهم عبيد الله بن سليمان بن وهب. وابنه القاسم ، وانشأ فيهما كثيرا من الشعر أيضا وقد كان لهذين الرجلين موقع خاص في نفس ابن المعتز لما وفرا له من أمن وطمأنينة واكرام ، وقد اعترف لهما بهذه المنن اكثر من مرة في ثنايا مدائحه لهما ، وشعره فيهما ينبض بصدق الشعور والاخلاص . وقد اسند اليهما الصفات التي يراها جديرة بهما وبمن

(٥٠) الديوان (٣٩٣/١) وانظر ايضا (٤٤٢/١) .

(٥١) الديوان (٤٢٩/١-٤٣٠) .

كان في مركزهساوالتي منها: الحنكة السياسية والرأي الصائب والحزم والتدبير والكرم والبيان . فقال في عبيد الله :

ألا رُبَّ مكروهــةٍ قد كفيتَ ومُلــكٍ تَضمَّنتهُ فاســتقرْ
ورأي تَبيتُ لــه ســــــاهراً إذا وجَــدَ الحزمَ لم يَنتظِرْ
يُحرِّكُهُ تحتَ إســــــكانهِ ويكلؤه بعيــــونِ الحَـــذَرْ
ويَصقلــهُ من صَــدا شُــبهةٍ كصَقلِ القُيونِ الحُسامَ الذَّكَرْ
ويُرســـــلُهُ إنْ رأى فرصــةً كما أرســلَ المَنجنيقُ الحجرْ[٥٢]

وللشاعر نماذج اخرى كثيرة جيدة ، وأكثرها على هيئة مقطوعاتتركز فيها الافكار ، وتستقطب الصفات[٥٣] .

على أننا نجد أحيانا في هذا الضرب من شعره شيئا من التكلف الذي يهبط به الى مستوى أقل مما عرف به من جودة كقوله في القاسم :

يا ابنَ الوزير والوزير أتـــــا لِذاكَ رَجَّــاكَ فكيف كنتـــا
أغراكَ يا لجَرْيٍ فمــا وَقفتـــا ولا الى غيرِ العُلَى التفتـــا
حتَّى بلغتَ الآنَ ما بَلغتـــــا فدامَ فينــا سالمــاً ودُمتــا[٥٤]

٢ ـ **العتــاب :**

وظهر في شعره كثير من العتاب الذي وجهه الى قومه ، ومنهم العلويون او الطالبيون ، والى سواهم من اصدقاء ورجال دولة .

والعتاب من الفنون الدقيقة التي تحتاج الى مهارة خاصة وشـــروط معينة لكي يؤدي الغرض منه ، وهو استلال السخائم من الصدور واحـلال

---

(٥٢) الديوان (١/٤٤ـ٤٤٥) وانظر في مدح القاسم الديوان (١/٤١٤ـ٤١٥)
(٥٣) انظر على سبيل المثال الديوان الرقم ٣٧٦ .
(٥٤) الديوان (١/٤١٣) .

المحبة والوئام فيها محلها ، ولهذا فليس كل واحد من الشعراء يحسن هـذا الضرب او الفن من الشعر ، وربما انقلب ــ اذا لم يحسن استخدام الطرائق الخاصة به ــ الى عكس ما يتوخى منه • ونرى من المفيد الاستئناس في هذا الصدد بقول ابن رشيق في تعريف العتاب ، وطرائق الشعراءفيه ، قال : (العتاب ــ وان كان حياة المودة ، وشاهد الوفاء ــ فانـه باب من ابواب الخديعة ، يسرع الى الهجاء ، وسبب وكيد من أسباب القطيعة والجفاء ، فاذا قل كان داعية الالفة ، وقيد الصحبة ، وان كثر خشن جانبه ، وثقل صاحبه ، وللعتاب طرائق كثيرة وللناس فيه ضروب مختلفة ، فمنه مايمازجه الاستعطاف والاستئلاف ومنه ما يدخله الاحتجاج والانتصاف ، وقد يعرض فيـه المن والاجحاف مثل ما يشركه الاعتذار والاعتراف)[٥٥] •

والحقيقة ان الكثير من عتاب ابن المعتز ومنه ما كان في قومه او بني عمه كما أسماهم قد اشتمل على الاحتجاج والانتصاف بل اشتمل على التسامي والتهديد والوعيد والانذار لمن كان يعاتبهم الشاعر وهـذا الاحتجاج هو الذي دعا الصولي في اوراقه الى اغفال ما اعتذر به ابن المعتز الى العلويين فقد قال : (وله بعد هذا اعتذار كثير في قصائده الا انه خلط الاعتذار ببعض الاحتجاج فلم اذكره ، والذي ذكرته عنه هو آخر ما قاله)[٥٦] . والامثلة على هذا الضرب من العتاب في شعره كثيرة منها قوله :

وقولةِ أَقوام عِدىً قد سَمعتُها ... فما هِبتُها وأَين مَنْ أنا هائبُـه
إذا قامَ منهم ناطـقٌ قـامَ غيُّهُ ... يُجادلُـهُ عن خصمه ويُجاذبُـه
لحومُهُمُ لحمي وهمْ يأكلونَـهُ ... وما داهياتُ المرءِ إلاّ أَقاربُـه

(٥٥) العمدة (٢/١٦٠) .
(٥٦) الاوراق (٤ و) .

ليوثٌ إذا ما غابَ يفترسونه   وهمْ إنْ رأوهُ في النديِّ ثعالبُه
وإنّي وإياهُمْ وحلسَى عنهُمُ   كَفيءِ الأَصيلِ يغرقِ الارضَ ذائبُه(٥٧)

وقولـه :

بَني عمّنا أَيقظتم الشرَّ بيننا
فكانتْ إليكم عَدوةُ الشرِّ أَعجلا
فصبراً على ما قد جَررتُمْ فإنّكُم
فتحتُم لنا باباً من الشرّ مُقفلا
وما كنتُ أخشَى أنْ تكونَ سيوفُنا
تُردّد علينا بأسُها وتُقتّلا
ولمّا أَشبّوا الضِغنَ تحت صدورِهم
حَسمناهُ عنّا قبلَ أنْ يتكهّلا(٥٨)

ويبدو لنا ان الشاعر في هذين المثالين من عتابه ، وفي كثير سواهما قد جانب الطريقة المثلى في العتاب التي جاءت في قول ابن رشيق • ولعل السبب الذي دعاه الى هذا وخاصة في معاتباته للعلويين ، هو الصراع السياسي بين العباسيين ، الذي ينتمي اليهم ابن المعتز ، وبين العلويين ، وهو صراع قديم نشب بينهما منذ قيام الدولة العباسية •

على ان ابن المعتز اذا كان قد ابتعد عن الطريقة التي تزيل الاحقاد من القلوب في بعض عتابه ، كالذي سبق ، فان له عتابا آخر في بني عمومته الطالبيين يمتاز باللطف والدقة ، كقوله :

(٥٧) الديوان ٢/٢٨٣-٢٨٤) وانظر ايضا ٢/٣٨٢) •
(٥٨) الديوان (٢/٣٨٢) •

قُلْ لقريشٍ دعِي الإسرافَ واقتصدِي
إنَّ عليّاً وعبّاساً يَدِي ويدِي
إنْ تُسخطوهم تَروا أسيافَنا مَعهُمْ
إنّا وإياهمُ روحانِ في جسدِ[59]

اما عتابه للاخرين . فقد نحا فيه منحى لطيفا ، اختفى منه اثر التعالي والتفاخر ، فكان مجلبة للرضا . وداعية للود والصفاء ، كقوله في صديقه ابن المنجم :

يا ليتَ شعري والشفيق خائفْ
إذْ صرفتْكَ عَنّيَ الصوارفُ
وَغَرهُ دنيا طافَ منها طائفْ
فطرتَ عني وتَغشّى الجادفُ
هل ليَ من ذكراكَ يوماً قائفْ
وهلْ يعودُ ظلهُ عيشٍ سالفُ
إذْ ليسَ بالفُرقةِ منّا عارفْ
فالموتُ يدنو والرجاء واقفُ[60]

٣ ــ الهجاء :

ان علاقة ابن المعتز ببعض رجال عصره لم تكن ــ فيما يظهر ــ على وئام دائما ، وانما شيبت ببعض الكدر ، الامر الذي دفعه الى تجريح الكثيرين والنيل منهم ، وسلك في تجريحه هذا طريقين : احدهما ، هازل ساخر ، وقصره

(٥٩) نفسه (٢/٣٠٤) .
(٦٠) الديوان (٢/٣٦٥) .

على من كان يجالسه وينادمه من اصحابه[٦١] وثانيهما جـاد وخص بـه الاخـرين .

ويظهر انه ــ على الرغم من اكثاره القول في هذا الضرب من الشعر ــ لم يبلغ مستوى فن المشهورين به من الشعراء . ولعل السبب في هـذا ان نفسه لم تنطو على الحقد للناس والمجتمع . وهو عنصر مهم في هذا الفن ، كما انطوت نفوس غيره من شعراء هذا النوع من الشعر ، كبشار ودعبـل وابن الرومي .

لقد ثلب في شعره كثيرا ممن اختلف معهم او رأى فيهم هنات ومعايب او كانوا من غرمائه وخصمائه ، من إخوان وشعراء وادباء ومغنين ومغنيـات وبلدان وغير ذلك[٦٢] كما حمل ــ منطلقا مما شاع في بيئته ــ على الحساد والبخلاء والثقلاء ، وراح يصليهم بقوارص هجـائه ، من ذلك قولـه في الحسـود :

كـم حاسـدٍ حَنِقٍ علـيَّ بـلا جُرمٍ فلمْ يضـرِرني الحَنَـقُ
متضاحكٍ نحوي كما ضحكـتْ نارُ الذبالةِ وهـي تحتـرقُ[٦٣]

ولعل اشد هجائه وامضه واكثره حرارة وانفعالا ، هو ما قاله في غريمه ابن البقال المغني الذي استطاع ان يستحوذ على قلب حبيبته (شرة)، ويغيّره عليه ، ومن ثم الزواج بها ، الامر الذي اثار ابن المعتز ، وجرحـه جرحـا عميقا في نفسه وعواطفه ، وربما في رجولته ايضا ، فراح يصب جام غضبه على ابن البقال هذا ، ولعل خير ما يصور حفظيته عليه قصيدته التي اولها :

---

(٦١) من ذلك مداعباته ومعاتباته للنميري ، ولابن بشر .

(٦٢) انظر فن الهجاء في مواطن متفرقة .

(٦٣) الديوان ، (١/٦٩١) .

صاح ماذا ترى من الرأي قُلْ لي　　أطرقَ الدهرُ ثمَّ جاءَ بِصِلٍّ (٦٤)

والحق ان ابن المعتز لم يجنح في شعره هذا الى الفحش والبذاء ، او التصريح بالسوءات والعورات الا في القليل منه ، ولعل أخف ما صرح به من فحش قوله في مغنية :

وعابـدة لكـنْ تُصلـّي على القَفـا

وتدعـو برجليهـا إذا الليلُ أظلما (٦٥)

وحاول في موضعين من هجائه ان يجعل من مهجوه انثى ، ولعله جاري في هذا ابا العتاهية الذي يخيل الينا انه اول من نحا هذا المنحى في هجائـه لعبدالله بن معن بن زائدة . فقد هجا ابن بسطام بابيات اولها :

قُبِّحَ بِسطامٌ وبطـن حَملَـه　　وابنٌ له وابنُ ابنهِ ما أسفلَه (٦٦)

كما هجا النميري ايضا بأبيات اولها :

قـد غَضبـتْ بنتُ النُّميريَّـةِ　　ولي سـواها ألفُ سُرِّيَّـه (٦٧)

٤ ـ الرثـاء :

واخترم الموت كثيرا من أصحاب الشاعر او من كانت لهم اياد عليه مـن رجال الدولة في حياته ، فحزن عليهم وتأثر بفقدهم ، وراح يبكيهم ويندبهم ، فدل بذلك الى جانب المهارة والمقدرة الشعرية على وفائه لهم وحفظه لجميلهم بعد وفاتهم ، فرثى الموفق وابنه المعتضد وابنى وهب عبيدالله وابنه القاسم،

---

(٦٤) انظر الديوان (١/٧٠٥) وانظـر امثلة من قوله في البخـلاء والثقـلاء في مواطن متفرقة من الديوان .

(٦٥) الديوان (١/٧١٩) وانظر ايضا قوله في ابن عبدان (١/٧٣٤) .

(٦٦) الديوان (١/٧١٩) .

(٦٧) الديوان (١/٧٣٨) .

ويبكي أهله وآقاربه . كما رثى اصدقاءه من الادباء كعلي بن يحيى المنجم ، وابي الحسين بن ثوابة وغيرهما •

ان ما ترادف عليه من احداث ، وما توالى عليه من مصائب جعلاه سريع التأثر، مرهف الحس، كثير الشكوى من الدهر، فكان لا يفتأ في كثير من شعره، ولا سيما في هذا الضرب من شعره الاجتماعي يشكوه ويندد به لما جره عليه من ويلات واحزان ، بفقد اهله واحبابه واخلائه وكثيرا ما كان يعمد الى صفات المرثي واعماله فيتخذ منهما مادة للاشادة والتأبين ، كما كان يتخذ من مصارع من كان يرثيهم دليلا على عدم البقاء ، ومن ثم فعلى الانسان ان يعمل صالحا في حياته ما وسعه ذلك •

ان كثيرا من شعره في هذا الضرب يفيض بالمشاعر الصادقة وينبض بالعواطف الحارة . ويسمو الى مستوى شعر المراثي الجيد •

وعلى الرغم من ابن المعتز قد سلك في عامة رثائه مسلك المحدثين فيه ، فانه قد جرى في مرثيته لابيه على سنة الاقدمين التي ذكرها ابن رشيق بقوله : (ومن عادة القدماء ، ان يضربوا الامثال في المراثي بالملوك الاعزة والامم السالفة . والوعول الممتنعة في قلل الجبال ، والاسود الخادرة في الغياض ، وبحمر الوحش المتشرفة بين القفار ، والنسور ، والعقبان والحيات ، لبأسها واعمارها . وذلك في اشعارهم كثير موجود لا يكاد يخلو منه شعر • قال ابو علي : فأما المحدثون فهم الى غير هذه الطريقة اميل ، ومذهبهم في الرثاء امثل ، في وقتنا هذا وقبله ، وربما جروا على سنن من قبلهم اقتداء بهم واخذا بسنتهم ، كالذي صنع ابو ذؤيب ••• وكما صنع ابن المعتز يرثى اباه بالقصيدة :

رُبَّ حتفٍ بينَ أثناءِ الأَمَلْ   وحياةُ المرءِ ظلٌّ مُنتقِلْ

وهي أيضا معروفة . ولولا اشتهار هذه القصائد ووجودها وخيفة التطويل بها . لاثبتها في هذا الموضع)[٦٨] .

لقد رثى ابن المعتز الكثيرين ـ كما اسلفنا ـ وكان في رثائه لهم يصدر عن نفس متأثرة حزينة متألمة[٦٩] ، على ان خير مراثيه واجودها وأكثرها حرارة وشبوب عاطفة هي التي انشأها في المعتضد الذي كان يجد فيه الشخصية المثلى التي ظهرت في عصر كان يسوده الاضطراب وتنتابه الفتن ، وقصيدته الدالية تعد من اروع مراثيه فيه ، وتقف في صف أجود المراثي في الشعر ، وقد استفهم فيها كثيرا عما كان عليه الخليفة في حياته . من قوة وهيبة ، وما احتازه من كنوز . وشيده من قصور ، وما اقتناه من حسان ، وافناه من اعداء ، وان هذه كلها ذهبت بذهابه ، وكأنها لم تكن شيئا مذكورا .

يا ساكنَ القبرِ في غبراءَ مظلمةٍ
بالطّاهريّةِ مُقصَى الدارِ مُنفردا

أينَ الجيوشُ التي قد كنتَ تَسحبُها
أينَ الكنوزُ التي أحصيتها عَدَدا

أينَ السريرُ الذي قد كنتَ تَملأُهُ
مَهابةً من رأتْهُ عينُهُ ارتعدا[٧٠]

الشعر السياسي :

من الطبيعي ان يتجه ابن المعتز وهو العباسي النسب والدم والعقيدة والهدف بشعره هذا الاتجاه ، فينشط للذود عن الخلافة والخلفاء ويناضل خصومها وهم كثر في الحقبة التي عاشها .

---

(٦٨) العمدة ٢/١٥٠) وانظر الديوان (٣/٨٠) .

(٦٩) انظر على سبيل المثال رثاءه لابي محمد بن المتوكل الديوان (٣/٣١ ، ٣٣) . وعبيدالله بن سليمان (٣/٣٣-٣٤ ، ١٧٦) ولعلي بن يحيى المنجم (٣/٤٠-٤٤) .

(٧٠) الديوان (٣/٢١) .

ويمكن القول انه ناهض في شعره هذا ثلاث فئات : الاولى وتشمل الخارجين على الخلافة والمناوئين للخلفاء ، والثانية وتشمل من حاول النيل من العرب مما يمكن ان تسمى الشعوبية ، والثالثة وتضم العلويين (او الطالبيين)• وقد مر بنا ان الخلافة العباسية تعرضت منذ مقتل المتوكل الى هجوم الكثيرين من الخارجين عليها ، كما تعرضت الى ثورات عنيفة ، وقد نشط الخلفاء لاخماد تلك الحركات والقضاء على العصاة والمنشقين ، بما جهزوا من جيوش ، وندبوا من ابطال •

وقد وقف ابن المعتز الى جانب الخلفاء للرد على اولئك الخارجين والنيل منهم مسفهاً أعمالهم ، ومنددا بعصيانهم ، ومؤيدا اعمال الخلفاء فيهم •

ويبدو ان اهتمام ابن المعتز بمهاجمة مناوئي الخلافة بدأ منذ أواخر عصر المعتمد ، فقد هجا أبا الصقر اسماعيل بن بليل وزير المعتمد الذي نكل به الخليفة في أواخر ايامه ، متهما اياه بالسعي للنيل من الخلافة في قوله :

قلْ لِلشَكورِ وقعتَ في الفَخِّ
وخضعتَ بعدَ التيهِ والشَّمْخِ

وأردتَ تنقضُ دولةً رسَختْ
عشرينَ حولاً أيَّما رَسْخِ [٧١]

وأخذ اتجاه ابن المعتز السياسي يتضح ويقوى بعد اتصاله بالمعتضد وابنه المكتفي فأنبرى يسجل الكثير من اعمالهما العسكرية ، ويؤيد ما يوقعانه في خصومهما من تشتيت وتنكيل • ففي سنة (٢٨١هـ) خرج المعتضد الى الموصل وعرج على قلعة ماردين وفتحها ، ثم عاد الى بغداد ، فسجل ابن المعتز هذا الحادث بقصيدة قال فيها :

---

(٧١) الديوان (٦٣٨/١) •

اقدَمْ أميرَ المؤمنينَ على الرضـا   واسلمْ لإهلاكِ العدوِّ المـارقِ
أسَدٌ بدا من خِيسه فتضعضعتْ   منه الثعالبُ قبلَ شَدٍّ صادقِ
حتّى إذا عرفوا الهُدَى ورمتْ يدٌ   ما جَمَّعتْ لِمُخاتلٍ ولسارقِ
شامَ السيوفَ وقد رأينَ مواقعاً   في أرؤسٍ وكواهلٍ وعواتقِ (٧٢)

وخرج في سنة (٢٨٦هـ) أيضا الى الموصل واتجه الى آمد ففتحها ، وتلقى الشاعر هذا النبأ بالاستبشار وراح يثنى على عمل الخليفة ويؤيده في قوله :

اِسلَمْ أميرَ المؤمنينَ ودمْ   في غبطةٍ وليَهنكَ النصرُ
فلرُبَّ حادثةٍ نهضتَ لها   متقدِّماً فتأخّرَ النصرُ
ليثٌ فرائسهُ الليوثُ فما   يَبيضُّ من دمها له ظُفْرُ
سحبَ الجيوشَ فكم بها فُتحتْ   بعدَ التمنّعِ ـ بلدةٌ بِكرُ
ما رَدَّ عن متحصنٍ يدَهُ   إلاّ وقلعتُهُ له قبرُ (٧٣)

وأتى بأحد العصاة الى بغداد في سنة (٢٨٧هـ) وهو صالح بن مدرك الطائي الذي كان قد تعرض للحاج وفتك بهم وأخذ جماعة من النساء والحرائر، فقتله الخليفة وصلبه وحبس اصحابه في المطامير ، فقال ابن المعتز في هذا الحدث :

فرّقت بالسيفِ يا أعلى الملوكِ يداً   عن ابنِ مدركٍ الطائيِّ ما جمعا
كم من عدوٍّ أبحتَ السيفَ مهجتَهُ   والسيفُ أحسمُ للداءِ الذي امتنعا
حملتَهُ فوق ضِرْفٍ لا يَسيرُ بهِ   كأنَّهُ فارسٌ في قوسهِ نَزَعا

---

(٧٢) الديوان ١٠/٤٧٩ .
(٧٣) الديوان ١٠/٤٤٨ .

دَسستَ كيــداً لـه يَخفـى مسـالكُهُ
يَقْظانَ يَســري إذا كيدُ العدا هَجعا[٧٤]

وكان بين آل طولون وبين الموفق والد المعتضد خلاف منذ عهد المعتمد ويبدو انهم كانوا يميلون الى المعتمد هذا فأغروه بالانتقال الى مصر والتخلص من هيمنة أخيه الموفق عليه . فقبل المعتمد هذا وخرج من سامراء في سنة٢٦٦هـ قاصدا الشام ، ولكنه فشل في رحلته هذه ، اذ أن اخاه الموفق شعر بذلك فكتب الى عامل الموصل باعادته الى مقره سامراء فأعيد[٧٥] واوعز الموفق بلعن آل طولون فلعنوا في المساجد . وبقي الخلاف بين الطولونيين وبين الخلافـة العباسية قائما حتى في عهد المعتضد . ووقعت بين جيوشهما معارك كثيرة .وفي سنة ٢٨٢هـ جرت محاولة لتخفيف حدة الشقاق والخلاف بين الطرفين بتزويج ابنة خمارويه الطولوني من الخليفة المعتضد . ويبدو ان نهاية الطولونيين كانت في سنة ٢٩٢هـ حين قتل آخر حاكم منهم وهو هارون بن خمارويه وحمل مابقي منهم الى بغداد[٧٦] .

ووقف ابن المعتز من الطولونيين وبخاصة من خمارويه موقفا سلبيافثلبهم وشمت بمصائبهم كما أشار الى ما ارسل لقتالهم من جيوش . فقال :

أتيناكمُ يا آلَ طولونَ بالقنـا ... وبالبيضِ لا يَسألنَ غـيرَ ضرابِ
سَنستأذنُ القرآن فيمـا فعلتمُ ... ونقضِي بحـقٍ فيكمُ وصوابِ
وهل أنتمُ إلاّ أناملُ قـلّـِمتْ ... وأسنانُ عَنزٍ لا تَعضُّ بنـابِ
عبأنا لكم جيشاً تجيشُ جموعـُهُ ... إليكم بآسادٍ واشبلِ غـابِ

(٧٤) نفسه (١/٤٧٤) .
(٧٥) انظر الطبري (١١/٢٩٩) .
(٧٦) انظر الطبري (١٠/١١٩) .

فهلْ لكمْ في انفسٍ قبلَ قتلِها ... وفي العفو منّا قبل سوطِ عذابِ
وإلاّ فطعنٌ في الجوانحِ والكلى ... وتفليقُ هاماتٍ وضربُ رقابِ[77]

وقال شامتا بمقتل خمارويه :

قد سَرّني بالغُوطتينِ دمٌ ... باللهِ أحلفُ أنّهُ رجسُ
يا عامرَ الخَلواتِ كيفَ ترى ... لو يستطيعُ لَمجَّكَ الرَّمسُ
للهِ دَرُ فتىً تَعشّدَهُ ... لا مسّهُ شَلَلٌ ولا تَعْسُ[78]

وردّ ابن المعتز في عنف على يحيى بن علي المنجم الذي حاول التعريض بالعرب وبقريش خاصة متذرعا بالحجة التي كثيرا ما تذرع بها من تصدى لمهاجمة العرب ، وهي ان الفضل بالدين وليس بسواه ، ومدعيا ان الفرس من نسل اسحاق في أبيات يقول فيها :

أَيا بني هاجرٍ أتبّاً لكم ... ما هذهِ الكبرياءُ والعظَمه
نازعتمُ اللهَ ثوبَ عزتِهِ ... فأنتمْ باعتدائِكُمْ أثمَه
ألم يكنْ في القديمِ أمُّكُمْ ... لأمُنا سارةَ (الجمال) أمَه
والمُلكُ فينا والانبياءُ لنا ... إنْ تُنكروا ذاك تُوجدوا ظَلَمَه
إسحاقُ كان الذبيحَ قد أجمـ ... ـعَ الناسُ عليه الإدعاءُ لِمَه
والأصرحُ الأصبحُ الذي امتحنَ الله أباه فيه وصانَ دمَه
قلتُمْ قريشٌ والفضلُ بالدينِ لا الانساب إنْ كنتم قريشاً فَمَه
أمّا بنو يعربٍ فليسَ كمنْ أسكنَهُ اللهُ آمناً حُرَمَه
ولا كأحرارِ فارسَ إذْ هُم الأرؤسُ مثلُ الأسودِ في الاجَمَه[79]

---

(77) الديوان (1/616) ، وانظر ايضا (1/645) .
(78) الديوان (1/672-673) وانظر ايضا (1/715) .
(79) الاوراق قسم اخبار المقتدر (223ظ) .

وجاء رد ابن المعتز على ابن المُنجم هذا في ثلاث قصائد ومقطوعة فنَّدَ فيها مزاعمه وأبطل دعواه ، وحمل على الفرس حملة عنيفة • ويبدو ان الذي أثار حفيظة ابن المعتز هو ما كان يلمسه في ابن المنجم الذي كان صورة مصغرة لما كان يبطنه غيره من الفرس للعرب من حقد وحسد ، وكان الكثيرون منهم يداهنون ويتظاهرون بالولاء ، ولكنهم كانوا في قرارة نفوسهم يتمزقون غيظا وضغينة[٨٠] •

والجدير بالذكر ان ابن المنجم هذا كان احد اصدقاء ابن المُعتز وله فيه وفي اسرته مدائح ، كما له في ابيه مراث • ويبدو ان حملته عليه كانت في أواخر أيامه . ويبدو كذلك ان ابن المنجم لم يحاول الرد على ابن المعتز ، ولكنه قال فيه قصيدة بعد موته اظهر فيها تشفياً وشماتة •

لقد رد ابن المعتز ــ كما اسلفنا ــ ردا عنيفا على ابن المنجم ، ونكتفي مما قاله فيه بهذه الابيات وهي من قصيدة له طويلة :

عَجِبتُ لنـابحٍ منّتـهُ نفسٌ	مُراداً دونهُ أمدٌ بعيـــدُ
تَمتِني للرفيـعِ مـن المعـالي	جـدودٌ لا يُعدلـهـا نديدُ
فإنْ أنكرتُمُ من ذاك أمـراً	فأطرافُ الرماحِ لهمْ شهودُ
صبيحةَ يومِ ذي قارٍ وأنتـمْ	قتيلٌ أو جريحٌ أو شـريدُ
كساهم ذلك الاصباحُ ليـلاً	طويلَ العمرِ ليسَ لـه عمودُ
ويومَ القادسيةِ لو تحـاموا	على أهلٍ وللهيجـا وقودُ

---

(٨٠) من اولئك مثلا ابراهيم بن ممشاذ الاصبهاني الذي كان يكتب للمتوكل واتصل في عهد المعتمد باحد الخارجين على الخلافة ، وانشا قصيدة في ثلب العرب والنيل منهم ، أشبه بما انشأه بشار وغيره من شعراء الشعوبية (انظر معجم الادباء (١٠/١٦) .

فخرتَ بفارسٍ سَفَهاً وجهلاً كأنّكَ من مرازبها تَليدُ

نَبيطٌ يدّعونَ الى مَجوسٍ فلا كانَ المسوَّدُ والمَسودُ(81)

على ان أهم ما في شعره السياسي هو ما قاله في العلويين (او الطالبيين) والعلاقة بين العباسيين والعلويين معروفة فهي علاقة خلاف وتوتر منذ قيام دولة بني العباس • والسبب الذي يعود اليه هذا الخلاف هو في جوهره واصله السيطرة والحكم • فكل منهما يرى نفسه احق بالخلافة . ومن اجل هذا راحا يتنازعان هذا الحق ويخوضان في تأييده والتمسك به كثيرا من المنازعات مرة بالسيف . ومرة باللسان • ومن يستعرض تاريخ الدولة العباسية منذ تأسيسها حتى نهايتها يجد هذا الخلاف يأخذ ألوانا من العنف والهدوء ولكنه في كل أحواله خلاف على السلطة • وكان العلويون ينتهزون كل فرصة لاعلان خلافهم على أبناء عمومتهم . وكانت ثوراتهم مستمرة في انحاء مختلفة من اقطار الدولة ، بل لجأ بعض من أصحاب الثورات الى انتحال نسب العلويين تغطية لثوراتهم وكسبا لعطف المؤيدين لهم ، ولعل ثورة الزنج ، وحركة القرامطة خير مثالين لهذا •

وكان العباسيون متيقظين لكل حركة تبدر من العلويين في أي نقطة كانت من دولتهم ، فكانوا يسرعون في القضاء عليها ، والتنكيل بأصحابها ، ومن يتصفح كتاب (مقاتل الطالبيين) لابي الفرج الاصفهاني يجد زحمة اسماء من خرجوا من العلويين في عهد بني العباس ، وما نالوه على ايديهم من قتل وتشتيت •

---

(81) الديوان (1/645-649) وانظر أيضا (1/630 • 722-725) •

غير ان ثورات العلويين كانت قد خفت في عهود بعض الخلفاء العباسيين كالمأمون والمعتصم والواثق ، كما كان بعضهم يحدب عليهم ويميل اليهم كالمنتصر[٨٢] .

ولعل أشد ما لاقوه من اعنات كان في عهد المتوكل ، والذي يرجع في أساسه الى السياسة أيضا[٨٣] ، ويبدو انه لم يظهر شاعر آخر منذ عهد مروان بن ابي حفصة أكثر مناهضة للعلويين . وتأييدا للعباسيين من ابن المعتز وقبل ان نسترسل في الحديث عن شعره السياسي هذا نرى ان نقف عندنقطتين مهمتين في هذا الامر . اولاهما لماذا اندفع الشاعر هذا الاندفاع لمناوئة العلويين والنيل منهم ، وثانيهما متى بدأ هذا الاندفاع او القول في مهاجتهم ؟ .

---

(٨٢) يقول الاستاذ خفاجي في كتابه ابن المعتز وتراثه في الادب (١٥) : (وسرت في الدولة بعد المتوكل موجة من اضطهاد العلويين والشيعة . فالمنتصر كان يقاوم العلويين كابيه . وتذكر بعض المصادر انه اراد ـ ان يحسن صلته بالبيت العلوي . ولكن لم تطل مدته) . والحقيقة ان المنتصر حاول التقرب من العلويين ولم يكن مقاوما لهم . فقد جاء في اخبار البحتري (١٠٠-١٠١) : (لما تمت بيعة المنتصر كان اول شيء عمله ان عزل صالح بن علي عن المدينة وولاها علي بن الحسين بن اسماعيل ابن العباس بن محمد وقال له : انما وليتك لتخلفني في بر آل أبي طالب وقضاء حوائجهم ورفعها الي . فقد نالتهم جفوة . وخذهذا المال ففرقه فيهم وفي اهلك على اقدارهم ، فقال سأبلغ بعون الله رضا امير المؤمنين ، قال اذن تسعد بذلك عند الله تعالى وعندي . واحب المنتصر ان يشتهر فعله ذلك ويمدح به فكان اول من فطن له البحتري فأنشده تبسم عن عن واضح ذي أشر . وفيها :

وآل ابى طالب بعد ما ... اريغ بسربهم فابذعر

فوصله واجزل ، ولم يكن يصل الشعراء الا قليلا .

(٨٣) نظر البحتري في سامراء حتى نهاية عصر المتوكل ١٦٥ .

يرى بعض الدارسين فيما يتعلق بالنقطة الاولى ان الشاعر (قد ورث روح التعصب على العلويين عن اسرته وجده المتوكل فأكثر في شعرهمن حجاجهم ودفعهم عن الخلافة والدعوة الى الانتقام من الثائرين منهم ..)[٨٤] ولا ندري هل ان التعصب على الآخرين يورث كما تورث صفات العيون او البشرة او الامراض ؟ . ويرى آخر ان اندفاع الشاعر كان بايعاز من الخليفة المعتضد حين رأى استشراء شر القرامطة[٨٥] .

---

(٨٤) ابن المعتز وتراثه في الادب (١٦) للاستاذ خفاجي .

(٨٥) انظر : ابن المعتز العباسي (١٣٢) للدكتور احمد كمال زكي . والجدير بالذكر ان الطبري يشير في تاريخه (٤١/١٠) الى حادثة وقعت لاحد العلويين في عهد المعتضد تشير الى رضاه عن العلويين ومسامحته لهم ، ونرى من المفيد اثباتها هنا : (وفيها (اي سنة ٢٨٢هـ) وجه محمد ابن زيد العلوي من طبرستان الى محمد بن داود العطار مائتين وثلاثين الف دينار ، ليفرقها على أهله ببغداد والكوفة ، ومكة والمدينة ، فسعى به . فاحضر دار بدر ، وسئل عن ذلك . فذكر انه يوجه اليه في كل سنة بمثل هذا المال فيفرقه على من يأمره بالتفرقة عليه من اهله ، فاعلم بدر المعتضد بذلك . واعلمه ان الرجل في يديه والمال واستطلع رأيه وما يأمر به . فذكر عن ابى عبدالله الحسني ان المعتضد قال لبدر: يا بدر . أما تذكر الرؤيا التي خبرتك بها ؟ فقال : لا يا امير المؤمنين ، فقال : ألا تذكر أني حدثتك ان الناصر دعاني ، فقال لي اعلم ان هذا الامر سيصير اليك فانظر كيف تكون مع آل علي بن ابى طالب ثم قال: رأيت في النوم كاني خارج من بغداد اريد ناحية النهروان في جيشي ، وقد تشوف الناس اليّ اذ مررت برجل واقف على تل يصلي ، لا يلتفت اليّ ، فعجبت منه ومن قلة اكتراثه بعسكري مع تشوف الناس الى العسكر . فاقبلت اليه حتى وقفت بين يديه ، فلما فرغ من صلاته قال لي : اقبل . فاقبلت اليه ، فقال : أتعرفني ؟ قلت : لا قال انا علي بن ابى طالب ، خذ هذه المسحاة ، فاضرب بها الارض ــ بمسحاة بين يديه ــ فاخذتها فضربت بها ضربات ، فقال لي : انه سيلي من ولدك هذا الامر بقدر ما ضربت به ، فأوصهم بولدي خيرا ، قال بدر : فقلت : بلى يا امير المؤمنين ، قد ذكرت ، قال : فأطلق المال واطلق

ولعل اندفاعه في هذا الامر كان وليد نزعته العباسية في كل شيء : النسب والدم والعقيدة والهدف كما أسلفنا ، وانه كان يرى مصيره مرتبطا بالحفاظ على بقاء الخلافة في آله وأسرته . بل لعل اندفاعه أيضا كان منبعثا مما كان يراوده من أمل في صيرورة الامر ومآله اليه في يوم من الايام ؟

ومن المحتمل ان تكون هناك أسباب اخرى في مناهضته للعلويين وحملته عليهم ، فقد أشار الصولي في اوراقه الى مفاخرته بني عمه الطالبيين بقوله : (وكان يرى انهم يناقضونه الشعر فكان قوله يمضي على ذلك وتمر له الابيات يتأوّل فيها شيئا فيتأوّل اعداؤه غير ذلك . ويحمل الشعر المعنيين حتى اجتمع اليه جماعة من الطالبيين منهم أبو الحسين محمـــد بن الحسن المعروف بابن البصري ، وكان يجالسه على قديم الايام ، ومنهم القاسم بن اســماعيل ، فحلفوا له انه ما يقول هذه الاشعار احد منهم فتندم على ما كان من قوله . على اني وجدت عنده أشعارا يُتَكَذَّبُ فيها على العباس ، رضي الله عنـه وعلى أفاضل ولده وعلى الخلفاء رحمة الله عليهم أكثرها لم يظهر ، وكان يقول

الرجل وتقدم اليه ان يكتب الى صاحبه بطبرستان ان يوجه ما يوجه به اليه ظاهرا . وان يفرق محمد بن داود ما يفرقه ظاهرا وتقدم بمعونة محمد على ما يريد بذلك) .

وجاء في مروج الذهب، ص ٣٨١ طبعة مصر سنة ١٠٨٣هـ ما هـذا نصه (ولما ظهر قتل محمد بن هرون لمحمد بن زيد العلوي اظهر المعتضد لذلك النكير والحزن تأسفا على قتله) . واشار ابو الفرج الاصفهاني في (مقاتل الطالبيين) الى انه لم يقتل في عهد المعتضد سوى محمد بن زيد هذا ومحمد بن عبدالله بن محمد الذي حبس منذ ايام صاحب ثورة الزنج فمات في خلافة المعتضد في حبسه (انظر ص ٦٩٤) . ومعنى هذا ان عهد المعتضد لم يكن عهد ضغط على العلويين أو تنكيل بهم وقد اشار الاستاذ خفاجي الى هذا فقال (ان عهد المعتضد كان عهد خير على العلويين . اذ لم يتعرض في ايامه لهم ولا آذاهم ولا قتل منهم احدا) (ص١٦) .

من عذيري من الناس يأتيني مثل هذه الاشعار فأجيب بتعريض عن مائة كلمة قد صرح بها كلمة فأنسب الى ما أنسب اليه)[٨٦] .

وواضح من هذا النص ان هناك من كان يناقضه في شعره من الطالبيين ، كما ان هناك من كان يتكذب على العباس وعلى افاضل ولده وعلى الخلفاء ، واكبر الظن ان جده المتوكل الذي عرف باضطهاده للعلويين قد نال القسط الاكبر مما كان يتكذب به على الخلفاء . ولعل والده المعتز قد شمل بهذا التكذب أيضا ؟ غير اننا لم نقف على معارضة الآخرين له ولا على ما كان يشاع او يتكذب به على اسرته وآله في عهده . ومن غير شك ان هذين الامرين كانا مما يؤججان في نفسه نار الحقد ، ويزجيان به الى المناهضة والمنافحة .

أما متى بدأ ابن المعتز يهاجم العلويين وينال منهم . ويدفع عنهم ما كانوا ينشدونه من منصب الخلافة ؟ فالحق انه ليس من السهل الجزم في تحديد الوقت الذي بدأ فيه الشاعر مهاجمة العلويين او الطالبيين ، اذ ان له شعرا كثيرا هاجمهم فيه ، وكان من جملته ما قاله في القرامطة الذين بدأوا يضغطون على الخلافة منذ عصر المعتضد واشتدت شوكتهم في عهد ابنه المكتفي حتى خرج بنفسه لقتالهم .

وقد مر ان بعض الدارسين يرى ان الذي اوعز او فوض لابن المعتز القول فيهم هو المعتضد ، ولكن لم يحدد السنة التي بدأت شدة هذه الوطأة .

ومن الجدير بالاهمية أن نشير الى أن شعر ابن المعتز في المعتضد ما عدا ارجوزته فيه التي يحتمل جدا انه نظمها بعد وفاته[٨٧] لم يتضمن أية اشارة الى العلويين او القرامطة ، ولعل السبب في هذا ان القرامطة وزعماءهم لم يعلنوا نسبتهم الى العلويين الا في عهد ابنه المكتفي ـ ومما يؤيد

---

(٨٦) الاوراق ص ١٠٧ـ١٠٨ .

(٨٧) انظر ص ٢٥٢ وما بعدها .

هذا ما ذكره الطبري في حوادث (٢٨٩هـ) وهي السنة التي توفي فيها المعتضد واستخلف ابنه المكتفي ، فقد جاء ما نصه : (ذكر ان زكرويه بن مهرويه الذي ذكرنا انه كان داعية قرمط لما تتابع من المعتضد توجيه الجيوش الى من بسواد الكوفة من القرامطة ، وألح في طلبهم وأثخن فيهم القتلى . ورأى انه لا مدفع عن أنفسهم عند أهل السواد ولا غناء ، سعى في استغواء من قرب من الكوفة من أعراب اسد وطيء وتميم وغيرهم من قبائل الاعراب . ودعاهم الى رأيه ، وزعم لهم ان من بالسواد من القرامطة يطابقونهم على أمره ان استجابوا له ، فلم يستجيبوا له ، وكانت جماعة من كلب تخفر الطريق على البر بالسماوة فيما بين الكوفة ودمشق على طريق تدمر وغيرها ، وتحمل الرسل . وامتعة التجار على أبلها ، فأرسل زكرويه اولاده اليهم، فبايعوهم وخالطوهم. وانتموا الى (علي بن ابي طالب والى محمد بن اسماعيل بن جعفر) فبايعوا في آخر سنة (تسع وثمانين ومائتين) بناحية السماوة ابن زكرويه المسمى بيحيى والمكنى أبا القاسم ولقبوه الشيخ ... وزعم لهم أن اباه المعروف بأبي محمود داعية له ، وان له بالسواد والمشرق والمغرب مائة الف تابع وان ناقته التي يركبها مأمورة ... وانحازت اليه جماعة من بني الاصبغ واخلصوا له وتسموا بالفاطميين ، ودانوا بدينه ...) وذكر الطبري أيضا انه بعد مقتل الشيخ هذا (اجتمعت موالي بني العليص الى بني العليص ومن معهم من الاصبغيين على نصب الحسين بن زكرويه أخي الملقب بالشيخ فنصبوا اخاه.. فأظهر شامة في وجهه ذكر انها آيته ، وطرأ اليه ابن عمه عيسى بن مهرويه المسمى عبدالله.. فلقبه المدثر — وعهد اليه — وذكر انه المعني في السورة التي يذكر فيها المدثر، ولقب غلاما من اهله المطوق وقلده قتل اسرى المسلمين وظهر على المصريين ، وعلى جند حمص وغيرها من اهل الشام (وتسمى بأمرة المؤمنين على منابرها) وكان ذلك كله في (سنة تسع وثمانين وفي سنة تسعين)[٨٨] .

(٨٨) تاريخ الطبري (١٠/٩٤-٩٦) .

ولعل ما يؤيد هذا ايضا قول الصولي الآنف الذكر (ثم حدث له في آخر أيامه شعر فيه مفاخرة لاهله وبني عمه الطالبيين ...) ولعل قوله (آخر أيامه) يريد به السنوات الاخيرة من عمره وهي التي اشتدت فيها مهاجمته للعلويين ، والتي لا نحسبها تمتد الى ابعد من سنة ٢٨٩ هـ .

وهناك شيء آخر ينبغي ان نشير اليه في هذا الصدد ، وهو ان لابن المعتز قصيدة يعتذر فيها للطالبيين ، ويمدح الامام علياً يقول في مطلعها :

رثيتُ الحجيجَ فقال العُداةُ سبَّ علياً وبنتَ النبي[٨٩]

فمن هم الحجيج الذين رثاهم ابن المعتز ، ولماذا رثاهم ؟

تعرضت قوافل الحج الى السلب والنهب والقتل من الخارجين على الخلافة مرتين : الاولى في سنة ٢٨٥هـ في عهد المعتضد وكان الذي تعرض لها هو صالح بن مدرك الطائي ومعه الطالبيون فقتل الرجال ونهب الاموال وسبى النساء ويبدو انها كانت حادثة مؤلمة حتى كانت العرب ترتجز في ذلك اليوم وتقول :

ما أنْ رأى الناسُ كيومِ الأجفرْ الناسُ صرعَى والقبورُ تحفرْ[٩٠]

وتعرضت هذه القوافل مرة اخرى الى القتل والنهب والسبي في سنة ٢٩٤ هـ في عهد المكتفي وكان الذي تصدى لها واوقع فيها هو زكرويه بن مهرويه كبير رؤساء القرامطة ، ويظهر انها لاقت من الشدة والعنت اكثر مما لاقته القوافل الاخرى[٩١] .

---

(٨٩) الديوان ١/٤٠٩ .
(٩٠) مروج الذهب (٣٧٦) الطبعة المصرية لسنة ١٠٨٣هـ .
(٩١) انظر الطبري ١٠/١٣٠–١٣٣) .

وحين نرجع الى شعر ابن المعتز للوقوف على رثائه لهؤلاء الحجيج فاننا لا نجد من ذلك شيئا ، اللهم الا هذه الابيات التي جاءت في ارجوزته المُعتضدية والتي يقول فيها :

فكم مُلبٍّ أشعثٍ قد احرَمـــا	يَرجو من اللهِ العطاءَ الأعظمـــا
جاءَ الى الكعبةِ من أرمينيـــه	ومن خُراسانَ ومــن أفريقيـــه
وعابدٍ جاءَ من الشامـــــاتِ	قد ســارَ في البرِّ وفي الفراتِ
فهمْ كـــذاكَ ســائرون ظهرا	اوِ تحتَ ليلٍ أو ضحىً او عصرا
اذْ قالَ قد جاءكمُ الأعـرابُ	وكثُرَ الطعــانُ والضِـرابُ
وصارَ في حجّهمُ جهـــــادُ	واحمرّتِ السيوفُ والصِعـادُ
وصالحٌ يُســعرُ نارَ الحربِ	في شرِّ أعــوانٍ وشــرِّ صحبِ
فكمْ أباحَ من حـــريم ممنوعْ	وكمْ قتيلٍ وجريحٍ مصـــروعْ
وكمْ وكمْ من حرّةٍ حواهـــا	سَـبيَّةً وزوجُها يَراهـــا
وتاجرٍ عريانَ يدعو بالحَرَبْ	لا مالَ أبقـاهُ له ولاسَلَبْ(٩٢)

وواضح ان هذه الابيات لا تنطوي على ما يوجب أن يتهم به الشاعر (بسب علي وبنت النبي) في رثائه للحجيج ، كما يقول ، بل انها لا يمكن ان تعد رثاء على الحقيقة •

والجدير بالاهمية ، ان ابن المعتز لم يشر الى هؤلاء الحجيج الذين تعرض لهم ابن مدرك حين جيء بهذا في سنة ٢٨٧هـ أسيرا الى بغداد في قصيدته التي امتدح بها المعتضد وهنأه على قضائه على ابن مدرك هذا •

والذي نرجحه ان الشاعر قد رثى الحجيج الذين تعرض لهم زكرويه وهاجم فيه العلويين او الطالبيين هجوما عنيفا ، وان الشعر الذي رثاهم به ونال

(٩٢) الديوان (١/٥٦٩ـ٥٧٠) •

فيه من الطالبيين بحيث اتهموه (بسب علي وبنت النبي) قد سقط من ديوانه، او أسقطه الصولي مداراة للطالبيين ومحاباة لهم ، ولعل ما يقوّي هذا ان الصولي يشير الى انه قد اسقط بعض شعر ابن المعتز الذي يعتذر فيه للطالبيين بسبب خلطه الاعتذار ببعض الاحتجاج[٩٣] • فقد أشار الى قصيدة ابن المعتز التي يعتذر فيها من هجاء الطالبيين والتي أولها :

رثيت الحجيجَ فقالَ العدا ة سَبَّ عليّاً وبنتَ النبيّ

بقوله : (ومن أشعاره التي كانت في آخر أيامه ما أنشدنيه لنفسه) وذكر هذه القصيدة • ومعنى هذا ان نظمها كان في أواخر سنة ٢٩٥هـ ، مما يدل على انه انشأها بمناسبة مهاجمة زكرويه للحجيج في سنة ٢٩٤ ، وهي حادثة جديدة جديرة بالتنويه ، في حين ان الحادثة الاولى وقعت للحجيج في سنة ٢٨٥هـ على يد الطائي . وهي فترة بعيدة لا تثير في العادة ملاحظة الشاعر او التنويه عنها •

واذا صحّ كل ما تقدم فان مهاجمته للعلويين او الطالبيين بدأت على الارجح في اول خلافة المكتفي او بعدها بقليل[٩٤] •

لقد تصدى ابن المعتز في عنف للعلويين وجهد بكل طاقته وأدبه ان يندد بثوراتهم . ويفند حججهم ، ويبطل دعاواهم ويستظهر عليهم بمآثر اسرته وآنه من بني العباس •

ويظهر انه خص العلويين اولا — دون ان يسلك معهم القرامطة ، ثم تعرض للقرامطة بعد أن أعلنوا نسبتهم الى العلويين كما قدمنا •

---

(٩٣) انظر ص ١٤٨ من هذه الدراسة .

(٩٤) من الجدير بالذكر ان ابا الفرج الاصفهاني يشير في دفاعه عن ابن المعتز الى ان بعضهم كان يشنع على آل ابي طالب عند المكتفي فنهاهم عن ذلك (١٠/٢٧٦) . ولعل هذا كان في بدء خلافته ، ولكنه على الاكثر كان راضيا عن مهاجمة ابن المعتز للطالبيين بعد ان رأى اشتداد شوكة القرامطة وتهديدهم للخلافة وتسمية بعضهم بأمير المؤمنين كما اسلفنا.

وقد ضرب كثيرا على وتر فضائل أسرته وبخاصة جده العباس عم الرسول (ص) ، وأشاد بأخذهم الثأر من الامويين للعلويين ، وبوقوف جده في معركة حنين موقفا أعاد النصر الى المسلمين ، وباستسقاء عمر له في يوم الرمادة ، ولم ينس أن يعرض بالعلويين في اثناء كل هذا ويتهمهم بالعي والعصيان وعدم الكفاءة في السياسة والتملك فقال :

نَصحتُ بنــي رَحمِي لو وعوا ... نصيحــةَ بَــرٍّ بأَنسابهـــا
وقد عَبَـــدوا بغيَهُمْ وارتقَوا ... بــزلاءَ تَنــزو بركابهـــا
ورامُوا فرائسَ أُســدَ الشَّرَى ... وقد نشـــبتْ بينَ أنيابهـــا
دعُوا الأُسْدَ تَفرِسُ ثُمَّ اشبعوا ... بما تَدعُ الأُسـدُ في غابهـــا
قَتلنــا أُميَّـــةَ في دارهـــا ... ونحنُ أَحـــقُ بأَســلابِها
وكم عُصْبَةٍ قد سقتْ منكمُ الـ ... ـخلافةَ صابــاً بأكوابِهـــا
اذا مـــا دَنوتُـــمْ تلقَّتكُمُ ... زَبونــاً وقرَّتْ بحَلاَّبهـــا
ولمَّـــا أبى اللهُ أن تملِكُوا ... نَهضنا إليكُمْ فقسنــا بهـــا
ويومَ حُنَـــينٍ بدَا عيُّكُمْ ... وقد أبدتِ الحربُ عن نابهـــا
فمهــلاً بني عمنـــا إنَّهـــا ... عَطيَّـــةُ ربٍّ حبـــانا بها[٩٥]

وقال :

وابونا حـــامي النبيِّ وقد أد ... برَ مَنْ تعلمونَ وهو يَذودُ
وسعَى لِلنبيِّ في بيعـــةٍ تَمَّ ... بهـــا الدينُ والعيـــون رقودُ
ذاكَ يومَ استطارَ بالجمعِ رَوعٌ ... في حُنينٍ وللوطيسِ وُقُودُ[٩٦]

---

(٩٥) الديوان (١/٢٠–٢١) .

(٩٦) نفسه (١/٨١) ، وانظر ايضا (١/٩٥ ، ١٧٣) .

ولجأ ابن المعتز الى قانون المواريث الاسلامي فادعى أن العم اولى بالارث من ابناء البنات مقتديا بما آثاره من قبل مروان بن أبي حنصة. فقال:

ونحن وَرِثنا ثيابَ النبيِّ ... فلِمْ تجذِبونَ بأهدابها
لكُمْ رَحِمٌ يا بني بنتِهِ ... ولكنْ ارى العمَّ أولى بها[97]

وحاول أن يغمز أبا طالب عم الرسول (ص) ويفضل عليه عمه العباس بالاسلام فقال :

أأبو طالبٍ كشلِ أبي الفضـ ... ـلِ أمَا منكمُ بهذا عليمُ
سائلوا مالكاً ورُضوانَ عن ذا ... أينَ هذا وأينَ هذا مُقيم[98]

وكان يستغل كل مناسبة للتنكيل بالعلويين او المتطرفين منهم . وحدث أن بعض العلويين كانت لديه قيان فسات عنهن ، ثم بعن بعد وفاته . فاتخذ ابن المعتز من هذا الحادث مادة لمهاجمة بعض الغلاة والاستهزاء بما كانوا يقولونه في الامام علي وبما كانوا يعتقدونه بالرضا الذي لم يسلم هو الآخر من تنديده والسخرية به . ثم امتد ثلبه فشمل شيعة العلويين جميعا . فقال قصيدة منها:

لقد قالَ الروافضُ في عليٍّ ... مَقالاً جامعاً كفراً ومُوقا
زنادقةٌ أرادتْ كسبَ مالٍ ... من الجُهّال فاتخذتْهُ سُوقا
وأَشهدُ أنهُ منهم بَريءٌ ... وكانَ بأنْ يُقتّلَهمْ خليقا
وكانوا بالرضا شُغِفوا زماناً ... وقد نَفخوا به في الناسِ بُوقا
وقالوا إنّهُ ربٌّ قديرٌ ... فلَمْ تَصدِقَ السوادُ به لُصوقا[99]

(٩٧) الديوان (١/٢٢) . وانظر ايضا (١/٨١) .
(٩٨) نفسه (١ / ١٧٣)
(٩٩) نفسه (١/٦٩٢-٦٩٣) .

وهاجم القرامطة مهاجمة عنيفة وفرح بما لاقوه على يد المكتفي من ضربات موجعة وتبديد لحركتهم وتنكيل بزعمائهم •

ففي ســـنة ٢٩١هـ استطاعت جيوش المكتفي أن تقضي على كبير قادة القرامطة وهو يحيى بن زكرويه وكان يعرف بصاحب الناقة فاستبشر ابن المعتز بهذا العمل وانشأ قائلا :

أيا طَــالبيينَ قــد عُدتمْ إلينـــا فذوقوا كما ذُقتـــمُ
فكيفَ ترونا ألســنا كمـــا عَهِدتمْ أُباةً لِمـا رُمتـــمُ
كفى اللهُ بالمكتفي شَـــركُمْ ودمّـــرَ ما كـــانَ جمّعتمُ
فمـا كانَ يَصلُحُ مدبّـــرٌ بِعهـــدٍ فـــإلاّ تطيّــرتمُ
وما أفلحَ الجملُ العائِشــي فتُفلـــحَ ناقتكُمْ أنتـــمُ
وليسَ يُريدُ الورَى ملككُمْ فلو شِئتمُ ما تَملّكتمُ[100]

وفي السنة نفسها يأتي الخليفة بأخي يحيى هذا وكان يعرف بصـاحب الشامة وبعدد من قادته أسرى الى بغداد فيستقبله ابن المعتز مهنئا بقصيـدة يقول فيها :

مرحبـــاً بالملكِ القـــا دمِ بالجَــدِّ الســـعيدِ
يا مُــذِلَّ البغي يا قـــا تــلَ حيّـاتِ الحُقُودِ
ما لهـــذا الفتـحِ يا خيـــرَ إمـــامٍ من نـديدِ
فاحمـدِ اللهَ فان الحمـــدَ مِفتـــاحُ المزيــــدِ[101]

---

(١٠٠) الديوان (١ / ٥١٥ – ٥١٦) •

(١٠١) نفســه (١ / ٤٣٢ – ٤٣٣) •

ويشهر صاحب الشامة على الفيل كما كانت العادة آنذاك فيمن يؤتى به من كبار العصاة والخارجين أسيرا الى بغداد . ويعجب ابن المعتز بهذا العمل فيقول فيه :

أقولُ لمَّا تَبدّى صاحبُ النيلِ ... وصَحَّ ما كان من قالٍ ومن قيلِ
يَزِفُهُ في القَيدِ مغلولاً الى سَقَرٍ ... مُقسَّماً بينَ تصبيحٍ وتطبيلِ
وأقبلَ المكتفي بالله يتبعُهُ ... فأكثرَ الناسُ من حمدٍ وتهليلِ
انظُر الى حكمةِ الأقدارِ في مَلِكٍ ... كالشمسِ حسناً وفي قردٍ على فيلِ [١٠٢]

ثم يقام له احتفال كبير ويجري احراقه أمام الناس ليعتبر به من تسول له نفسه الخروج على الخليفة فيقول فيه ابن المعتز :

ليس النارُ أُوقدت بالمُصلّى ... نارُ دنيا من قبلِ نارِ السعيرِ
ذاكَ ما سَنَّهُ عليٌّ عليه ... رحمةُ اللهِ في قديمِ الدهورِ
وكذا المكتفي يُسمَّى عَليّاً ... قد حكاه في فعلهِ المشهورِ
كم قتيلٍ مُعفَّرٍ من بني العبّا ... سِ بالشامِ ليس بالمقبورِ
لا تلوموا مُجازياً بابتداءٍ ... ليسَ بعضُ الذنوبِ بالمغفورِ [١٠٣]

وواضح مما تقدم ان ابن المعتز قد احتفل كثيرا بالاحداث السياسية فكان في شعره صادق الشعور ، قوي الحجة ، واضح البيان ، سليم الطبع ، ولعل احتفاله هذا هو الذي جعل شعره ذا تأثير كبير في نفوس الآخرين.فجاءه بعض من كان يجالسه من العلويين معتذرين ومتنصلين مما كان يصل اليه من مناقضات له[١٠٤] .

---

(١٠٢) الديوان : ١ / ٤٩٤ - ٤٩٥ .

(١٠٣) نفسه (٤٥٧-٤٥٦/١) .

(١٠٤) انظر ص (١٨٢) من هذه الدراسة . من الجدير بالذكر ان الدكتور احمد كمال زكي يشير في كتابه (ابن المعتز العباسي ص ١٣٣) الى ان المبرد سأل ابن المعتز ان يرفق بآل علي قبل ان يموت (أي في سنة ٢٨٥ أو ٢٨٦) .

ويبدو ان الشاعر قد خفف من حدة اندفاعه في أواخر أيامه فعمل اشعارا يعتذر فيها ويمدح الامام عليا وولده[١٠٥] . بل حاول أن يهمس الى بعض مجالسيه عما يكنه للعلويين اذا ما آل الامر اليه فقد حدّث أحد جلسائه وهو أبو الحسين محمد بن الحسن العلوي المعروف بابن البصري قال : (كنت آجالس عبدالله بن المعتز فكان يحلف بالله لئن ملك من هذا الامر شيئا ليجعلن البطنين بطنا واحدا وليزوجن هؤلاء من هؤلاء وهؤلاء من هؤلاء ، ثم لا أدع طالبيا يتزوج بغير عباسية ولا عباسيا بغير طالبية حتى يصيروا شيئا واحدا وأجرى على كل رجل منهم عشرة دنانير في الشهر وعلى كل امرأة خمسة دنانير واجعل لهم من الدنيا ناحية تفي بذلك)[١٠٦] .

وناقضه بعض شعراء العلويين في أزمان مختلفة فقال تميم بن المعز في مناقضة احدى قصائده التي مطلعها :

ألا مَن لعينٍ وتسكابها	تَشكّى القذى وبكاها بها
ألا قل لمن ضلَّ من هاشمٍ	ورامَ اللحوقَ بأربابها
أأوساطها مثلُ أطرافها	أأرؤسُها مثلُ اذنابها
عجبتُ لمرتكبٍ بغيه	غوى المقالةِ كذابها
يقولُ فينظم زورَ الكلامِ	ويحكمُ تنسيقَ أذهابها
(لكم حرمةٌ يا بني بنته	ولكنْ بنو العمِ أولى بها)[١٠٧]

وناقضه القاضي التنوخي في قصيدته التي مطلعها :

أبى الله إلاّ ما ترون فما لكمْ   غضابى على الأقدارِ يا آلَ طالبِ

(١٠٥) انظر الديوان (١ / ٤٠٩) .
(١٠٦) الاوراق ١٠٩ .
(١٠٧) ديوان تميم بن المعز (٧٨ — ٨٠) .

فقـال :

من ابن رسول الله وابن وصيّـه	الى مُدغلٍ في عقدة الدين ناصبِ
نَشا بينَ ضنبورٍ ودفٍ ومزهـرٍ	وفي حجرشادٍ أو علىصدرِ ضاربِ
ومن ظهرِ سكرانٍ الى بطن قينةٍ	على شبهٍ في ملكها وشوائبِ [108]

ويبدو ان من عرض ابن المعتز من شعراء العلويين كانوا يميلون كثيرا الى السباب والشتم والهجر من الكلام وهو ما نزه منه شعره كثيرا ، كما يبدو لنا آن حججه وشاعريته كانتا طاغيتين عليهم أيضاً •

الغـــزل :

يمثل الغزل موضوعا مهما من موضوعات شعر ابن المعتز ، ولا غرو فهو ترجمان عواطفه ووجيد حبه . وتصوير مغامراته ، ونفث زفراته ، وقد جـاء بعضه في مقدمات كثير من قصائده . كما جاء أكثره مستقلا بنفسهدون سواه•

ويغلب على القسم الاول المحاكاة والتقليد للقدامى ، ففيه ذكر للطلول والاظعان وما الى ذلك • وقد يعمد الشاعر أحيانا في هذا القسم الى الملاءمة بين غزله وبين الجو العام للقصيدة ، او الغرض الرئيس منها ، ولعل خير مثال على ذلك قصيدته التي امتدح فيها المكتفي . لقضائه على احد الخارجين عليه• فقد قدم الشاعر للغرض الرئيس بأبيات غزلية أظهر فيها فرحه وبشره من زيارة حبيبه له في يوم عيد . ولعله أراد بالعيد هنا اليوم الذي قضى به على هـذا الخارج •ولعل الفرحة التي كانت طاغية عليه في هذا اليوم هي التي جعلت السلاسة والسهولة ــ التي امتاز بها غزله هذا ــ تسريان الى اعطاف المديح نفسه • فهو يقول :

لا ورمّـــانِ النهـــودِ	فوق أغصـــانِ القـــدودِ
وعناقيـــدَ مـــن اصـــدا	غٍ ، وورد مـــن خـــدودِ

(١٠٨) معجم الادباء ، ١٤ / ١٨١) .

ورســـولٍ جـاءَ بالميـــ ـعادِ من بعـــد الوعيـــدِ
ونعيـــمٍ مـــن وصـــــالٍ في قفـَا طولِ الصـــدودِ
ما رأتْ عيـــني كظبـــيٍ زارني في يـــومِ عيـــدِ
في قبـــاءٍ فاخـــتيٍ الـ ـلونِ من لُبسِ الجـديدِ
كلمّا قـــاتلَ جنـــــد يٌ بسيفٍ أو عمـــودِ
قاتـــلَ النـــــاسَ بعيـ ـنينِ وخـدين وجيـــدِ[109]

في حين يتميز الثاني بالجدة والتخفف من التقليد والاتباع .

تغزل ابن المعتز بالمؤنث ، كما تغزل بالمذكر . وهو في كليهما متمكن متقدم معروف له بالقدرة والابتداع ، حتى عده الصولي من متقدمي الشعراء في هذا الفن . قال : (فقلت أنا هو أيضا عندي متقدم في الغزل . لان الشعراء الذين أحسنوا في الغزل حتى تفردوا به . وكان الغزل قطعة من شـــعرهم معروفة . قليلون وخاصة من عمل في المذكر والمؤنث و (هو) من أول من حصل هذا وجعله فنين وأضاف اليه فنا ثالثا سماه مجونا وكثـّره حتى تقدم فيه من سبقه وتبعه الناس)[110] . والحقيقة ان ابن المعتز كان قد اكثر من الغزل في المؤنث والمذكر حتى ليمكن القول بأنه كان في طليعة من تعاطاهما واشتهر فيهما كما ذكر الصولي ، على أن القول في المجون قد أكثر منه من سبقه من شعراء القرن الثاني الهجري كبشار وابي نواس واضرابهما[111] .

وفي ديوانه اسماء كثيرة ممن تغزل بهم من الذكور والاناث ، فممن تغزل بهن من الاناث : شرة ، واسماء ، وتكتم ، وسلمى ، ونعم ، وهند ، وليلى ، وعباس (لعله ترخيم عباسة) ، وجمل ، والرباب ، وسليمى ، وأم عمرو ، وأم

(١٠٩) الديوان (١ / ٤٣١ — ٤٣٢) .
(١١٠) الفصل الخاص بابن المعتز في الاوراق خ (٥ و) .
(١١١) انظر : عبدالله بن المعتز لسميد الاهل (٧٢) .

حباب . ومكتوم . وأم مالك[112] ، ومن تغزل بهم من الذكور : أحمد ، ومكتوم . ويوسف . ويعقوب . ويحيى .

وأغلب الظن أن اكثر ما جاء من اسماء الاناث كان كناية عمن يتغزل بها او كان اسماء جوار قد أتصل بهن . على أن اكثر هذه الاسماء ورودا في شعره هو (شرة) التي يبدو انه كان يتعشقها حقيقة ويهيم بها كما سنتحدث عن ذلك فيما بعد . وان ابن المعتز في هذا يعيد الى الاذهان ما كان عليه بعض من سلفه من شعراء العصر العباسي كبشار وابي نواس وابي العتاهية وبعض من عاصره كالبحتري . فقد تغزل هؤلاء كثيرا بأسماء اناث كثيرات ولكنهم كانوا مع ذلك يكثرون من ترداد اسم يكاد يطغى على بقية الاسماء مما يرجح انهم قد تفردوا بصحبته دون سواها . فقد اكثر بشار من التغزل بعبدة . وأبو نواس بجنان وأبو العتاهية بعتبة والبحتري بعلوة .

ونرى قبل مواصلة الكلام على غزل ابن المعتز وخصائصه ان نتساءل عن حب الشاعر ؟ فهل أحب حقيقة أو أن ما كان يصدر منه في هذا الشأن ضربا من المعابثة والمداعبة والمحاكاة ؟

لقد أسلفنا القول في البيئة التي نشأ بها ابن المعتز وهي بيئة مترفة تزخر بالحسان من الجواري وباللطاف من الغلمان ، وأشرنا الى أن الشاعر قد نال قسطا وافرا من حياة اللهو والعبث . وانه كان يعقد مجالس الغناء والطرب ، وكان يختلف الى هذه المجالس كثيرات من الجواري المغنيات كما ذكرنا

---

(112) من الغريب أن الاستاذ خفاجي ذكر في جملة من تغزل بهن ابن المعتز (الياسرية) ظانا بانها امرأة في قوله :

بفناء مكة للحجيج مواسم والياسرية موسم العشاق (ابن المعتز وتراثه في الادب ، 157) . والصحيح ان الياسرية قرية كبيرة على ضفة نهر عيسى . بينها وبين بغداد ميلان . عندها قنطرة مليحة ، وفيها بساتين (مراصد الاطلاع 3 / 1471) .

ترداده على الحانات ومواطن القصف ، وان كثيرين من السقاة كانوا من الغلمان الخاصين ، ومر بنا في الحديث عن لهوه تعلقه بنشر المغنية وبنشوان الغلام وكيف كان يحبهما ويهيم بهما ، ومن غير شك ان من يسلك مثل هذه الحياة لا يمكن أن يكون في منجى من اشراك الحب أو منأى عن المشاكل العاطفية والوجدانية ، خاصة وان الكثيرات من الجواري قد اتقن فنون الاغراء وطريقة خلب الالباب •

ونرى من المفيد أن نستأنس بما رواه الشابشتي في هذا الصدد عن احد اصدقاء الشاعر وهو أبو الطيب النميري الذي كان يجالسه كثيرا ويعابثه وينادمه قال : (قال النميري : كان عبدالله بن المعتز يعيب العشق كثيرا ، الى أن صار يقول : هو طرف من الحمق ، واذا رأى منا مطرقا أو مفكرا ، اتهمه بهذا المعنى ويقول : وقعت يا فلان[113] وقل عقلك وسخفت ! الى أن رأيناه قد حدث به سهو شديد وفكر دائم ، الى أن كانت تبدر منه الابيات في معنى العشق ، فمرة يقول :

أســـرَ الحبُّ أمـــيرا   لم يـكنْ قبـلُ أســـيرا
فـــارحموا ذلَّ عـــزيـزٍ   صـارَ عبــداً مُســتجيرا

ومرة يقول :

عقـلُ المحبِّ ســـاهِي   في قلبـــهِ الـدواهِي

فقلت : جعلني الله فداك هذه أشياء كنت تعيب أمثالهـا منا ، ونحن ننكرها الآن ، فيرجع تصنعا ، ثم لا يلبث أن تبدر منه بادرة . فقال مرة :

مكتوم يا أحســنَ خلقِ اللهِ   لا تتــركني هكــذا باللهِ

---

(113) من الجدير بالذكر ان لابن المعتز بيتا يخاطب فيه قلبه يقول فيه :
(طال ما كنت حائدا قبل هذا   عن حبال الهوى فكيف وقعتا)
(الديوان : 1 / 228) .

ثم تنفس ، فقلت : قد ظفر ... فضحك ، وقال ، لا وكرامة ، فكتبت اليه من غد .. فكتب الي :

يا من يحدث عني ... فكتبت اليه ....

ثم صرت اليه ، فأخبرني بقصته ، فسعيت له بلطف الحيلة ، وأعانني بحزم الرأي ، الى أن فاز بالظفر وادرك البغية)(١١٤) .

ويغلب على غزله المقطوعات التي كان يركز فيها عواطفه ، ويبث شكواه، وينشد أمانيه . كما كان يجنح الى القصة في كثير من غزله هذا . وكان في بعضه يحاكي ابن أبي ربيعة في مغامراته واسلوبه ، كقوله :

هلْ تذكرينَ وأنتِ ذاكــــرةٌ ... مَمشى الرسولِ اليكمُ سرا

إنْ تغفلوا يُسرعْ لحاجتــهِ ... وإذا رأوه أحسـنَ العــذرا

فَطِنٌ يؤدّي ما يقـالُ لـه ... ويَزيد بعضَ حديثنا سحرا

قالت لأترابٍ خَلونَ بهــا ... فبكتْ فبلّلَ دمعُها النحرا

ما بالُه قطـعَ الوصالَ ولم ... يَسمحْ زيارةَ بيتِنا شهرا

يا ليتَه في مجلسٍ معَنـا ... نشكو اليه النأيَ والهجرا

حتّى طـرقتُ على مخاطرةٍ ... أطـأُ الصوارمَ والقنا السمرا

مُستبطناً عضباً مضاربُـهُ ... أبقَى القيونُ بمتنه أثـرا

قالتْ ألا تبصرْنَ قلْنَ بلَى ... صدقتْ مُناكِ ونِقّيتْ يسرا

ونهضْنَ يخلبنَ الحديثَ لنا ... كيلا يكنَّ على الهوَى وقـرا

يا ليلـةً ما كان أقصـرَها ... لا زلتُ اشكرُ بعدها الدهرا(١١٥)

(١١٤) الديارات (٧٧ — ٧٨) .

(١١٥) الديوان (١ / ٢٧١ — ٢٧٢) .

ويذكر الشاعر في مواضع مختلفة من شعره أنه كان في حبه عفيفا منزها عن المعاصي والريب فهو يقول :

ولم آتِ ما قـد حـرَّم اللهُ في الهوى

ولم أتـّـرك ممّا عفـا اللهُ باقيا(116)

ونحن لا يسعنا تصديق الشاعر في قوله هذا في غمرة أقوال أخرى لـه في ضوء ما المعنا اليه من سيرة حياته ، تشهد كلها بأنه كان قد نال ما نال من اوطار وقضى ما قضى من حاجات • ومع ذلك فاننا نستطيع ان ننزه شـعره الغزلي هذا عامة من صرخة الجنس وعرامة الشهوة • فهو بحال من الاحوال لم يكن مخيفا للمجتمع كما كان عليه غزل بشار او كما كان عليه غزل أبي نواس المذكر ، على انه لم يبرأ من الاشارة الى التنفيس عما كان يكابده من حرارة الوجد ، وكثيرا ما كان يكتفي من ذلك بالقبلة ، كقوله :

بادرتُ منه موعـداً حاضـراً وكانَ ذا عنـدي من الراءِ

فلمْ أنلْ منه سِوى قبلـةٍ وأرجفَ الناسُ بأشـياءِ(117)

وكان احيانا قليلة يصف لنا عناقه وضمه لحبيبه كقوله :

كم ليلةٍ عانقتُ فيها بدرَهـا حتّى الصباحِ موسّداً كفيـهِ

ما زلتُ أشربُ خمرةً من ريقـهِ وتحيّتي تفاحتـا خـدّيهِ

وسكرتُ لاأدري أمن خمرِ الهوى أم كأسهِ أم فيهِ أم عينيهِ(118)

---

(116) الديوان (٢ / ٤٠٢) .

(117) الديوان (١ / ٢١٠) .

(118) الديوان (١ / ٣٧٧) .

ولعل اقصى ما صرح به مما ناله ممن كانت له به علاقة قوله :

وزائـــرٍ زارني على عجلٍ ... مُنتقبِ الوجنتـــينِ بالخجلِ
قد كانَ يَستكثرُ الكتابَ لنـا ... فجـادَ بالإعتنـــاقِ والقبـلِ
يقودُهُ الشوقُ خائفاً وجـــلاً ... تحتَ الدجى والعيون في شغلِ
فنلتُ منه الذي أُؤملُـــهُ ... بلْ الذي كان دونَهُ أملي[119]

ومع ان المعهود في الغزل ان ينفرد المتغزل دون الحبيبة بالسهر والقلق فان بعضهم قد يعكس الامر احيانا وهو امر يعاب به ، ولعل اول من سـنّ هذه الطريقة ابن ابي ربيعة • وقد وقع ابن المعتز في مثل هذا في قوله :

هـــامَ قلبي بفتـاةٍ غـــادةٍ ... حولَها الأسيافُ في أيدِي الحرسْ
لا تنـــامُ الليلَ من حبّي وإنْ ... غرّدَ القُمري أتتْ في الخلسْ
وتُسـمّـيني إذا ما عَثَـــرتْ ... فإذا ما فطنوا قالتْ تَعسْ[120]

ان عناصر الغزل عند ابن المعتز هي العناصر المألوفة لدى شعرائه الذين اكتوت قلوبهم بالحب ولاقوا منه ما لاقوه ، وهي : المرأة والغلام وما يتبع صلته بهما من الوصال والهجران ، والشكوى ، والسهر ، والنحول ، والعذال ، والرسول ، والطيف ، وما الى ذلك •

فالمرأة هي مدار غزله عامة وهي ــ على الرغم من كثرتها في عصـــره ــ وسهولة الاتصال بها ــ عزيزة المنال ، غالية الوصال •

أما الغلام فكان يرد كثيرا في خمرياته ، مما يدل على انه كان في الاكثر ساقيا ، وهو ينحو في التغزل به ، والتقرب اليه كما في غزله المؤنث • كقوله في أحدهم :

(١١٩) الديوان (١ / ٣٢٥) •
(١٢٠) الديوان (١/٢٩٥) •

أحمدُ أنساني هوى أحمدٍ	يا قلبِ أيقنْ بشفاءٍ جديدْ
قد شبّهوهُ بغزالِ النّقا	حاشاه منه غيرَ عينٍ وجيدْ
عَجّلْ بوصلٍ منك يا سيّدي	لافضلَ في عمري لطولِ الصدودْ(121)

ويبذل في سبيل محبوبته كل ما لديه حتى ليبدو أحيانا متذللا متضرعا كقوله :

قُمْ ففرّجْ من كُربتي يا رسولُ	إنّ عبدَ الهوى لَعبدٌ ذليلُ
صدّ عني فسـ يردّ جوابي	ليتَ شعري متى تقولُ يقولُ(122)

ويبدو لنا انه على الرغم من كثرة الجواري اللائي اتصل بهن الشاعر وكان اتصاله بهن في الغالب مبعثه قضاء الوطر ، لقاء جعل أو هدايا ، ومن ثم كان شعره فيهن يغلب عليه فتور الحرارة ، او صدق الشعور ، فانه ارتبط بواحدة ارتباطا وثيقا جاء ذكرها في ثنايا شعره ، وهي (شرة) التي اتسم غزله فيها بشدة الحرارة ، وفيض العاطفة ، وصدق المشاعر •

لقد كان حديثه عن (شرّة) هذه أكثر من حديثه عن أية امرأة اخرى• وكان أغلب حديثه عنها يتعلق بالشكوى والفراق ، وما يلاقيه في سبيلها من عنت وآلام . وكان يهتبل كل فرصة مواتية ليعلن فيها شكواه ويبث احزانه ، حتى فيما كان ينشئه في الخلفاء من قصيد •

ويبدو ان شرّة هذه كانت احدى جواري المغنية المعروفة (شارية) ، فقد جاء في اخبار شارية هذه قول أبي الفرج : (وكان المعتمد قد تعشق (شرّة) جاريتها . وكانت أكمل الناس ملاحة وخفة روح . وعجز عن شرائها،

(121) نفسه (2/90، وانظر ايضا (1/290 ، 2/128) .

(122) نفسه (1/235-238) .

فسأل ام المعتز ان تشتريها له ، فاشترتها من شارية بعشرة آلاف دينار[١٢٣] ، وأهدتها اليه ، ثم تزوجت بعد وفاة المعتمد بابن البقال المغني ، وكان يتعشقها ، فقال عبدالله بن المعتز وكان يتعشقها :

أقولُ وقـد ضـاقت بأحزانهـا نفسـي
ألا رُبَّ تطليـقٍ قـريب من العـرسِ
لئن صـرتِ للبقـالِ يا شرّ زوجـةً
فلا عجبٌ قد يربض الكلبُ في الشمسِ)[١٢٤]

ويظهر ان صلة ابن المعتز بها جاءت من خلال تردده على مجالس المعتمد بعد رجوعه وجدته من المنفى بأمر الخليفة نفسه .

ويبدو ان الشاعر كان يحذر الخليفة من علاقته بجاريته ، ولهذا فقد كان يخشى زيارتها والالمام بها ، ففي شعره إشارات تدل على هذا ، منها قوله :

مَنعَ الزيارةَ من شـريرةَ خائفٌ
لو يستطيعُ لبـاتَ بين جيوبهـا[١٢٥]

ويشير الى ان صلته بها كانت مبكرة بدليل قوله فيها :

وإذْ هي مثلُ البدرِ يفضحُ ليلَـهُ
وإذْ أنا مسـودد الذوائبِ يافع[١٢٦]

---

(١٢٣) أكبر الظن ان شراء ام المعتز لشرة ــ اذا صح ما ذكره ابو الفرج ــ كان قبل مقتل المعتز ، اذ كان لامه من الثروة ما يجعلها ان تشتري بهذا المبلغ او غيره . لانها بعد مقتل ابنها صودرت اموالها كلها ونفيت هي وابن المعتز الى مكة ، ولم ترجع الى سامراء الا بعد استخلاف المعتمد.

(١٢٤) الاغاني : (١٦/١٢ دار الكتب) .

(١٢٥) الديوان (٣٩٢/١) ، وانظر ايضا (٢٦٣/١) .

(١٢٦) نفسه (٤٦٨/١) .

كما يشير الى أنها كانت تواصله أحيانا فينال منها ما ينال من سواها ، يقول :

ولقــــد متّعتُكَ منها بوصلٍ   زمناً ماضياً ، وكانتْ وكنتا[127]

لقد أكثر الشاعر ــ كما قدمنا ــ من الحديث عن هذه المرأة ، وكان الغالب عليه الشكوى ومرارة الفراق ، ولعل ابياته الآتية خير نموذج لما قاله في هذا الشأن :

قفْ خليلِي نسألْ لِشرّةَ دارا   أو محلاً منهـا خلاءً قفـــارا
أَلبستْني سقماً أقامَ وســارت   واستجابتْ قلبي إليهـا فطـارا
لي حبيبٌ مكذّبٌ بالأمـــانِي   جعَلَ الدهرَ موعـداً وانتظارا
عيّروني بمــا تضنُّ بـــهِ عني   فيـــا ليتَـــهُ يُحقّــقُ عـــارا
وســؤالي عن بلدةٍ أنتِ فيهـــا   أتلقّى من نحوكِ الأخبـــارا
وجهــادِ ي عواذلاً فيــكِ لا ير   فقْنَ باللوم غدوةً وابتكـــارا
عدلتني عنهـــا المخافـــةُ إلاّ   من خيالٍ إذا دجا الليلُ زارا[128]

ان من أهم مسيزات غزل ابن المعتز الرقة والسلاسة وجمال التصوير ، والامثلة على ذلك اكثر من أن يمثل لها ، منها قوله :

زاحمَ كُمّي كمّهُ فالتويـــــا   وافــــق قلبي قلبَهُ فاســـتويا
وطالَ ما ذاقا الهوى فاكتويـــا   يا قرّةَ العينِ ويا همّي ويا[129]

---

(١٢٧) نفسه (١/٢٢٨) .

(١٢٨) الديوان (١/٢٦١) .

(١٢٩) الديوان (٣/٣٩٧) .

وقوله في الفراق ــ وهو من صور غزله اللطيفة :

ومتيّمٍ جرحَ الفــراقُ فؤادَهُ ... فالدمعُ من أجفــانه يَتدفّــقُ
هزّتهُ ساعةُ فرقــةٍ فكأنّمـــا ... في كلِّ عضوٍ منهقلبٌ يخفقُ(١٣٠)

الوصف :

الوصف من أهم موضوعات شعر ابن المعتز . وقد اولع به الشاعروأوقف أغلب طاقته عليه ، فظهر فيه فنه ، وبرزت مقدرته •

وهو يشمل مجالا واسعا من فنون الشعر ، لانه يتناول ذكر الشيء بما فيه من الاحوال والهيئات ، كما يقول قدامة . بل أن الشعر الا أقله راجع اليه كما يقول ابن رشيق(١٣١) •

وقد كان لحرية ابن المعتز ، وانطلاقه في ميادين اللذة واللهو ، ولرهافة حسه ، ودقة ملاحظته ، أثر كبير في ميدان الوصف والتصور •

وسنتحدث في مجال الوصف عند الشاعر عن الخمر ، والطبيعة ، والطرد، وامور اخرى •

١) الخمــر :

مر بنا أنه انطلق وراء لذاته وشهواته وراح يعكف على الخمر ، ويرتاد الحانات والاديرة التي كانت مبثوثة في ضواحي سامراء وبغداد • وقد وصف كثيرا هذا النوع من حياته ، وصف الخمر وكل ما يتعلق بها وصفا دقيقا جميلا

(١٣٠) الديوان ١/٣١٢ .

(١٣١) انظر العمدة ٢/٤٩٤ ، وابن المعتز وتراثه في الادب لخفاجي ١٨٦ . والوصف في شعر العراق في القرنين الثالث والرابع الهجريين للدكتــور جميل سعيد ص ٩ . وقد عرف الوصف في ضوء قول قدامة : (ان اغراض الشعر : المديح والهجاء والنسيب والمراثــي والوصــف .. ان الوصف غير المديح وغير الهجاء وغير النسيب وغير المراثي) .

حتى كان يعد احد المشهورين بوصفها[١٣٢] ، وجاء الكثير من اوصافه للخمر على هيئة مقطعات او قصائد خاصة بها كما جاء بعض اوصافه لها من خلال شعره في موضوعات أخرى • فهو يفتن بها ويمنحها وده وصفاءه :

فتنتـــهُ السلافةُ العــــذراءُ فلها ودُّ نفســهِ والصفـــاءُ
روحُ دنٍّ لها من الكأسِ جسمٌ فهي فيـــه كالنارِ وهو هــواءُ
فاذا مجَّتِ الأباريقُ مــاءَ الـ ـمُزْنِ فيهاشابتْ وشابَ الماءُ[١٣٣]

وهو يسعى اليها مبكرا لتريحه من آلامه وأحزانه[١٣٤] ، وقد أنبت مزاجها الدر في ارض من الذهب ، كما حمل تآلف نور مائها ونار عنبهـــا القوم على التسبيح اعجابا ودهشة وقد استحالت لقدمها الى شبح يتأرجح بين الشك واليقين :

وقـــد يبـــاكرني الساقي فأشـربها
راحاً تريحُ من الأحـزانِ والكُربِ

وأمطرَ الكأسُ مـاء من أبارقـــهِ
وأنبتَ الـدرَّ في ارضٍ من الذهبِ

وسبَّحَ القومُ لمّــا أنْ رأوا عجبـــاً
نوراً من المــاءِ في ارضٍ من العنبِ

لم يبقِ منهـا البِلَى شـيئاً سوى شبحٍ
يُقيمُهُ الشكُ بين الصدقِ والكذبِ[١٣٥]

---

(١٣٢) انظر العمدة ٢/٢٩٦ وقد تأثر ابن المعتز في بعض اوصافه بشـــعر غيره ممن سبقه من الشعراء انظر ص ٣٣٧ وما بعدها من هذه الدراسة •

(١٣٣) الديوان (١٥/٢) •

(١٣٤) انظر ص ٥٤ من هذه الدراسة •

(١٣٥) الديوان (٣١/٢) •

ويعجب الشاعر بالارض الذهبية المغروسة باللؤلؤ فيحلو له اعادتها أيضا فيقول :

أيّ حسنٍ تخفي الدنانُ من الرا
حِ وحسنٍ تبديه منها الكؤوسُ
من كُميتٍ كأنّها أرضُ تبرٍ
في نواحيه لؤلؤ مغروس[136]

ويعجبه من الخمر الصفراء اللون التي تجمع بين ظلام الجسم ونورالدم:

وصفراءَ من صبغِ الهجير لرأسها
إذا مُزجتْ إكليلُ درٍّ منظّمِ
قطعتُ بها عمرَ الدجَى وشربتُها
ظلاميّةَ الأجسامِ نوريّةَ الدمِ[137]

كما يعجبه منها الحمراء اللون التي يجد فيها عيشه اللذيذ :

ألا إنّما العيشُ اللذيذُ مدامةٌ
عقارٌ كلونِ النارِ حمراءُ قرقف[138]

ويتفنن في تصوير الخمر ونعتها فهي هذه المرة بكر من المجوس مقنعة بالحبب ، صافية من الشوائب تسكب في الكؤوس عسجدا :

وبِكرٍ مجوسيّةٍ عليها قِناعُ الحَبَبْ

(١٣٦) الديوان (١٥٧/٢) .
(١٣٧) الديوان (٢٣٦/٢) .
(١٣٨) الديوان (١٨١/٢) لقد اكثر ابن المعتز من الحديث عن الخمر الحمراء ، ونعتها بانها كالعقيق والياقوت والذهب والدم والنار الحمراء وشعاع الشمس والوردة الحمراء والجلنار .

صفَت من قذاهـــا كمــا تَعــــرَّى أديــــمُ اللهبْ
تُقطّـــعُ في كأسـِــــها رؤوسُ مَدارَى ذَهَب[139]

ويراها أحيانا قد استحالت الى نور يتسرب من فرج السماء . ويسطع من خلال الكأس حتى لو حجبت بحجاب :

وكأسٍ كمصباحِ السماء شربتُها على قبلةٍ أو موعدٍ بلقـــاءِ
أتتْ دونَها الأيامُ حتّى كأنّها تَساقطُ نورٍ من فتوقِ سماءِ
تَرى ضوءَها من ظاهر الكأس ساطعا عليك ولو غطّيتَها بغطـــاءِ[140]

وقد يجنح أحيانا حبا لهذه الخمر وهياما بها الى أن يخلع عليها صفة غير مرئية حتى ليلتبس على الطرف ان يستبين حقيقة ما يراه منها :

صفتْ فيكادُ الطَّرفُ لا يستبينُها ويرجعُ محسوراً بخيبةِ آيسِ
وما نالَ منهـا فهو منه كمدّعٍ حقائقَ أمرٍ غامسٍ بالمقايسِ[141]

وكثيرا ما ينعتها بالقدم وطول العمر وبافنائها العصور والدهور . وهي سُنّة جرى عليها وصافو الخمور قبل ابن المعتز وعلى رأسهم أبو نواس . ونكتفي هنا بقوله في هذا الصدد :

فبتُّ أُسقَى من يديْ بدرِهـــا شمساً كساها الماءُ إزبادَهـــا
أمّ سنينٍ مُزمنٌ عهـدُهـــا قد نسيَ التاريخُ ميلادَها[142]

ويصف دنانها وزقاقها وصفا جميلا أيضا . فمرة يجعل زقها ينزف دما وهو جاث ــ في روضته ــ على ركبه :

---

(١٣٩) الديوان (٢/٣٣) .
(١٤٠) الديوان (٢/١٧) .
(١٤١) نفسه (٢/١٦١-١٦٢) .
(١٤٢) (٢/٨٨) .

والزِّقُ في روضـــةٍ تسيلُ دماً أوداجُه جاثياً على الركَبِ[١٤٣]

وأخرى يجعله قائما على ساقه لا يشكو نصبا ولا جهدا :

في جوفِ أكلفَ قد طـال الوقوفُ به

لا يشتكي الســاقَ من أينٍ ولا تعبِ[١٤٤]

كما يصف الاباريق وألوان عصائبها وذوائبها وحركاتها فيقول :

باتتْ أباريقنا حمراً عصائبُهـا بيضاً ذوائبُهـا غُصَّ الحلاقيمِ
رواكعاً كلَّما حَثَّ السقاةُ بهـا تَلقى الكؤوسَ بتكفيرٍ وتعظيمِ[١٤٥]

وكان للكؤوس والاقداح نصيب كبير في اوصـــافه . وكثيرا ما كانت الكؤوس ذهبية اللون كقوله :

فقـــام يُريقُ الماءَ في ذهبيَّـــةٍ كما جسمُها من فضةٍ حلقاتِ[١٤٦]

وكانت مزينة بالتصاوير أحيانا :

بكأسٍ من زجاجٍ فيه أُسْدٌ فرائسُهنَّ ألبابُ الرجالِ[١٤٧]

كما كانت الاقداح فضية اللون . وقد تحيل الخمرة بطونها الى حمرة ذهبية :

كأنمـــا أقداحُنـــا فضَّـــةٌ قد بُطِّنَتْ بالذهب الأحمرِ[١٤٨]

---

(١٤٣) الديوان (٢/٢٨) .

(١٤٤) نفسه (٢/٣٢) .

(١٤٥) الديوان (٢/٢٢٧) .

(١٤٦) نفسه (٢/٥٠) .

(١٤٧) نفسه (٢/٢٠٩) .

(١٤٨) نفسه (٢/١٤٢) .

وكان لامتزاج الخمر بالماء وما يتولد من حبب أثر في اجتلاء صورعديدة كان يبثها في ثنايا خمرياته فمرةً يشبّهُ بحدق بلا جفون :

فجاءتْ بها في كأسِها ذهبيةً لها حدقٌ لم تتصلْ بجفونِ[(149)]

وثانية يتولد منه شباك فضة ، تحلّ حلقُهُ البيض وتُعقد :

يصوغ عليها الماءُ شُبّاكَ فِضةٍ
لها حَلَقٌ بيضٌ تُحَلُّ وتُعقَدُ[(150)]

وثالثة يبدو وكأنه النقش في فص ياقوت .

للماءِ فيها كتابةٌ عَجَبٌ
كمثلِ نقشٍ في فصِّ ياقوتِ[(151)]

ورابعة يظهر كالاكاليل المنظمة باللؤلؤ الرطب :

وراحٍ كأنّ الماءَ ألبسَ كأسَها
اكاليلَ قد نُظّمنَ من لؤلؤ رطب[(152)]

وخامسة كأنه وردة حمراء فوق وردة بيضاء :

وكأنّ الحَبابَ إذ مزجوها
وردةٌ فوق وردةٍ بيضاءِ[(153)]

---

(149) الديوان (٢/٢٤٨) .
(150) نفسه (٢/٩٨) .
(151) نفسه (٢/٥١) .
(152) الديوان (٢/٣٥) .
(153) نفسه (٢/١٥) .

ولم يفت الشاعر ان يصور لنا صاحب الحانة او خمارها وما كان يقوم به من اعداد الخمور ، او ما كان يبدو عليه من امارات القلق اذا ما خلت حانته من الطُرّاق والرُوّاد فيقول :

ومُغرمينَ بِشُربِ الراحِ قد هتكوا
أستارَهُم ولقُوا عدلاً بتصريحِ

خاضوا الظلامَ الى خمّارِ دَسكَرةٍ
مُنتَفرِ النومِ يقظانِ المصابيحِ

يَبيتُ يَشخَبُ زِقّاً أو يفرّغُهُ
كمُوثَقٍ من رجالِ الزّنجِ مذبوحِ

إذا خلا ساعةً قامت قيامتُهُ
حذاءَ بابٍ لباغِي الراحِ مفتوحِ

قلنا له هاتِها واحكمْ على كرمٍ
فقد ظَفِرتَ بفتيانٍ مساميحِ(١٥٤)

ويقول أيضا واصفا مشية الخمار وقد أُنبِهَ في هدأةٍ من الليل :

يا رُبَّ صاحبِ حانةٍ نبّهتُهُ
والليلُ قد كحل الورى بِرُقادِ

في ساعةٍ فيها الجفونُ سواكنٌ
قد شِمنَ أعينَهنَّ في الأَغمادِ

(١٥٤) الديوان (٢/٧٢–٧٣) .

يمشي وقد أخذَ النعاسُ برجلِه

مشيَ الأسيرِ يخبُّ في الأقيادِ (١٥٥)

وللنديم موقع خاص في نفسه وكثيرا ما نعته بالمطاوعة والمشاركة في كأسه حتى ولو كان مخمورا نعسا لا يقوى على احتمال نفسه :

نَبَّهتُ نَدمانِي فَهبَّ طَرَباً الى كأسِي ولبّى
نشوانَ يحكِي ميلُه غُصناً بأيدِي الريح رَطْبا
ما زالَ يَصرعُه الكرى وأذبْتُ عنه النومَ ذَبَّا
وسقيتُه كأساً على مرَضِ الخمارِ فما تأبَّى (١٥٦)

كما ينعته بإقامِ الليل معه ساهرا نشطا . لا يدب اليه الكسل . ولا يمل الشرب :

وليلةٍ قد بِتُّها ناعساً والصبحُ بالظلماءِ مُستعجِلُ
نادَمَني فيها فتىً مُسعِدٌ يُساهرُ الليلَ ولا يكسلُ
لا يحبِسُ الدائرَ إنْ جاءَهُ ويشربُ الرطلَ ولا يسألُ (١٥٧)

ويصف ندماءه بالشباب والجمال والكرم . كما يصف مقارعة أقداحهم بالقصر والسحر فيقول :

ونداميَ في شبابٍ وحسنٍ أتلفتْ ما لَهم نفوسٌ كرامُ
بينَ أقداحِهم حديثٌ قصيرٌ هو سحرٌ وما سواهُ كلامُ (١٥٨)

---

(١٥٥) الديوان (٢/٩٠ ـ ٩١) .

(١٥٦) نفسه (٢/٢٩) .

(١٥٧) الديوان (٢/٢٠٣) .

(١٥٨) نفسه (٢/٢٣٤) .

وكان الكثيرون من السقاة والساقيات على درجة عالية من الوسامة واللطف والليونة ، فكانوا يطوفون على الرواد بأزيائهم الانيقة وملابسهم النظيفة حاملين اليهم الخمور والنقول . وقد اعجب ابن المعتز كثيرا بهم فراح يكثر من نعوتهم والتفنن بصفاتهم وما كانوا عليه من رقة ودماثة او تغضب وتبختر . فيصف واحدا منهم بحلاوة الشمائل وصلف المظهر . وتعطر الشعر. وروعة الحسن . وطيب الرائحة فيقول :

بكفِّ ساقٍ حلوٍ شمائلُهُ   مُكرَّهٍ لحظَ عينهِ صلَفا
يقطُرُ مسكاً على غلائلهِ   شعرٌ قفاً بالعبيرِ قد وَكفا
أُفرغَ من دُرَّةٍ وعَنبرةٍ   حسناً وطيباً في خَلقهِ ائتلفا
يُطيِّبُ الريحَ حين تَمسحهُ   فما بريحٍ هبَّتْ عليه خَفا[159]

ويصف ساقيات من ديانات اخرى ، قليلات التحفظ ، مزنرات على خصور راويات . طائفات على الشراب بالمدام فيقول :

وطافتْ بأقداحِ المدامةِ بيننا
بناتُ نصارَى قد برَزْنَ من الخَفَرْ
وتحتَ زنانيرٍ شَددْنَ عقودَها
زنانيرُ أعكانٍ معاقدُها السُّرَرْ[160]

ويصف مجالس الشراب التي كان يرتادها ويختلف اليها وصفا جميلا رائعا ، منها هذا المجلس الذي كان يعقد تحت الظلال الوارفة ، حيث النسيم الرفيف ، وحيث الكؤوس والمزاهر والدنان المصففة . والاباريق المصغية . والزهور الجنية والعطور الشذية :

---

(١٥٩) الديوان (٢/١٧٦-١٧٧) .
(١٦٠) الديوان (٢/١٠٦) .

صاحِ إنّي ملكتُ رقّيَ مولىً   لا يَراني في الحبِّ أصلحُ عبدا
رُبَّ كأسٍ شربتُها من يديـــه   وصباحٍ بوصله كانَ ســـعدا
حيثُ لا تهتدي الهمومُ إلينـا   ونَظُنُّ السرورَ واللهوَ خلدا
في دســاكيرِ ظلَّ روضٍ ظليلٍ   نَتلقّى فيهــا نسيماً وبَرْدا
ودنانٍ كمثلِ صفِّ رجــالٍ   قد أُقيموا ليرقُصُوا دَستبندا
وأباريقَ قد صَغَونَ الى المبـ   زلِ والعلجُ يَقصدُ الدنَّ قَصدا
إذ جعلْنا الوردَ الجَنيَّ علينـــا   مطرا والغمامَ عوداً وندّا(١٦١)

أما اوقات شربها فقد جاء في شعره ما يثني به على شرب الصبوح(١٦٢) وما يتميز به عن شرب الغبوق أو الليل من فضائل وصفات ، من ذلك قوله :

أنا لا أشتهي سماءً كبطنِ العنبرِ والشــربَ تحتهـا في خَرابِ
إنّمـا أشتهي الصَّبوحَ على وجـهِ ســماءٍ مصقولـةِ الجلبـابِ
ونســيمٍ من الصبـا يتمشّـى   فوق روضٍ ند جديد الشــباب
وكأن الشمــسَ المنـيرةَ دينــا   رٌ جَلَتهُ حدائدُ الضرّابِ
في غداةٍ قد متَّعتْكَ ببَردِ الـ   ــساء في يومها وصَفوِ الشرابِ
وغناءٍ لا عذر للعُودِ فيــهِ   بتَندّي الأوتارِ والمضـرابِ
ونَقاءِ البساطِ من وضـرِ الطينِ ومَسحِ الاقــدامِ في كلِّ بـابِ
ونشاطِ الغلمانِ إن عَرضَتْ حا   جاتُهُمْ في المجيءِ أو في الذهابِ

(١٦١) الديوان (٩٣/٢) .
(١٦٢) جاء في محاضراء الادباء ٧٠٨/٢ : (كان ابن المعتز لا يشرب الا بالليل ويقول : الليل امتع لا يطرقك فيه خبر فاظع ، ولا سبب مـــانع ، والنهار أبرص لا يتم فيه سرور) .

وجناف الريحان والنرجس الغضّ بأيدي الخلاّن والأصحاب [١٦٣]

كما أنشأ أرجوزة طويلة يذم فيها شرب الصبوح[١٦٤] ويظهر عيوبه وما يتعرض له فيه الشاربون والندماء من مضايقات وتنغيص ، وما يبديه السقاة من ضجر وامتعاض . منها قوله :

فاسمع فاني للصبوح عائبُ ... عنديَ من أخباره عجائبُ
إذا أردتَ الشربَ عند الفجرِ ... والنجمُ في لُجّةِ ليلٍ يَسري
وكان بَردٌ فالنديمُ يَرتعِد ... وريقهُ على الثنايا قد جَمَد
وللغلامِ ضَجرةٌ وهمهمَه ... وشتمةٌ في صدره مُجمجمَه
يمشي بلا رجلٍ من النعاسِ ... ويَدفقُ الكأسَ على الجُلاّسِ
ويلعَنُ المولى إذا دعاهُ ... ووجهُهُ إنْ جاءَ في قفاه[١٦٥]

ويصف ما تعمله الخمر في شاربيها من أثر في جوارحهم فيقول في أحد السكارى :

ومقتولِ سُكرٍ عاشَ لي إذْ دعوتُهُ
وبادرَ مسروراً يَرى غَيَّهُ رُشدا
وقام يُكفّيهِ بَقايا خُمارهِ
وعيناهُ من خدّيهِ قد جَنَتا وَردا[١٦٦]

---

(١٦٣) الديوان ٢/٤٩٨-٤٩٩ .
(١٦٤) انظر ص (٣١٧) من هذه الدراسة .
(١٦٥) الديوان ٢/٥٤٩-٥٥٠ .
(١٦٦) نفسه ٢/٩٩ .

ويقول في آخر ـ وهو وصف جميل يصور فيه ما كان عليه هذا السكير من الاسترخاء والوهن فهو سريع الارتماء الى الارض ، بطيء القيام الى الكأس :

بنفسيَ مستسلمٌ للرقادِ يحدّثني السُكرُ من طرفهِ
سريعٌ الى الارضِ من جنبهِ بطيءٌ الى الكأسِ من كفّهِ (١٦٧)

كما يصف ما كان يتخاطب به السكارى أيضا من ألفاظ ـ اذا صح التعبير ـ وذلك حيث يقول :

ونديمٍ سقيتُه الراحَ صرفا
ثَميلٍ كلّمّا مَشَى يتكفّا

قلتُ : ها قال : هاتِها قلتُ : خذها
فَحساها كذوبِ تِبرٍ مصفّى (١٦٨)

٢) **الطبيعة :**

الطبيعة بعنصريها ، الحي ما عدا الانسان ، والجامد كالحدائق والحقول والغابات والجبال وما اليها(١٦٩) ، كانت الميدان الفسيح الذي جرى فيهوصف ابن المعتز وتصويره • فقد كانت هذه الطبيعة بكاملها تستهوي الشاعر وتسلك عليه وجدانه واحساسه ، فيسرح الطرف في مجاليها ، ويهيم في مفاتنها ، ويسحر بأشكالها وألوانها ، ومن هنا كاد شعره يكون في أكثره صورة أو تصويرا لما انطوت عليه هذه الطبيعة من كائنات وموجودات في السماء وفي الارض •

وقد افتتن الشاعر بما كان يراه في هذه الطبيعة من أفانين الازاهير وألوانها وأشكالها ، فراح يتفنن في وصفها وتصويرها في كل مناسبة تعن له•

(١٦٧) الديوان (٢/١٧٨) •
(١٦٨) الديوان (٢/١٨٠) •
(١٦٩) انظر شعر الطبيعة في الادب العربي (١٢) •

واكثر وصفه للطبيعة كان يأتي خلال قصائده كما كان يأتي بعض وصفه لهـا خالصا مستقلا .

فالنرجس في حسن احداقه كمداهن الذهب في اوراق الكافور ، وما عليه من طل كالدمع المترقرق من أجفان المهجور :

أَما ترى النرجسَ الميَّاسَ يلحظُنـا
ألحاظَ ذي فَرَحٍ بالعَتْبِ مسرورِ

كأنَّ أحداقَهُ في حسنِ صورتِهـا
مـداهنُ التِبرِ في أوراق كافورِ

كأنَّ طلَّ النـدا فيـهِ لِمبصـرهِ
دَمْعٌ تَرقرَقَ من أجفانِ مهجورِ (١٧٠)

ويصف وصفا جميلا أيضا الورد والبنفسج فيقول في الاول :

أتـاكَ الوردُ مُبيَضاً مصونـاً ... كمعشـوقٍ تكنَّفهُ الصُّدودُ
كأنَّ وجوهَـهُ لَمَّـا توافَتْ ... نجومٌ في مطالعِهـا السُّعودُ
بياضٌ في جوانبِـهِ احمـرارٌ ... كما احمرَّتْ من الخجلِ الخدودُ (١٧١)

ويقول في الثاني وهو من الاوصاف النادرة :

بَنفسجٌ جُمِّعتْ أوراقُهُ فَحكَتْ
كُحلاً تَشـرَّبَ دمعاً يومَ تشتيت

---

(١٧٠) الديوان (٦٠٢/٢) .

(١٧١) الديوان (٥٦٥/٢) .

أَو لازَوردِيَّة أوفتْ بِزُرقتِهــا
وَسطَ الرياضِ على زُرقِ اليواقيتِ

كأنَّهُ وضعافُ القُضْبِ تَحملُــهُ
أوائلُ النارِ في أطرافِ كبريتِ[172]

والرياض بزهورها واندائها كانت تستوقف الشاعر فيستلهم كثيرا من صوره وأوصافه منها كقوله في احداها :

وروضــةٍ باتَ طَلُّ الغيثِ ينسُجُها
حتى اذا نجمت أضحَى يُدبّجُهــا

يبكِي عليها بكاءَ الإلفِ فارقَــهُ
إلفٌ فيُضحكُها طورا ويُبهجُهــا

إذا تنفَّس فيهــا وردُ نَرجســها
ناغى جنيَّ خزاماها بنفسجُها[173]

ولعل أكثر ما كان يستوحي منه صوره واغلب ما عقد عليه اوصافه من فصول السنة هو فصل الربيع ، فقد كان يحبه ويهيم به . لما ينطوي عليه من رقة الهواء وتغريد الطيور ، وفنون الازهار ، فراح يصفه وصفا لطيفا يزدحم بالالوان ، ويضوع بالاشذاء ، ويتسم بالحيوية والحركة ، كقوله :

وانظر الى دنيــــا ربيــعٍ اقبلتْ
مثلَ البغيِّ تَبرَّجتْ لزُنــــاةِ

(١٧٢) الديوان (٢/٥٢٧) .
(١٧٣) نفسه (٢/٦٩) .

جـــاءتْكَ زائرةً كعـــامٍ أولٍ

وتَلبّســتْ فَتعطّـــرتْ بنبـــاتِ

وإذ تَعرّى الصبحُ من كافوره

نطقَتْ صنوفُ طيورِها بلغـــــاتِ

والوردُ يضحـكُ من نواظرِ نرجسٍ

قَذِيتْ وآذانَ حبّهـــا بيممـــاتِ

فَتنوّجَ الـــزرعُ الفتيُّ بِسُنبلٍ

غضّ المكاسرِ أخضرِ الشعراتِ (١٧٤)

وقوله وكان مع احد أصدقائه في آحد أيام الربيع بالعباسية ببغداد :

حبّـــذا آثارُ شـــهراً	فيــهِ لِلنَوْرِ انتشـــارُ
ينقصُ الليـلُ إذا جـــا	ءَ ويمتـدّ النَهـــارُ
وعلى الأرضِ اخضـــرارٌ	واصفـــرارٌ واحمـــرارُ
فكأنّ الروضَ وَشْـــيٌ	بالغتْ فيـهِ التجـــارُ
نَقشُهُ آسٌ ونســـريـ	ـنٌ ووردٌ وبَهـــارُ (١٧٥)

وعلى الرغم من الاوصاف الجميلة السابقة للزهور والربيع فان الشاعر حاول في ارجوزة له يذم فيها الصبوح أن يخصص جزء منها لوصف أنواع الزهور وصف رائع على هذا النحو :

أمـــا ترَى البستانَ كيف نَوّرا	ونشـــرَ المنثورُ بُرداً اصفـرا
وضَحِكَ الوردُ الى **الشقائقِ**	واعتنقَ القطرُ أعتناقَ وامـقِ

(١٧٤) الديوان ٢/٥٧ .

(١٧٥) الديوان ٣/٢٨١ .

في روضــةٍ كحُلَّةِ العروسِ وخُرَّمٍ كهامةِ الطــاووسِ
وياسمينٍ في ذُرَى الأغصــانِ منتّظماً كقِطَعِ العقيــانِ
والسَّروُ مثلُ قُضُبِ الزبرجدِ قد استمد الماءَ من ترب نَدِي
على ريــاضٍ وثرى ثــرى وجــدونٍ كالمبردِ المجليِّ
وفَرجَ الخشخاشُ جيباً وفتقْ كأنــهُ مصاحفٌ بيضُ الورَقْ
حتَّى إذا ما انتثرتْ اوراقـــه وكادَ انْ يشأدَ ريـــاً ساقُه
صـــارَ كأقــداحٍ من البلّورِ كأنـــا تجَّســـتْ من نورِ
وبعضُهُ عُريانُ من أثوابـــه قد خَجِلَ البائسُ من أصحابِه
تُبصـــرُهُ بعد انتشار الوردِ مثلَ الدبابيسِ بأيدي الجنـــدِ
والسوسنُ الآزرُمنشورُ الحُلَلْ كقُطُنٍ قد مسَّهُ بعضُ البَلَلْ
نَوَّرَ في حاشيَتي بُســـتانِه ودخلَ الميـدانُ في ضمانِـــه
وحلَّــقَ البهــارُ فوق الآسِ جُمجمــةً كهامــةِ الشمَّاسِ
وجُلَّنارٍ كاحمـــرارِ الخـــدِّ أو مثلِ أعرافِ ديوكِ الهنــدِ
والأُقحوانُ كالثنايا الغُـــرِّ قد صُقِلَتْ أنوارُهُ بالقطرِ (١٧٦)

والحق ان الانسان ليعجب من زحمة الاوصاف والتشبيهات لافانين الورود والزهور في هذا المثال حتى ليخال نفسه في معرض من معارض الزهور في عصرنا هذا الذي يعنى فيها أصحابها ويتأنقون في اخراجها بكل ما لديهم من طرائق الفن ووسائل الاغراء ، وان الدكتور طه حسين كان على حق حين علق على هذه الاوصاف بقوله : (فهو يستطيع ان يظهرك على ما في البساتين من جمال ، فيصور جمال الرياض والبساتين تصويرا هو آية في الابـــداع

(١٧٦) الديوان (٢/٥٤٠–٥٤١) .

الفني . لا اظن أن احدا قد استطاع ان يأتي بمثله في تشبيهاته واختراع المعاني البديعة التي تثيرها هذه الرياض)[177] .

بيد أن اوصافه لم تقصر على الازاهير والورد فحسب بل كانت تمتد لتشمل ما في الضبيعة من نبات آخر .

فالنخيل ـ وهي الاشجار الشامخة في عنان السماء والكثيرة في العراق بصورة خاصة والتي تحمل البلح الذي يمر بأدوار كثيرة حتى يؤول ثمره الى النضج ـ لفتت نظر الشاعر فيصفها وصفا بارعا بارجوزة طويلة نجتزيء منها بقوله :

أعددت للجار وللعفاة	كُومَ الأعالي متساميات
روازقاً في المحل مُطعِمات	بواركاً في الماء راسخات
بينَ كِمامٍ متهدّلات	كجُمم الغيد المجعّدات
أبدَتْ من الكافور ضاحكات	بيضاً عن الأغماد فاضلات
حتّى إذا صِرْنَ الى ميقات	رُحْنَ من الجوهر مُوقَرات
بالذهب الرَطب مكلّلات	وباليواقيت متوّجات
تباريَ العرائس الضرّات	ثمّ تبدّلنَ بأوعيات
لِعسِ الماذيّ ضامنات	كقطعِ العقيقِ يانعات[178]

والصحارى بما فيها من ترام شاسع وسموم لافح وسراب متلألىء قد لفتت نظر الشاعر أيضا فوصفها وان كان وصفه لها تقليـدا على الاغلب ـ وصف الحذاق المتمكنين . وفي شعره نماذج كثيرة لوصف الصحارى ، ومـا

(177) من حديث الشعر والنثر (164) .
(178) الديوان (2/518-519) .

لاقاه فيها من شدائد وأهوال ، ولعل من اروع ما وصف به حيرة من ضلوا فيها قوله :

ويومٍ من القيظِ اصطليتُ بنـارهِ
وقـــد كان ميزانُ الهواجر يرجَحُ

بِدوّيّةٍ جِنّيّــةٍ تُصعقُ القَطـا
ويُمسِي حيارَى ركبُهـا حيث أصبحوا

ولا شربَ إلاّ قوتُهم من مَزادةٍ
فتُشوكى على ماءِ الحيـاة وتُفتحُ[179]

ووصف السراب الذي كثيرا ما يتراءى لمجتازي المفاوز وصفا جميــلا أيضـا فقال :

ويومِ هجــيرٍ لا يُجيرُ كناسُــهُ من الحرِّ وحشيَّ المَها وهو والجُه
يَظلُّ سرابُ البيدِ فيــه كأنّــه حواشِي رداءٍ نَفّضتهُ نواسجُه[180]

وقال وقد اضاف الى الصورة السابقة صورة أخرى :

بوحشيةٍ قفــرٍ تخــالُ ســرابَها مها مُتعادَىأو مُلاءً مُنشَّرا[181]

وكثيرا ما يحتاج الركب في الصحارى الى دليل يرشدهم ويهديهم الى سبل الامان ، وأهم صفات هذا الدليل الذكاء والفطنة وحدة البصر وشــدة الملاحظة ،ولعل من أجود ما وصف به الدليل قوله الذي اشار به الى صفاته

(١٧٩) الديوان (٢/٢٩٨) .
(١٨٠) نفسه (١/١١١) .
(١٨١) نفسه (١/١٦٤–١٦٥) .

الآنفة كما أشار الى تكنية القوم له عند خشيتهم الظمأ اجلالا له ، وطلبا لمرضاته ، وعدولهم عن ذلك الى اسمه عند بلوغه بهم المورد استغناء عنه :

حتّى إذا اعتدلتْ عليهم ليلةٌ ... سَقَطوا الى أَيدي قلائصَ نُحَّلِ
ثمَّ استثارهمُ دليلٌ فارطٌ ... يسمو لغايتهِ بعيني أجدلِ
يُدعَى بكُنيتهِ لآخرِ ظِمئِها ... يوماً ويُدعَى باسمهِ في المَنهلِ
لَبِسَ الشحوبَ منَ الظهائرِ وجهُهُ ... فكأنه ماويّةٌ لم تُصقَلِ
سارٍ بلحظتهِ إذا اشتبهَ الهُدَى ... بينَ المَجرةِ والسِماكِ الأعزلِ (١٨٢)

وافتتن بالسماء وما اشتملت عليه من شمس وقمر . وكواكب ونجوم . وسحاب ورعد وبرق . فوصف كل هذا وصفا بارعا كثيرا . دل على مهارة فائقة وطاقة شعرية خلاقة . وانه من العسير ان نشل بكل ما قاله في هذا الصدد . فهو يطالعنا في كثير من شعره وفي فنونه المختلفة ، وسنكتفي ببعض منه ــ قال في السحاب :

وساريةٍ لا تسأل البُكا ... جرَى دمعُها في خدودِ الثَرى
سرتْ تَقدحُ الصبحَ في ليلِها ... ببرقٍ كهنديَّةٍ تُنتضَى
فلمّا دنتْ جَلجلتْ في السما ... ءِ رعداً أَجشَّ كجرس الرحا
ضَمانٌ عليها ارتداء اليفا ... عِ بأنوائِها واعتجارُ الربا
فما زالَ مدمعُها باكياً ... على التربِ حتّى أكتسَى ماكتسى (١٨٣)

وقال في مزنة أصابت الارض بوابلها :

ومُزنةٍ جادَ من أجفانِها المطرُ ... فالروضُ مُنتظِمٌ والقطرُ منتثرُ

(١٨٢) الديوان (١/١٦٤ــ١٦٥) وانظر الشهاب في الشيب والشباب (٧٠) .
(١٨٣) الديوان (١/١١ــ١٢) .

تَرى مواقعَهـــا في الأَرضِ لائحــةً
مثــلَ الدراهــمِ تبدو ثــمَّ تســتتِرُ

ما زالَ يلطِمُ خدَّ الأرضِ وابلُهـــا
حتَّى وقتْ خدَّها الغُدرانُ والخُضَرُ(184)

ووصف البرق كثيرا أيضا وتفنن في نعته وتصويره . وغالبا ما كان يأتي وصفه من خلال وصفه للسحاب . فمن ذلك قوله :

رأيتُ فيهــا برقَهـــا لمَّـــا وَثَبْ
كمثلِ طَرْفِ العــينِ أو قلبٍ يَجِبْ

ثمَّ حدَتْ بهـــا الصَّبا كأنمـــا
فيها مــن البــرقِ كأمثــالِ النــهبْ

باكيـــةٌ يَضحــكُ فيهـــا برقُهـــا
موصولــةٌ بالارضِ مُرساةُ الطُّنُبْ

كأنَّهـــا ورعـــدُها مســـــتعبِرٌ
لَــجَّ بــهِ على بكــاهُ ذو صَخَبْ

جاءتْ بجفنٍ أَكحــلٍ وانصرفتْ
مرهــاءَ من إسبالِ دمعٍ مُنسكِبْ

إذا تَعــرَّى البــرقُ فيهــا خلتَـــهُ
بطــنَ شُجــاعٍ في كثيبٍ يضطــربُ

وتـــارةً تبصــرُهُ كأنَّـــهُ
أَبلــقُ مــالَ جُلُّــهُ حــين وَثَبْ

(184) الديوان (585/2) .

وتــــارةً تَخــــالُهُ إذا بـــــدا

سلاســلاً مصقولــة من الذهب[185]

ووصف السماء وقد انتشرت فيها نجومها وصفا لطيفا في قوله :

كأنَّ ســـــماءَها لمَّـــــا تَجلَّتْ

خلالَ نجومِهـــا عنــد الصبـــاحِ

رياضُ بنفسجٍ خَضِـلٍ نَـــداهُ

تَفتَّحَ بينــهُ نَوْرُ الأقاحي[186]

ووصف القمر والبــدر في حالة استحسانه له واعجابه به[187] . وما كان يراه من حالاته في السماء وآثاره في الماء كقوله :

والبــدرُ يأخــذُهُ غيمٌ ويتركُــهُ

كأنــهُ ســافرٌ عن خــدٍّ ملطومِ[188]

وقولــه :

كم ليلةٍ أسهرتُ فيهـــا نجمَها في شطِّ دجلةَ قبلَ أنْ يَتغيَّبـا

والبـــــدرُ يجنحُ للغروبِ كأنــهُ

قد سَلَّ فوق المـاءِ سيفاً مُذْهَبا[189]

---

(185) الديوان (1/41-42) .

(186) الديوان (2/534) .

(187) لابن المعتز شعر يصف فيه القمر وصفا اقرب الى الهجـــاء انظـــر (2/607) .

(188) الديوان (2/226) .

(189) نفسه (3/231) .

وقوله فيه وفي الشمس :

يا ليلةً ما كان أطيبَها سوى قِصَرِ البقاءِ
أَحييتُها وأمتُّها وطويتُها طيَّ الرداءِ
حتَّى رأيتُ الشمسَ تتلو البدرَ في أفقِ السماءِ
فكأنهُ وكأنَّها قدحانِ من خمرٍ وماءِ(190)

ووصف الليل وظلامه وقصره وطوله كثيرا أيضا ، فكان فيه من المجيدين المحسنين . ولعل من أحسن ما قيل في وصف الليلة المظلمة التي لا يستطيع اللحظ لشدة سوادها أن يهتدي الى سبيله — قوله :

ورُبَّ نارٍ ابتدَ الجودَ يُوقدُها
في ليلةٍ من جُمادَى ذاتِ تَهتانِ
يُقَيِّدُ اللحظُ فيها عن مسالكهِ
كأنَّها لَبِستْ أثوابَ رُهبانِ(191)

ومن أطرف ما قيل في الليالي الطيبة قوله :

تَلتقِطُ الأنفاسُ بردَ الندَى
فيهِ فتهديهِ لحرِّ الهموم(192)

ومن ألطف ما وصف به قصر الليل قوله أيضا :

يا ليلةً كاد من تقاصرِها يَعثرُ منها العشاءُ بالسحرِ(193)

(190) الديوان (٢/٤٩٥) .
(191) نفسه (١/١٨٤) .
(192) الديوان (٢/٢٣٧) .
(193) نفسه (٣/٣٠١) .

كما أكثر من وصف النار التي كان يشبهها في الليالي للعفاة والمعوزين كما يقول ، ولعل من أجمل ما قيل في وصفها قوله :

ومُوقِداتٍ بتنَ يَضرمنَ اللهَبْ يُشبِعنَهُ من فحمٍ ومن حطبْ
يَرفَعنَ نيراناً كأشجارِ الذهبْ(194)

وجذبت الطبيعة الحية الشاعر اليها كما جذبته الصامتة من قبل ، فوصف أغلب ما وقع عليه نظره منها . وأبدى في ذلك مكنة فائقة . ومقدرة عالية في الوصف والتصوير .

فقد وصف حمر الوحش والابل والخيول وبخاصة في مقدمات قصائده، وهو في أغلبه ان لم يكن في جله وصف تقليـــــدي محاكاة للقدماء . الا أنه استطاع أن يسمو به الى درجة عالية من الجودة ويطعمه بكثير من المعـــاني والاساليب العصرية حتى أصبح من المعدودين والمشهورين في أوصافها(195) وقد أشار ابن رشيق الى ذلك فقال : (والناس يتفاضلون في الاوصاف ، كما يتفاضلون في سائر الاوصاف . فمنهم من يجيد وصف شيء ولا يجيد وصف آخر . ومنهم من يجيد الاوصاف كلها وان غلبت عليه الاجادة في بعضها : كامرىء القيس قديما وأبي نواس في عصره ، والبحتري وابن الرومي في وقتهما ، وابن المعتز وكشاجم ، فان هؤلاء كانوا متصرفين مجيدين الاوصاف، وليس بالمحدث من الحاجة الى اوصاف الابل ونعوتها ، والقفار ومياهها،وحمر الوحش . والبقر . والظلمان والوعول . ما بالاعراب وأهل البادية ، لرغبـة الناس في الوقت عن تلك الصفات . وعلمهم ان الشاعر يتكلفها تكلفا ليجري على سنن الشعراء قديما . وقد صنع ابن المعتز وابو نواس من قبله ومن

(194) الديوان (2/1.5) .
(195) انظر : شعر الطبيعة في الادب العربي (163) .

شاكلهما في تلك الطرائق ما هو مشهور في اشعارهم ...)[196] . لقد وصف الحمار الوحشي وصفا حيا في قوله :

كأنّي حشوتُ الرَّحلَ ساكنَ قفرةٍ
من العينِ لا تَحسَى عليهِ المراتعُ

إذا ليلةٌ ظلّتْ عليهِ مطيرةً
تجافتْ به حتى الصباحِ المضاجعُ

غدا يلمحُ الأفقَ المريبَ بطرفِهِ
وفي قلبهِ من خيفةِ الإنسِ رائعُ

وإلاّ فوحشيٌّ قرورٌ كأنّهُ
حواريُّ ديرٍ أبيضُ الثوبِ راكعُ

أتى الماءَ لمّا اصفرَّ وجهُ ربيعهِ
لحافرهِ فوقَ الصخورِ قعاقعُ

تُباريهِ حقبٌ كالقِداحِ حواملٌ
أجنّةَ غيثٍ فهي شُوسٌ موانعُ

فيا شرَّ بردِ الماءِ والغيلُ حولهُ
يُخافُ وحبّ الرّيِّ للنفسِ ذارعُ

كأنَّ حَبابَ الماءِ فوقَ فروجهِ
قواريرُ أصفارٌ جلاهنَّ بائعُ[197]

---

(196) العمدة ٢/٢٩٥ .

(197) الديوان (١/٤٧١-٤٧١) .

ووصف سرعة حمر الوحش فقال :

و يكــدنَ يخرقْنَ الجلو   دَ لشدّةِ الرّوعاتِ(١٩٨)

كما وصف الابل وصفا جيدا كقوله :

ولكـــنْ قرّبوا قُلُصـــاً حِثاثا
عواصفَ قـد حُنِينَ من المِــراحِ

وكلّ مُــرتّوعِ الحَركاتِ نــاجٍ
بأربعـــةٍ تَطـيرُ بـه صِحـاحِ

كأنّ عنانه نهضته رفعنـــا
خِبــاءً فوقَ أطرافِ الرمــاحِ(١٩٩)

وأبدع في اوصاف سرعتها كما في قوله :

ولـم نَزَلْ نَخيطُ البـلادَ بأخفـا
فِ المَطـايا والظـلُ مُعتــدِلُ

كأنّمـا ضارَ تحتَنـا قَزَعٌ
على أكفِّ الريــاحِ يَنتقِلُ(٢٠٠)

وقد أكثر من نعت الخيول . وأفاض في الحديث عن أوصافها وشياتها وأعضائها وسرعتها وكل ما يتعلق بشأنها . حتى أصبح أحد وصافيهـــا المعدودين المعروفين ، فمن ذلك قوله وهو من أجمل ما قيل في الجواد وأجوده وألطفه فيما نحسب :

(١٩٨) الديوان (٢/٢٨٩) .
(١٩٩) نفسه (١/٧١-٧٢) .
(٢٠٠) الديوان (١/١٤٧) وانظر ايضا الديوان (١/٢٣٩) الرقم (١٣٠) .

ولقد وَطِئتُ الغيثَ يحملُني
طِرفٌ كلونِ الوردِ حينَ وَرَدْ

يمشي فيعرِضُ في العِنانِ كما
صَدَفَ المُعشَّقُ ذو الدلالِ وَصَدْ

طارتْ به رِجلٌ مُلسَّعَةٌ
رجَّامةٌ لحَصَى الطريقِ وَيَدْ

جسَّاعُ أطرافِ الصُّوارِ فما ا
لأولى عليهِ إذا جَرَى بأشدْ

بَلَّ المَهَا بدمائهنَّ ولمْ
يبتلَّ منه بالحميمِ جَسَدْ

وكأنَّه رَشَأٌ برابيةٍ
يَعطو بأكرمِ صفحتينِ وخدْ

وكأنه موجٌ يَذوبُ إذا
أطلقتَهُ وإذا حَبستَ جَمَدْ

وكأنه بَرْدٌ على أسلٍ
طَارتْ بهِ الأرواحُ ثمَّ رَكَدْ(٢٠١)

وعنى كثيرا بوصف سرعتها ، ومن جميل ما قاله في هذا الصدد قوله :

يكادُ أنْ يجريَ من اهابهِ
إذا تَدلَّى السوطُ لولا اللبب(٢٠٢)

---

(٢٠١) الديوان (٢/٣٠٩–٣١٠) وانظر أيضا (١/٤٦–٤٧ ، ٥٠٢) .
(٢٠٢) الديوان (٣/٢٢٨) وانظر أيضا (٢/٣٢٦–٣٧٢ ، ٥٠٥–٥٠٧) .

ووصف الى جانب ذلك حيوانات اخرى كالاسد والديك والافعى والحرباء وصفا لا يقل في جماله واجادته عما سلف من الاوصاف •

(١) الطرد :

وصف ابن المعتز كثيرا من الجوارح والضواري التي كانت تُعلَّم وتدرب وتستعد للصيد والطرد : كالكلاب والفهود والبزاة والصقور والبواشق وغيرها •

وتهيأ له من القدرة الفنية ، والطاقة الشعرية ما بوأه مركزا مرموقا في هذا الشأن ، حتى كان يعد في طليعة المشهورين بهذا الفن من الطرديين[٢٠٣] •

لقد وصف من هذه الحيوانات الكلاب وصفا كثيرا ، وتفنن في اسناد النعوت اليها وفي اظهار قدرتها وتعلمها على الصيد ، ووصف أشكالها واعضاءها وسرعتها وطريقة اصطيادها وكل ما يتعلق بمهنتها • والامثلة على هذا أكثر من أن يمثل لها ، ونجتزىء بمثال واحد منها ، وهو قوله :

قد أغتدي والليلُ كالغرابِ داجي القناعِ حالكُ الجلبابِ
ملتفّ السُّدولِ مُغلَقُ الأبوابِ حتّى بدا الصبحُ من الحِجابِ
كشيبةٍ حلّتْ على الشبابِ بكلبةٍ سريعةِ الوثابِ
تفوتُ سبقاً لحظةَ المُرتابِ كنجمِ أُفقٍ لجَّ في انصبابِ

(٢٠٣) انظر العمدة ٢/٢٩٦ ، ومعجم الادباء ١٧/١٦٥ ، والابانة عن سرقات المتنبي ٢٥٨ .

من الجدير بالذكر اننا لم نجد فيما وصل الينا من اخبار ابن المعتز ما يشير الى ولوعه بالقنص او اشتراكه في حفلاته . الا ان في ديوانه قسما قائما بنفسه عن الطرد ، مما يدعو الى الاحتمال الكبير في اهتمام الشاعر أو انشغاله بهذا الضرب من ضروب الاستمتاع في وقت من اوقاته . ونحن نعلم ان بعض من اتصل بهم من الخلفاء ، كالمعتضد والمكتفي كان يميل الى هذا النوع من الحياة (انظر ص(٢٣ـ٢٤) من هذه الدراسة) . على ان هذا لا ينافي ان يكون قد جارى في بعض طردياته من سبقه من الشعراء .

تنساب مثل الأرقم المنساب كأنما تنظر من شهاب
بمقلة وثقف على الصواب فكم وكم من خزر وثاب
قد قصته بشبا الأنياب ومنعته جولة الذهاب

لم تدمه حفظاً على الأصحاب (٢٠٤)

ووصف الفهد وصفا دقيقا شاملا ، وأبان سرعته وطريقة صيده . وذعر الطريد اذا ما أحس به ، كما وصف ألوانه وجوارحه ومكان جلوسه من الصائد اكثر من مرة ، ونكتفي للتدليل على هذا بقوله فيه :

ولا صيدَ إلاّ بوثّابـــة تطيرُ على أربـــعٍ كالعَذَبْ
وإنْ اطلقتْ من قلاداتهـــا وطـــارَ الغبارُ وجدَّ الطّلبْ
فزوبعـــةٌ من بنـــاتِ الرياحِ تريكَ على الأرضِ شـــداً عجبْ
تَضُـــمُّ الطـــريدَ الى نحـــرِها كضمِّ المُحِبَّةِ مَنْ لا يُحِبْ
إذا ما رأى عدوَّها خلفَـــهُ تنـــاهتْ ضمائرُهُ بالعَطَبْ
ألا رُبَّ يـــومٍ لهـــا لا يُـــذَمُّ أراقتْ دماً وأغابتْ سَـــغَبْ
لهـــا مجلسٌ في مكانِ الرديفِ كتركيةٍ قـــد سبتْها العَرَبْ
ومقلتُها ســـائلٌ كحلُهـــا وقـــد جُلّيتْ سَـــبَجاً في ذهبْ
غدتْ وهي واثقـــةٌ أنَّهـــا تقومُ بزادِ الخميسِ اللَّجِبْ (٢٠٥)

كما كثر وصفه للبزاة وهو وصف لا يقل روعة عن أوصافه السابقة تناول فيه كل ما يتصل بهيئاتها واعضائها وضيرانها وانقضاضها على طريدتها الى غير ذلك ، كقوله في احداها :

---

(٢٠٤) الديوان (٢/٤١٩ـ٤٢٠) .
(٢٠٥) الديوان (١/٤٠٤ـ٤٠٥) .

غدوتُ للصيدِ بفتيانٍ نُجُبْ	وسببٍ للرزقِ من خيرِ سَبَبْ
غدا فلاقى الطيرَ حتفٌ من كَثَبْ	وهي على ماءِ الخليجِ تصطحِبْ
يقلبُ دَيَاني النفوسِ قد وَجَبْ	ذو مقلةٍ تَهتِكُ أستارَ الحَجُبْ
كأنها في الرأسِ مِسمارُ ذهبْ	كانتْ لنـــا وسيلةً فلم تَخِبْ
يعلو النشانَ كالأميرِ المُنتصِبْ	أمكنهُ الجودُ فأعطى ووهَبْ
ذو مَنسرٍ مثلِ السنانِ المُختضِبْ	وذنبٍ كالذيلِ رَيّانِ القَصَبْ
أسبلَ فوقَ عُطبةٍ من العُطَبْ	كأنّ فوقَ ســاقهِ اذا انتصبْ
من حُلَلِ الكتّانِ رانًا ذا هُدُبْ	قد وَثِقَ القومُ له بما طَلَبْ
فهو إذا جلّى لصيدٍ واضطربْ	عزّ واسكاكينَهمُ من القُرُبْ(٢٠٦)

ومما وصفه من جوارح الطير أيضا الصقر ونحا فيه منحى وصفــــه للبازي(٢٠٧) .

غير أن الوصف عند ابن المعتز لم يقتصر على المجالات السابقة وانمـا اتسع لشمل مجالات اخرى نرى من المفيد أن نشير الى بعض اوصافه فيهـا اتماما لتصوير فنه في هذا الشأن .

فقد وصف القصور والدور ، العامرة منها والغامرة ، التي كان يختلف اليها كقصور أهله أو قصور الخلفاء وبخاصة المعتضد .

والحق انه لم يصف قصور أهله كثيرا وهي القصور العجيبة التي كانت من أروع ما بني في عهدها وكنا نتوقع منه أن يصور لنا ما كانت عليه من الروعة والفخامة وخاصة قصور أبيه المعتز كالكامل والســاج وغيرهمـا ،

---

(٢٠٦) الديوان (٢/٤١٥) .
(٢٠٧) نفسه (٢/٤٦٨) .

والتي أشاد بها ووصفها وصفا رائعا كثيرا البحتري[٢٠٨] . ان كل ما جاء في وصفه للكامل قوله :

والكاملِ الفردِ لا أنيسَ بـــهِ ... بعـــدَ ملوكٍ جحاجحٍ نُجُبِ
يضحكُ نقشُ الرخامِ فيـــهِ الى ... ســـقفٍ بنارِ الإبريزِ ملتهبِ
عهـــدي به وهو آهل بهجٌ ... غيرٌ بفَجعِ الأيامِ والنُّوَبِ
تخطِرُ فيه أُســودُ مملـــكةٍ ... حولَ إمـــامٍ بالتاجِ مُعتصبِ
ثُمَّ طغتْ أسدُهُ فقد مُسِختْ ... يوماً يُنادينَ فيهِ بالحَـــرَبِ[٢٠٩]

وهو كما ترى ــ وصف عام سريع ــ ولكنه وصف قصر الثريا أحــد قصور المعتضد المشهورة ببغداد[٢١٠] اكثر من مرة . وذلك من خلال مدائحه للمعتضد واعطانا صورة جميلة واضحة عنه وما كان يشتمل عليه من جدران ساطعة . وسقوف لامعة وجنان وارفة ورياض غن وميدان واسع . تجول فيه أصناف الحيوان . فقال :

ما لِلثريـّـــا شـــــــبيهٌ ... فيما بَنَى قَطُّ بـــــاني
حيطانُـــــــهُ من نـــور ... والسقفُ من نــــــيرانِ

(٢٠٨) انظر سامراء في أدب القرن الثالث الهجري (٢٢٤ــ٢٨٨) .

(٢٠٩) الديوان (٢/٢٧) . وصف البحتري القصر الكامل وصفا رائعا . انظر هامش ص (٤٠) من هذه الدراسة .

(٢١٠) من الجدير بالذكر ان الاستاذ سيد الاهل يقول في كتابه (عبدالله بن المعتز ٩٥ أما وصف الدور والقصور فتلك خصيصاه لانه ابنها والمتقلب بينها والساري بين حجراتها وبساتينها والذائق لحلوها ومرها يصف قصر الثريا في سر من رأى مرة واخرى فيبدع) . والصحيح ان الثريا في بغداد لا في سامراء . انظر هامش ص(١٥) من هذه الدراسة .

وأغصـانٌ دانيـاتٌ لِلعينِ بين جنـانِ
والمـاءُ يَغدو عليهـا في جَـدولٍ رَيّـانِ [211]

وله فيه أيضا وقد استطرد في أوصافه أكثر من الأول :

جِنـانٍ وأشجارٌ تلاقتْ غصونُهـا
فأورقنَ بالإثمارِ والوَرَقِ الخُضْرِ

تَرَى الطيرَ في أغصـانهنَّ هواتفـاً
تَنَقَّلُ من وَكرٍ لهنَّ الى وَكْرِ

هجرتَ سواهـا كلَّ دارٍ عرفتَهـا
وحُقَّ لدارٍ غيرَ دارِكَ بالهجـرِ

وبنيانُ قصرٍ قد علَتْ شُـرفاتُهُ
كصفِّ نساءٍ قد تَربَّعنَ في الأُزرِ

وأنهـارُ مـاءٍ كالسلاسـلِ فُجِّرتْ
لِترضعَ أولادَ الرياحـينِ والزَّهـرِ

وميدانُ وَحشٍ تركضُ الخيلُ وسطَهُ
فيُؤخَـذُ منها ما يشاءُ على قدرِ

إذا مـا رأتْ مـاءَ الثريّـا ونبتَـهُ
نَسِينَ وثوبَ الكلبِ فيهنَّ والصقرِ [212]

---

(211) الديوان (1/597–598) .

(212) نفسه (1/435–436) .

وندب منزلا كان له في نفسه منزلة رفيعة ، لما قضاه في ربوعه من عهود وأوطار ووصف ما كان عليه وصفا جميلا رائعا يقف في مقدمة اجمل ماوصف به منزل في هذا الصدد ، فقال :

لا مثلَ منزلةِ الدويرةِ منزلٌ
يا دارُ جادَكِ وابلٌ وسقاكِ

بؤساً لِدهرٍ غيَّرتكِ صروفُهُ
لم يَمحُ من قلبي الهوى ومحاكِ

لم يحلُ للعينينِ بعدكِ منظرٌ
ذُمَّ المنازلُ كلُّهن سواكِ

أيُّ المعاهدِ منكِ أندبُ طيبَهُ
مُمساكِ ذا الآصالِ أمْ مغْداكِ

أمْ بَرد ظلِكِ ذي الغصونِ وذي الحَيَا
أمْ أرضِكِ المَيثاءَ أمْ رَيَّاكِ

فكأنما سطعتْ مَجامرُ عَنبرٍ
أوفُتَّ فأرُ المسكِ فوقَ ثَراكِ

وكأنما حصباءُ أرضكِ جوهرٌ
وكأنَّ ماءَ الورد دمعُ نداكِ

فكأنما أيدي الربيع ضُحيَّةً
نَشَرتْ ثيابَ الوشيِ فوقَ رُباكِ

فكأن درعـــاً مُفرغـاً من فِضَّـــةٍ

ماءُ الغديرِ جرَتْ عليهِ صبـــاكِ (٢١٣)

ووصف غير الدور أشياء أخرى تتصل بأمور الحياة والمجتمع ، كالحسد والحساد . والمغنين والمغنيات. كما وصف السيوف والرماح والاقلام والدفاتر، وما الى ذلك . فكان من البارعين المجيدين في اوصافها جميعا .

الحكـم :

في شعر ابن المعتز كثير من الحكم ، وجلها يأتي في تضاعيف شـعره ، وهي في أغلبها وليدة تجاربه وثمرة تفكيره . ومما تلقنه في حياته من العلوم العربية الاسلامية(٢١٤) . وقليل جدا منها مما تأثر به من الثقافات الاخرى، حتى لنكاد نزعم ان اثر هذه الثقافات في شعره كان من الندرة بحيث يكاد يختفي ويتلاشى(٢١٥) .

---

(٢١٣) الديوان (٢/٣٧٣–٣٧٤) .

(٢١٤) يقول الاستاذ سيد الاهل في صدد تاديب ابن المعتز : (قد بـــذل الضرى في العناية بالامير اكثر ما يقدر عليه من ضروب الاخذ والاثـــارة وايقظ بديهته . وعلمه التانى وحسن التصرف بتسلم العاقبة ... وقد جاوبت طبيعة ابن المعتز جهود مؤدبة على عجل ، فجعل ياخـــذ المؤدبين في بعض الاحيان بما كان يجب أن يسبقوا اليه) ، ثم يشـــير الى حادثتين وقعتا لابن المعتز مع أحد مؤدبيه ، استدل منهما على انه قد تعلق بالحكمة صغيرا . (عبدالله بن المعتز ٢٠–٢١) .

(٢١٥) جاء في الذخائر والاعلاق ص ٣٦ : (قال بعض العلماء مازال العـــاقل يشقى بعقله لحسن نظره وصحة تفكيره وما زال الجاهل ينعم بجهلـــه لقلة نظره ونطول تفكيره وقال ارسطاطاليس : العاقل لا يلازم شهوة الطمع لعلمه بزوالها والجاهل يظن انها خالدة فهو يتلذذ بها ويبقـــى عليها فهذا شقى بعقله وهذا ينعـــم بجهله . اخذه عبدالله بن المعتـــز فقـــال :

ذو العقل يشقى في النعيم بعقله　　　واخو الجهالة في الشقاوة ينعم

وتمتاز هذه الحكم بالوضوح وسهولة العرض وتنأى عن كل تعقيد أو التواء . وهي تتناول الحياة والموت والانسان وما يتصل به .

والحق ان ابن المعتز استطاع ان يفيد من تجاربه الكثيرة التي مر بهـا وهي تجارب غنية فيها قسوة ، وفيها لذة ، فقد استنبط من مصارع أهلـه وأقربائه وأصدقائه وغيرهم عبرا وعظات ، كما وقف على كثير من ظواهر الناس ودخائلهم ، وعرف ضعف الانسان تجاه الزمن او الدهر ، فحياة الانسان هذه لاتعدو أن تكون ظلا متنقلا ، فكان لهذا كله اثره البعيد فيما بثه في قريضه من حكم وأمثال .

ولكن هل كان له نهج أو فلسفة واضحة في هذا الشأن . ان الذي لفت نظري ان ابن المعتز كان يقف أحيانا من المشكلة الواحدة او الامر الواحد موقفين متناقضين او متضادين ، ويتضح هذا في موقفه من الدهر والرزق والمال والعقل والجهل وغير ذلك .

ويخيل اليّ ان السبب في هذا يرجع الى أنما كان يصدر عنه في هذه الامور كان نتيجة موقف خاص او ظرف طارىء .

ومر بنا ان الشاعر قد انطلق في الحياة يعب من ملذاتها وشهواتها وانـه كان يراها فترة قصيرة من عمر الزمن الطويل ، فأقبل عليها اقبالا شديدا ، وذكرنا أيضا أنه على الرغم من استرساله في هذا الاتجاه فان شيئا من الالم

وأخذه أيضا أبو الطيب فقال :

وحلاوة الدنيا لجاهلها ومرارة الدنيـا لمـن عقـلا)

وواضح ان البيت الاول للمتنبي وان الثاني لابن المعتز وان الثاني سابق فيه الاول ، غير ان ابن المعتز على ما يبدو قد نظر فيـه الى قـول البحتري :

ارى الحلم بؤسا للمعيشة للفتى ولا عيش الا ما حباك به الجهل

(انظر ابن المعتز وتراثه في الادب ١٨٤) .

او الحزن كان يبدو من خلال ما جاء في اوصافه لهذه الحياة ، مما يدل على عمق تأثره بالحوادث المفجعة التي حلت به وبأهله .

لقد وقف من الدنيا وما اشتملت عليه من هموم وآثام موقف المندد لها الثالب لآمالها أو البقاء فيها . فهول يقول :

وجرّبتُ حتى قد قتلتك خِبرةً
فأنتِ وِعاءٌ حشوُهُ الهَمُ والوزر[216]

ويقول :

لا تأسفنَّ من الدنيا على أملٍ　　فليسَ باقيهِ إلاَّ مثلَ ماضيهِ[217]

ويقول :

عشقَ البقاءُ وانما　　طولُ البقاءِ هموم[218]

ويقول :

وقد بدا ليَ فيما قد هُديتُ له　　أنَّ الحياةَ الى دارِ البِلَى سَفَرُ[219]

والدهر أو الزمن الذي يحمل في طياته الكوارث والمصائب والذي لا يقف أمامه شيء قد شغل تفكير ابن المعتز كثيرا ، فراح يشكوه حتى لكأنه يبدو أزاءه في شيء من الضعف ، واليأس . ولم يحاول أن يظهر هذا الدهر بمظهر الضعف حيال الانسان الا مرة واحدة وذلك في قوله :

عَظُمتْ مِنّةُ الإلهِ علينا　　إنما الدهرُ خادمُ الانسانِ[220]

(٢١٦) الديوان (١٧٣/٢) .
(٢١٧) الديوان (٣٩٦/٣) .
(٢١٨) نفسه (٩٢/٣) .
(٢١٩) نفسه (١٦٢/٣) .
(٢٢٠) نفسه (٢٥١/٢) .

أما سوى ذلك فالدهر أو الزمن هو القوي المسيطر الذي يلعب بالانسان ويتحكم بمصائره ومقدراته ، وله في ذلك شعر كثير منه قوله:

ما المـرء إلاّ كعَـيرِ السّـوءِ يضربُهُ
سَوطُ الزمانِ ولا يمشِي على السَّنَنِ[221]

وقولـه :

واني رأيتُ الدهـرَ في كلِّ سـاعةٍ
يسـيرُ بنفسِ المـرءِ والمرءُ جالسُ[222]

وقولـه :

يا نفسِ صبـراً للزمـان وريبـهِ
فهو المليءُ بمـا كَـرِهتِ فسـلمي[223]

وقولـه :

كذاكَ صـروفُ الدهرِ يلعبنَ بالفتى
ويجرحنَهُ عمـداً وهن طبائبُـه[224]

والموت الذي كتب على كل انسان والذي كثيرا ما كان يصحب الدهر أو يحمل في حوادثه ونوائبه قد وقف منه الشاعر أيضا موقف الرهبة والتأمل، فهو أمر لا مناص منه ، ومنهل لابد من وروده ، ونهاية لكل حي ، فهو يقول:

(٢٢١) الديوان (٣١٠/٣١) .

(٢٢٢) نفسه (١٢٧/١) .

(٢٢٣) نفسه (٨٥/٣) وانظر ايضا (٢١٥/٣–٢١٦) .

(٢٢٤) الديوان (٢٨٥/٢) .

أينَ مَن يسلمُ من صـــرفِ الردَى
حَكَم الموتُ علينـــا فَعــدَلْ[٢٢٥]

ويقول :

واني على جهلِي بدهرِي لعـــالمٌ
بأنَّ المنـــايا لِلبرايـا منـــاهلُ

ولم أرَ مثلَ الموتِ حقـاً كأنـــهُ
إذا ما تخطتــه الاماني باطلُ[٢٢٦]

ويقول :

لا بدَّ مِن أنْ يَحُـــلَّ موتٌ
عقـدةَ نفسٍ من كـلِّ حيٍّ[٢٢٧]

ومن أجل هذا فان معاتبة الحوادث أمر لا غنى فيه :

وخـلِّ عتـابَ الحادثاتِ لوجهِهـا
فانَّ عتـابَ الحادثاتِ عنـــاء[٢٢٨]

وهذه الحوادث يمكن تخفيف وطأتها على الانسان وذلك باحتماله لها وصبره عليها ، فتكرارها عليه سيؤدي الى اعتياده عليها ، والى اضعاف حزنه وآلامه منها ، فهو يقول :

---

(٢٢٥) الديوان (٣/٨١) .
(٢٢٦) نفسه (٣/١٩٥) .
(٢٢٧) نفسه (٣/٢١٥) .
(٢٢٨) نفسه (٢/١٤) .

إنَّ للمكروهِ لذعــةَ همٍّ

فاذا دامَ على المرءِ هانــا[229]

ويقول في القرقس :

قد قَطَعَ القِرقسُ جلدِي عضـــا

يُدمنُ إســخاطَكَ حتى ترضَى[230]

ويقول :

خليليَّ إنَّ الدهــرَ ما تريانــهِ

فصبراً وإلاّ أيُّ شيءٍ سوى الصبرِ[231]

ويرى أحيانا أن ما يفجع به الانسان مقدر له ، من الله تعالى ، فلا عليه أن يأسف على ذلك :

لا تأسفنَّ على شيءٍ فُجعتَ بــهِ

فكلُّ ما قدَّرَ الرحمنُ مصنوعُ[232]

على ان ما في هذه الحياة من ضروب النقم والمكاره والحوادث لا ينبغي ان ينظر اليها بمنظار اسود فقد تعقب المحبةُ المكروهَ ، وقد يحلو هذا المكروه بعد مرارته ، ويرتجَى الامر الذي يتقَى ويخشَى ، اذ ليس كل ما تحبـه النفوس نافعا ، ولا كل ما تخافه ضارا ، فهو يقول :

وقد يَعقبُ المكروهَ يوماً محبـةٌ

وكلُّ شديدٍ مرةً سيهونُ[233]

(٢٢٩) الديوان (٢/٢٥٠) .
(٢٣٠) الديوان (٢/٦٠٨) .
(٢٣١) نفسه (١/٩٤) .
(٢٣٢) نفسه (٣/١٨٣) .
(٢٣٣) نفسه (١/٥٩٦) .

ويقول :

وكم نعمةٍ لله في صرف نقمةٍ
تُرجّى ومكروهٍ حلا بعد إمرارِ

وما كلُّ ما تهوى النفوس بنافعٍ
وما كلُّ ما تخشى النفوسُ بضرّارِ(٢٣٤)

وقد يعكس الامر كما في قوله :

يا رُبَّ مُبكيةٍ في طيّ مُضحكةٍ
ورُبَّ مؤلمةٍ في ثني لَذّاتِ(٢٣٥)

وقوله :

دعي عنكِ المطامعَ والأماني فكم أُمنيةٍ جلبتْ مَنيّه(٢٣٦)

وفي هذه الحياة ضروب من المتناقضات يعرضها الشاعر دون ابداء رأيه فيها أو في أسبابها . منها قوله :

رُبَّ عَيرٍ يَرعَى ويعلفُ ما شا ءَ وليثٍ يجوعُ في الصحراء(٢٣٧)

وقوله :

قد يحصُدُ الحبةَ غيرُ الحارثِ وتُدهَقُ الدلْو لِغيرِ النابث
كم حازمٍ صادٍ خميصٍ غارثِ يصيحُ في صِماخِ حظٍّ رابثِ(٢٣٨)

---

(٢٣٤) نفسه (١/٣٤٠) وانظر (٣/٢١٥) .
(٢٣٥) نفسه (٣/٢٤٩) .
(٢٣٦) الديوان (٢/٢٢٤) وانظر ايضا (٢/١٠٩-١١٠) .
(٢٣٧) نفسه (٣/٢٢٤) .
(٢٣٨) الديوان (٣/١٤٥) .

وقوله :

وربَّ واردةٍ للبحـــرِ قــد شَـــرِقَتْ
فهلكَتْ وارتوتْ أُخرى على الثَمَدِ [٢٣٩]

على أن هذا لا يعني أن الشاعر كان يدعو الى التواكل او الى تثبيط الهمم . فهو يدعو من جهة اخرى الى السعي في هذه الحياة ، كما في قوله :

فان الحي ما لم يـــكُ ذا ســعيٍ كمقبورِ [٢٤٠]

على الرغم من قوله أيضا :

إنْ كـــان يُخطيءُ سَـعيي ما أُقدّرُهُ
فليسَ يُخطيءُ ما قـــد قـدّرَ اللهُ [٢٤١]

وقوله :

فـــرغَ اللهُ من الـــرزقِ ومـــن
مدّةِ العمرِ ومن وقتِ الأجـــلْ [٢٤٢]

والانسان في هذه الحياة يضطر أحيانا ان يطامن من نخوته ويتنازل عن كبريائه والا فانه سيعرض نفسه للاخطار التي لا قبل له بطاقتها ، وسيتحملها رضي أو أبى . فهو يقول في هذا :

ومنْ يُسنعِ الماءَ الزُلالَ ويَمتنِـعْ
من الشربِ من سُؤرِ الحِمارِ تَغضبّا

---

(٢٣٩) الديوان (١٥١/٣) وانظر ايضا (٣ / ١٥٠ ، ١٥٥ ، ١٨٨ — ١٨٩) .
(٢٤٠) نفسه (١٦٧/٣) .
(٢٤١) نفسه (٢١٤/٣) .
(٢٤٢) نفسه (٨٤/٣) .

خنيق إذا لم يستطع شرب غيره

وخاف المنايا أن يذل ويشربا

إذا المرءُ لم يقدر له ما يريدهُ

تحمَّل ما يُقضى له شاء أو أبى[٢٤٣]

والمال الذي كان وما يزال المادة الاساسية في حياة الانسان ، قد نظر اليه الشاعر من زاويتين ـ الاولى أنه وسيلة للتمتع في هذه الحياة ، وان المالك له اولى به من غيره ، فعليه اذن أن يتمتع به قبل ان يحوزه الورثة ، فهو يقول:

سابِقْ الى مالكَ وُرّاثَهُ ما المرءُ في الدنيا بِلَبّاثِ

كم صامتٍ يَخنُقُ أكياسَهُ قد صاحَ في ميزانِ ميراثِ[٢٤٤]

ويقول :

وما العيشُ إلاّ مدّةٌ سوف تنقضي

وما المالُ إلاّ هالكٌ عندَ هالكِ[٢٤٥]

وعليه أيضا أن يكون جوادا كريما ما دامت النهاية معروفة له وما دام الكريم مخلدا بمعروفه ، فهو يقول :

إذا لم أجُدْ بالمالِ جادَ بهِ الدهرُ

على وارثي والكفُّ في قبرِها صِفرُ[٢٤٦]

---

(٢٤٣) الديوان (٣/٢٢٨) .

(٢٤٤) نفسه (٣/١٤٦) .

(٢٤٥) نفسه (١/١٤٥) وانظر ايضا (٢/٥٦٤) .

(٢٤٦) نفسه (١/١٢٥) وانظر ايضا (٣/١١١) .

ويقول :

إنَّ الـكريمَ مُخلَّدٌ وحيـاتُهُ معروفُهُ[247]

والثانية انه معيار لقيمة الانسان ومركزه في الحياة ، بغض النظر عن الصفات الاخرى . وان البخل به أفضل من سؤال البخيل . فهو يقول :

إذا كنتَ ذا ثـروةٍ من غنىً فـأنتَ المُسـوَّدُ في العـالم
وحسبكَ من نسـبٍ صورةٌ تُخبِّرُ أنكَ من آدمِ[248]

ويقول :

يا رُبَّ جودٍ جـرَّ فقـرَ امرئٍ
فقـامَ للنـاسِ مَقـامَ الذليـلِ
فاشـددْ عُرَى مالِكَ واسـتبقِهِ
فالبخلُ خيرٌ من سؤالِ البخيل[249]

واكبر الظن آن الشاعر قال هذين المثالين في ساعة من ساعات احتياجه او مطله من قبل بعض من كان يسترفدهم .

ووقف من العقل أو الحلم والجهل موقفين أيضا . فمرة يرى ان الحلم انفع لاهله وان الجهل بالنسبة اليه مقلم الاظفار فيقول :

والحلمُ يَنفـعُ اهلَـهُ والجهلُ مَقلومُ الأظافِرِ[250]

ومرات اخرى يرى عكس ذلك ، فيقول :

ألا رُبَّ حِـلمٍ عادَ رِقّـاً وذِلّـةً
وجهلٍ بهِ مُعطيكَ ذو الجهلِ ما تَرضَى[251]

(٢٤٧) نفسه (١٨٤/٣) .
(٢٤٨) الديوان (٢٠٧/٣) .
(٢٤٩) الديوان (٢٠٠/٣) .
(٢٥٠) نفسه (٤٧/٣) .
(٢٥١) نفسه (٣٤٠/٢) .

ويقول :

لذّةُ الدنيـا لِجاهلِهـا وعذابٌ هيَ لِلعـاقلِ[٢٥٢]

وللشاعر حكم أخرى استقاها من المجتمع الذي عاش فيه . فقد شكا كثيرا من الاقارب والاصدقاء وأبناء العم . من ذلك قوله :

لحومُهمُ لحمي وهمْ يأكلونَـهُ
وما داهيـاتُ المـرءِ إلاّ أقاربُـه
وما نَسبُ الأقوامِ إلاّ عـداوةٌ
واكثرُ مَنْ تَشقَى بهِ من تناسبُه[٢٥٣]

ويقول :

غَطّى ذنوبَهُمُ عفوي فقد أمِنوا
والجهلُ حينَ يَضيعُ الحِلمُ مَعذورُ
ومن حوائجِ نفسـي أنْ أُعالنَهمْ
لا يُحطَمُ النبعُ إلاّ وهو مَقشـورُ
وقد أُكاشِـرُ أقواماً على حَنَقٍ
والسيفُ يضحكُ غيظاً وهو موتورُ[٢٥٤]

كما له حكم أخرى تتصل بالآداب وعلاقة الافراد بعضهم ببعض ، كحفظ السر . والزيارة ، والاعتذار ، والحذر ، والشورى ، والتوقي ، وعـدم

---

(٢٥٢) الديوان (٧١/٣) وانظر ايضا (١٨١/٣) .
(٢٥٣) نفسه (٢٨٣/٢–٢٨٤) .
(٢٥٤) الديوان (٣٢٩/٢) .

الاستهانة بصغار الامور . والحث على انتهاز الفرص ، والحض على القوة والاقدام على اتمام العمل . الى غير ذلك .

المزدوجة التاريخية :

يبدو ان حب ابن المعتز لشخصية المعتضد الفذة جعله يفكر في أن يخلد حياته واعماله في عمل ادبي كبير ، فأنشأ ارجوزة تقع في نحو عشرين واربعمائة بيت سجل فيها فترتين او عهدين من عهود القرن الثالث الهجري ، العهد الاول وهو الذي اصيبت به الخلافة والخلفاء بالوهن ، والذي يبدأ بمقتل المتوكل في سنة ٢٤٧هـ ، والثاني هو العهد الذي بدأت به الخلافة تستعيد هيبتها، ويفرض الخليفة هيمنته ، وهو عهد المعتضد الذي بدأ في سنة ٢٧٩هـ واستمر زهاء عشر سنين .

لم يكن الشاعر أول من اتجه بالشعر هذا الاتجاه ، وانما بدأ هذا النمط من النظم منذ القرن الثاني الهجري . ولعل أول من نظم فيه هو (أبان اللاحقي) الذي نظم كليلة ودمنة في نحو أربعة عشر ألف بيت ، وتبعه ابنه (حمدان) فنظم ارجوزة طويلة في الحب ، ونظم ابو العتاهية ، ارجوزة في الزهد والامثال بلغت أربعة آلاف بيت ، ونظم (علي بن الجهم) من شعراء القرن الثالث مزدوجة في التاريخ بلغت أكثر من ثلثمائة بيت ، انتهى فيها الى المنتصر ، ونظم ابو الحسن الانباري مزدوجة تمم بها مزدوجة ابن الجهم(٢٥٥) .

ولارجوزة ابن المعتز مقدمة يبدأها بالبسملة وبالثناء على الرسل وعلى خاتمهم محمد (ص) :

باسمِ الإلهِ الملكِ الرحمنِ ذِي العزِّ والقدرةِ والسلطانِ

(٢٥٥) انظر : حديث الاربعاء ١٦٠ ، وابن المعتز وتراثه في الادب ٢٠٨-٢٠٩ ، والعصر العباسي الثاني ٢٤٦-١٤٧ ، ومعجم الادباء ١٦٧/٤ .

ثم يشير الى أن هذا الكتاب في سيرة الامام أبي العباس وهي كنية المعتضد ، الذي قام بالملك بعد أن ضاع وأصبح نهبا للطامعين مشاعا :

هــذا كتابُ سيَرِ الإمــامِ مُهـذَّباً من جوهرِ الـكلامِ
أعني أبـا العبّاسِ خيرَ الخَلْقِ لِلملــكِ قولُ عالمٍ بالحقِ

ويأخذ في سرد ما كانت عليه امور الدولة من اضطراب وانحلال في العهد الذي سبقه وما كان يقوم به الجيش وقواده من تدخل في الامور ، وعصيان ومطالبة مستمرة بالارزاق حتى افقروا الخلافة وأشاعوا فيها الرهبة والخوف وجروا على البلاد الدمار والخراب :

وكلَّ يومٍ عسكراً فعسـكرا بالكرخِ والدورِ وموتاً أحمـرا
كـذاكَ حتى أفقـروا الخلافـه وعوَّدوهـا الرعبَ والمَخـافه
فتلكَ أطلالٌ لهمْ قِفـارا ترَى الشياطـينَ بهـا نَهـارا
بالتَّـلِّ والجوسـقِ والقطائعْ كم ثَمَّ من دارٍ لهمْ بَلاقـعْ

ويشير الى العصاة والخارجين على الخلفاء منأمثال ابن طولون والعلوي صاحب ثورة الزنج وغيرهما :

فمنهمُ فرعونُ مصرَ الثـاني عاصِي الإلهِ طائعُ الشـيطانِ
والعلويُّ قائـدُ الفسّاقِ وبائعُ الأحـرارِ في الأسـواقِ

وبعد أن يوجز أعمال هؤلاء الخارجين يشير الى اغاثة أبي العباس لهم :

ولم يزلْ ذلك دأبَ النـاسِ حتّى أُغيثوا بأبي العبّـاسِ

ويستطرد في الحديث عن قضائه على الخارجين والثائرين ، ويذكرالعلوي صاحب الزنج ويفيض في وصف أعماله وتخريبه وقتله للشيوخ والاطفال وعبثه في البلاد فسادا ، وقضائه على الكثيرين من كبار قادة الخلافة :

فلم يزلْ بالعلويِّ الخــائنِ المُهلــكِ المُخرِبِ للمدائنِ
وقاتــلِ الشيوخِ والأطفــالِ ومُنهبِ الأرواحِ والأمــوالِ

حتى اذا كثر فساده وظلمه وضج الناس من منكراته هيأ الله له بطلا مغوارا هو المعتضد :

أغرَى به اللهُ هِزبراً ضَيغمــا إذا رأى أقرانَـهُ تَقدَّمــا

ثم يمضي في الاشادة ببطولاته وحروبه . وشجاعته ، وما أوقعه في اعدائه فيلمح الى محاربته الصفار يعقوب بن الليث بعد صاحب الزنـج ، ويخلص الى ذكر مصرع اسماعيل بن بلبل في سنة ٢٧٦ هـ على يديه :

وما نَسِــينا مصــرعَ الكَفورِ الجــاهلِ المُخلِّطِ المغــرورِ

ويأخذ في ثلبه وسرد الكثير من مثالبه وصفاته وضغطه على النـاس والتنكيل بهم من أجل الحصول على الاموال ، ويسخر مما كان يتظاهر به من عناية بالفلسفة والفلك ، وبنهاية ابن بلبل تهدأ الامور وتستوي الخلافة ويبدأ عهد جديد هو عهد استخلاف المعتضد :

ثُمَّ استوتْ مـن بعـدهِ الخلافهْ وزالتِ الرهبــةُ والمخــافهْ
وَوَلِيَ المُلكَ امامٌ عــادلٌ قائــلُ كــلِّ حكمــةٍ وفاعــلُ

وتستقر الاحوال وترسل مصر اليه الاموال ، ويأخذ بانتقاء الجنود ويؤم بهم المخالفين والعصاة في عقر ديارهم . فيخرج الى الموصل في سـنة ٢٨١هـ للايقاع باللصوص والاكراد ، ويضايق احد العصاة وهو ابن عيسى بن شيخ الذي حاول الفرار الى أرض الروم خوفا وذعرا ، ولكنه يعدل عن ذلك ويفتدي حياته بالاموال ، ثم يعرج على هــارون الشاري الذي خرج بديار الموصل فيقبض عليه ويجيء به أسيرا الى بغداد ، ويرسل أحد قواده ليتعقب رافـع ابن هرثمة احد الخارجين في الديلم الذي انضم الى خارج آخر هو محمد بن

زيد العلوي فيتمكن منه ويقتله ، ويتخذ مـن هذه الحادثة مناسبة للنيـل مـن رافع واتهامه بالرفض ومقاومة العباسيين . ولم ينس ان يشيد بمآثـر جده العباس وفضله على الاسلام . وبعد هذه الحوادث المتتاليـة ينتقـل ابن المعتز الى الاشادة بعمل آخر من اعمال المعتضد المشهورة وهو تأخـيره النيروز والخراج الذي خفف به الاعباء عن كواهل الشعب الذي كـان يتعرض الى صنوف المصادرات والتعذيب والاهانة مـن اجل استحصال الاموال منه.

ومـن أياديـــه على الكبـير مـن العبـاد وعلى الصغـير
تأخيرُهُ النـيروزَ والخَراجـا ولو أرادَ أخـذَهُ لَراجـــا

ثم يلتفت الى اعماله العمرانية فيصفها ويعجب بها ، ويثني على صاحبها :

فمـن رأى مثـلَ الثريّا قصـرا كم حكمـةٍ فيـه تُخـالُ سحرا
والقبـةُ العليـاءُ والأُترجّـه مثلّثٌ فيهـا أربعـينَ حِجّـه
وبالزبيديـاتِ لا تَنسـاها قـرّةُ عينِ كـلِّ مَن رآهـا

ويعود الى اعماله الحربية فيذكر فتحه لآمد القلعة التي كثيرا ما كانت معقلا معتصمة المعاندين ، ثم يشير الى اتيانه الرقة وزلزلته للشام واذعان مصر له وحملها اموالها اليه خوفا من بطشه وفتكه . ثم يشيد بكبار رجـال الدولة الذين كانوا يعضدون الخليفة بآرائهم وشجاعتهم أمثال بدر المعتضدي، والوزيرين عبيدالله سليمان وابنه القاسم . وينتقل الى احد الخارجين وهو ابن مدرك الطائي الذي تصدى لاحـدى قوافـل الحـاج فقتـل رجالهـا وسلب أموالها وسبي نساءها ، ولكن الخليفة تمكن منه فجيء به الى بغـداد أسيرا حيث لقي حتفه . ولا يفوت ابن المعتز ان يشير الى امور اخرى تتصل بحياة المعتضد فيذكر حلمه الذي رأى فيه الرسول (ص) شاكرا له على أعماله التي قام بها . ثم ينتقل الى قضائه على عدد من الخارجين على الخلافة كعمرو ابن الليث الصفار ، ووصيف خادم ابن ابي الساج ، ويتحدث عن القرامطـة

واعمالهم وافسادهم ويهزأ بمعتقداتهم . وينفذ مـن ذلك الى التعريض بآل علي والنيل منهم لاطماعهم في الخلافة والرئاسة ، ويلمح الى طلب الرومالهدنة والفداء من المعتضد ، ويشير الى احد الخارجين المنتسبين للعلويين في صنعاء اليمن ، ويندد به وبأتباعه ثم يخلص منه ليتحدث عن الكوفة حديثا طويلا متهما اياها بتعدد الأديان والأئمة . وبسعيها في تشتيت أمور الامة وبأنها بؤرة الفساد ومصدر الفتن ، وحاول أن يغوص في أعماق التاريخلينال منها وليصمها بكل مثلبة ومنقصة :

واستمع الآن حـديثَ الكوفهْ مدينــةٌ بعينِهـا معروفـه

ولم ينس أن يغمز الكوفة بمقتل الامام علي وابنه الحسين على يد بعض اهلها الذين أخذوا بعد مصرعهما يندبونهما ويبكون عليهما . ويعقب حديثه عنها بذكر أحد قادة القرامطة الذي أسره احد اتباع الخليفة وجيء به الىبغداد حيث قتل ومثل به في سنة ٢٨٩ هـ وينهي مزدوجته بوفاة المعتضد هــذه السنة أيضا .

لقد اشتملت هذه المزدوجة على وصف حيّ للنواحي : السياسـية ، والاجتماعية ، والاقتصادية في غضون القرن الثالث الهجري ، وقد أبدع فيها الشاعر تصوير ما كان يتعرض له الناس من ضروب الاحن والشدائد ، كما برع في وصف الفتن والوقائع براعة تشهد له بالتمكن والقدرة ، واستطاع ان يلائم بين التاريخ والشعر ملائمة تشهد له بطول الباع في هذا الشأن[٢٥٦]. والحق اننا لا نكاد نجد في كل أوصافه أو صوره أو الفاظه فيها ما يمكن ان نوجه اليه مطعنا او مغمزا، ولعل أهم ما يلحظ فيها أيضا صدق شعوره وحيوية اندفاعه وفيض عواطفه وسعة اطلاعه مما اكسبها قوة وحياة .

---

(٢٥٦) انظر من حديث الشعر والنثر (١٦٢) .

ومع اشتمالها على المميزات التي أسلفنا ذكرها فانها تنطوي على شيء يلفت النظر وهو اضطراب ترتيبها ترتيبا منطقيا او زمنيا ، ولعل أول من فطن له هو الدكتور طه حسين ، وعزا هذا الاضطراب الى اضطرار الشاعر الاضافة اليها في أواخر أيام المعتضد أو اضافته اليها في خلال نظمه لها[٢٥٧] .

وهذا الاضطراب الذي فطن له الدكتور طه حسين يتضح في انتقال الشاعر من موضوع الى آخر انتقالا لا يراعى فيه الترتيب الزمني فهو مثلا يتحدث عن رافع بن هرثمة الذي قتل سنة ٢٨٤ هـ ثم يتحدث بعده عن تأخير النيروز الذي كان في سنة ٢٨٢ هـ ثم يمتدح عبيد الله بن سليمان المتوفى سنة ٢٨٨ هـ وابنه القاسم الذي اعقب اباه في الوزارة ويذكر بعدهما ، ابن مدرك الطائي الذي قتل سنة ٢٨٧ ، ويشير الى حلم المعتضد الذي كان في سنة ٢٨٩ هـ ، ويتحدث بعده عن مقتل محمد بن زيد العلوي في سنة ٢٨٧ هـ وهكذا .

أو انه يعيد الموضوع اكثر من مرة ، يذكره بايجاز ثم يعود اليه فيفصله ، ويشمل هذا كلامه على العلوي صاحب الزنج ، وعلى عمرو بن الليث الصفار ، ولعل مما يدخل ضمن هذا الاضطراب أيضا هو تجوزه في اسناد القضاء على بعض الحوادث السياسية الى المعتضد ، من ذلك القضاء على ثورة الزنج او الصفار . فالمعروف ان الذي قضى على ثورة الزنج وعلى تدمير يعقوب الصفار هو الموفق والد المعتضد وذلك في عهد خلافة المعتمد ، ولعل الدكتور احمد كمال زكي أراد ذلك في قوله : (ونذكر نحن ان من اسباب هذا الاضطراب أيضا اطلاق لقب (أبي العباس) على كل من المعتمد والمعتضد ، ويحتمل أن يكون المعتمد ــ على هذا الاساس ــ هو المقصود بأول اللقب والدليل على ذلك ذكره للفتن التي كثرت في عهده ومحاربته للزنج مستعينا بأخيه الموفق)[٢٥٨] .

(٢٥٧) انظر من حديث الشعر والنثر (١٦٠ــ١٦١) .
(٢٥٨) ابن المعتز العباسي ــ هامش ١٣٩ .

وتبرز لنا في هذه المزدوجة مسألة نرى من الواجب ان نقف عندها ، وهي مسألة تتعلق بالزمن الذي نظمت فيه ، فهل كان نظمها في عهد المعتضد او انها نظمت بعد وفاته ؟

لقد قدم للمزدوجة في جميع النسخ التي اعتمدناها بهذه المقدمة : (بلغ عبدالله بن المعتز بالله ان أمير المؤمنين المعتضد بالله أمر بتأليف كتاب في سيرته فقال قصيدة مزدوجة ووجه بها اليه وختمها بأبيات يرثيه بها بعـــد وفاته . فحفّظها المعتضد جارية له فكانت تنشده اياها واقتصر من الكتاب الذي أمر بتأليفه عليها) •

ومر بنا ان الدكتور طه حسين يرى أنها نظمت في عهد المعتضد وعلل ما جاء فيها من اضطراب باضطرار الشاعر اضافة بعض الاجزاء اليها في أواخر ايام المعتضد ، أو يرى انه كان يضيف اليها في خلال نظمه لها •

ويشايع هذا الرأي الدكتور احمد كمال زكي حيث يقول : (ولقد مات المعتضد قبل أن تتم)[٢٥٩] • في حين يرى الدكتور شوقي ضيف وهو يتكلم على حادثة ابن ابي قوس (كذا) التي وقعت في سنة ٢٨٩هـ ان نظمها كان في هذه السنة، أو قبل ذلك ثم أضاف اليها الشاعر هذا الجزء بعد ذلك فهو يقول: (وينوه بانتصار شبل غلام الطائي على القرامطة في سواد الكوفة وأســره لقائدهم ابن ابي قوس على نحو ما مر بنا في غير هذا الموقع وما كان من صلبه لسنة ٢٨٩ على الجسر ببغداد ، وهي السنة التي توفى فيها المعتضد ، وقديدل ذلك على أن ابن المعتز لم يفرغ من نظمه لتلك الارجوزة الا في هذه السنة . وربما فرغ منها قبل ذلك ، واضاف اليها بآخرة هذا الجزء ، ولا ريب في انه الحق بها الابيات الثلاثة الاخيرة التي تشير الى وفاة المعتضدوانتهاء خلافته لعام تسعة وثمانين ومائتين)[٢٦٠] •

---

(٢٥٩) ابن المعتز العباسي — هامش ١٣٩ •
(٢٦٠) العصر العباسي الثاني (٢٥١) •

أما الاستاذ محمد عبدالمنعم خفاجي فيرجح ــ بعد أن ذكر المقدمة التي ذكرتها النسخ المخطوطة لهذه المزدوجة ــ انها نظمت بعد وفاة المعتضد ولم تنظم في حياته(٢٦١) .

ونحن نرجح ما رجحه الاستاذ خفاجي في انها نظمت بعد وفاة المعتضد ويخامرنا شك في المقدمة التي جاءت في النسخ المخطوطة لهذه الارجوزة.واكبر الظن انها من وضع احد النساخ .

ويخيل الينا ان الشاعر بعد أن وصف كثيرا من أعمال الخليفة الحربية في قصائده ومقطوعاته التي امتدحه بها ، وبعد أن تأثر كثيرا بوفاته رأى أن يجمع في عمله الادبي هذا كل ما قام به المعتضد في أيام حياته كما أسلفنا ، ويخيل الينا كذلك انه نظم الارجوزة دفعة واحدة ولا يستبعد أن يكون قد انتهى منها في اواخر أيامه ، وانه لم يتهيأ له الوقت لكي يعيد النظر فيها . ولعلمافيها من اضطراب دليل على هذا .

ومر بنا أن الدكتور شوقياً حاول ان يستدل بآخر حادثة وردت في المزدوجة وهي حادثة ابن أبي قوس التي وقعت في سنة ٢٨٩ هـ على أنها قد نظمت في هذه السنة وهي سنة وفاة المعتضد . غير ان المزدوجة قد تضمنت حوادث اخرى وقعت في مثل هذا التاريخ أو ما يتجاوزه . فقد امتدح ابن المعتز ثلاثة من رجال الحكم في عهد المعتضد وهم بدر المتوفى سنة ٣١١هـ ، وعبيد الله بن سليمان المتوفى سنة ٢٨٨هـ . وابنه القاسم الذي وزر للمعتضد بعد ابيه والمتوفى سنة ٢٩١ هـ . فقال :

لم يُرَ قطُّ صاحبا إمامِ ... مثلَهما في سائرِ الأنامِ
إلا أبا الحسينِ أعني قاسما ... أحضرَ خلقِ الله رأيا حازما

(٢٦١) ابن المعتز وتراثه في الادب (٢١٠) .

ثلاثـــةٌ للملـك كالأثـــافي   قوادمٌ ليســت من الخوافي
دينُهُــمُ الطـاعةُ للخليفــه   ونيَّةٌ ناصحـةٌ عفيفـــه(٢٦٢)

واشار الى حلم المعتضد الذي رأى فيه الرسول (ص) اول سنة ٢٨٩هـ فقال :

حتّى إذا قاربَ عقـدَ العشـرِ   في ملكهِ من السنينَ الزهـرِ
بـــدا له النبيُّ في المنـــامِ   حلمٌ يقينٌ ليسَ كالأحـلامِ(٢٦٣)

وقال في أحد الخارجين على الخلافة سنة ٢٨٩هـ في اليمن :

ثمَّ بدا للشـــرِ من آلِ علي   مُجانبٌ فِعالَ ذي الرشدِ التقي
جنَّـــدَ أوغـاداً بصنعاءِ اليمنْ   دبَّاغَ أجلادٍ وقيناً ذا دَرَنْ(٢٦٤)

وقال ــ كما مر ــ يشير الى حادثة ابن ابي فوارس الذي قتل في بغـداد في سنة ٢٨٩ هـ :

وابـــنُ أبي فوارسٍ نـبيُّ   إمـــامُ عـدلٍ لهمُ مَرضيُّ
فاذهبْ الى الجسر تجدْهُ فارسا   على ضميرٌ لا سريرٍ جالسا(٢٦٥)

وقال في القرامطة :

وقَـــرمطيونَ ذوو آثـــامِ   طَغَوا وقد بادوا مع الأيـــامِ
وشــرَّعوا شـــرائعَ الفســـادِ   وأُهلكوا إهلاكَ قومِ عادِ(٢٦٦)

---

(٢٦٢) الديوان (١/٤٠٥ــ٥٦٨) .
(٢٦٣) نفسه (١/٥٧٢) .
(٢٦٤) الديوان (١/٥٨٢) .
(٢٦٥) نفسه (١/٥٩٠) .
(٢٦٦) نفسه (١/٥٧٩) .

وواضح من المثال الاول ان الشاعر يتحدث عن اولئك الثلاثة حديثا ماضيا ، وان ثالثهم كان وزير المعتضد وتوفى في سنة ٢٩١هـ . أما الاول فقد تولى امارة فارس وبقي فيها الى سنة ٣١١ هـ كما أسلفنا . كما انه يتحدث في المثال الخامس عن ابادة القرامطة واهلاكهم حديثا ماضيا أيضا ونحن نعرف ان القضاء عليهم كان في سنة ٢٩٤ هـ ، حين قضى على زعيمهم زكرويه بن مهرويه، ومعنى هذا ان الشاعر كان في هذه السنة مستمرا في نظم ارجوزته ـ اما بقية الامثلة فهي أدلة واضحة على ان الارجوزة كانت تنظم في هذه السنة على الأقل ولم تكن في عهد المعتضد .

ونرى في هذا الصدد أن نذكر ان صاحب كتاب اللطائف والظرائف يشير في كتابه الى أن مزدوجة ابن المعتز كانت تسمى (بذات الحلل) ، ويذكر منها بيتاً هو قوله :

إذا طلبتَ نائلَ الأميرِ فالطفْ بهِ من قِبَلِ الوزيرِ [267]

(267) اللطائف والظرائف (14) . ومن الجدير بالذكر ان قصيدة ابان اللاحقي في مبدأ الخلق ، كانت تسمى (بذات الحلل ، وهناك من ينسبها الى ابي العتاهية) (انظر : الاوراق قسم اخبار الشعراء ص 11 ، وكتاب ابي نواس لابن منظور (36) ، وابن المعتز وتراثه في الادب (٢٠٨) ، فهل خلط صاحب اللطائف بين مزدوجة ابن المعتز وهذه ؟ .

كما ينبغي أن نشير الى ان خفاجي قد ذكر في كتابه ما يفهم منه ان لابن المعتز ارجوزة في تاريخ الخلفاء العباسيين ، فهو يقول : وفي زهر الاداب : وكان ابن المعتز يمدح الموفق وقد ذكر الصولي قصيدة لصاحبه فقال وقد اقتص خلفاء بني العباس من اولهم :

ومعتمد من بعدهم وموفق يردد من ارث الخلافة ما ذهب
موازنهم في كل فضل وسؤدد وان لم يكن في العد منهم لمن حسب

فهل لابن المعتز ارجوزة اخرى في تاريخ الخلفاء العباسيين) ص ٢١٠ .
والحق أن الاستاذ خفاجي قد حرف النص الذي جاء في الزهر فوقع في الغلط . واصل النص هو : (وكان ابن المعتز يمدح ابا احمد ابن المتوكل ، ويلقب بالناصر والموفق ، وكانت حاله ترامت في ايام المعتضد (كذا والصحيح المعتمد) الى غاية لم يبلغها الخليفة ؛ وقد ذكرها الصولي في قصيدة (لصاحب المغرب) فقال وقد اقتص خلفاء بني العباس من أولهم ..) (الزهر ٧٩٥) .

وهذا البيت لم يرد في مزدوجة ابن المعتز !

وقد طبعت هذه المزدوجة وحدها في مصر سنة ١٩١٣ م كما عنى بطبعها بعض المستشرقين مثل : لانج ولوث ، ونشرها أيضا الاستاذ محمد عبدالمنعم خفاجي ضمن رسائل ابن المعتز ، ثم ضمّها الى كتابه (ابن المعتز وتراثه في الادب والبيان والنقد)[٢٦٨] .

ويبدو ان نشرتي مصر والاستاذ خفاجي كانتا متشابهتين ، ولم تخلوا من كثير من التحريف والتصحيف . وسأقف عند طبعة الاستاذ خفاجي وقفة قصيرة ، لابين بعض تلك التحريفات او الهفوات .

لقد قال الاستاذ خفاجي : (وقد بقيت القصيدة مهملة بحوادثها التاريخية المجهولة حتى قمت بشرحها ونشرها في هذا الكتاب . وهو عمل له قيمة كبيرة في خدمة تراث ابن المعتز الادبي)[٢٦٩] .

(وقد نشرتها وشرحتها على نظام جديد)[٢٧٠] .

ان الاستاذ خفاجي قام ــ مشكورا ــ بدراسة شعر ابن المعتز وأدبه، كما قام بجمع ونشر ما تمكن الوقوف عليه من رسائله ، وتصدى لهذه المزدوجة ونشرها أيضا ، كما اسلفنا مرتين الاولى ضمن رسائل ابن المعتز ، والثانية ضمن كتابه فيه . وهذه اعمال لا يمكن أن يغمط حق من ينهض بها ولكننا كنا نطمع منه في مجال نشر هذه المزدوجة جهدا اكبر مما بذله فيها .

ويبدو انه اعتمد في نشرته على احدى المخطوطتين اللتين رمزنا لهما بحرفي : (د ، ز) من مخطوطات ديوان الشاعر ، وهما تنحدران من أم واحدة

---

(٢٦٨) انظر : تاريخ الادب العربي لبروكلمان (٢/٥٧) ، وابن المعتز وتراثه (٢٠٩ــ٢١٠) وابن المعتز العباسي هامش ص ١٣٩ .

(٢٦٩) ابن المعتز وتراثه في الادب (٣٩٥) .

(٢٧٠) ابن المعتز وتراثه في الادب (٣٩٥) .

وقد كتبتا في زمن متقارب جدا ، وكانتا متشابهتين في كل شيء ، كما يبدو انه اعتمد على الطبعة المصرية لهذه المزدوجة وعلى طبعات الديوان في مصر وبيروت ، ومعروف ان هذه الطبعات كلها مأخوذة من احدى المخطوطتين السابقتين للديوان . وكان المفروض الذي يحتمه التحقيق العلمي للنصوص أن يرجع الاستاذ خفاجي الى نسخ اخرى من نسخ الديوان التي جاءت فيها هذه المزدوجة والتي أشار اليها في كتابه عن ابن المعتز ، كما كان عليه ان يرجع الى مصادر اخرى للوقوف على شروح الاسماء والحوادث التي أهملها في نشرته هذه .

وسأكتفي بذكر بعض الهفوات والتحريفات التي وقع فيها الاستاذ خفاجي في نشرته لهذه المزدوجة على انه ينبغي ان اشير الى أن هذه التحريفات والتصحيفات لم تكن من أثر الطباعة ، انما هي جاءت في المخطوطتين (م ، ز) والمطبوعات من نسخ الديوان ، وسأشير الى هذه الهفوات حسب تسلسل وقوعها في المزدوجة .

شَرحَ كلمة (الكرخ) في قول ابن المعتز :

وكلَّ يومٍ عسكراً فعسكرا (بالكرخ) والدورِ مواتاً احمرا

بقوله : (ضاحية من ضواحي بغداد ص ٣٩٦) .

والصحيح ان الكرخ هنا هو جزء من سامراء القديمة (انظر : سامراء في أدب القرن الثالث الهجري (الفهارس) .

وجاء في ص ٣٩٩ :

وقد سقَى مفلحَ كأسَ القتلِ وشكَّهُ بمخصفٍ ذِي (فصل)

والصحيح (ذي نصل) .

وجاء في الصحيفة نفسها :

(والشيخ) قد آغرقه نصيرا وقال حسبي فقد هذا خيرا

والصواب (والسبح) ، وجاء في ص ٤٠٠ :

سل عنه قبلا صرعه بشيزرا

والصحيح : سل عنه قتلى صرّعوا بشيزرا

وجاء في ص ٤٠١ :

فدخنوه بدخان التبن (وأوقدوه) بثقال اللبن

والصواب : وأوقروه

وعلق على قول الشاعر (واقلب) في قوله :

وكان قد كنّى ابنهُ بثعلبِ كذا يكون العربيّ واقلبِ

(هكذا بالاصل) •

وهذا الاستعمال صحيح ، ويبدو أن اول من استخدمه هو ابو العتاهية في قوله :

هَمّ القاضِي بيتٌ يُطْربْ قالَ القاضِي لمّا طُولِبْ

ما في الدنيا إلاّ مذنبْ هذا عذر القاضي واقلبْ

(مروج الذهب ٣/٤٥٢) واستعمل ابن المعتز هذا التعبير في مجال آخر من شعره • (انظر الديوان ١/٦١٧) •

وجاء في ص ٤٠٣ :

وكبسَ اللصوص (والافرادا) وامنَ البلادَ والعبادا

والصحيح : (اللصوص والاكرادا) •

وجاء في ص ٤٠٦ :

وعهـدنا بكلّ من كان (ملي) مستأدياً والزرعُ لم يسنبلِ

والصحيح : (من كان يلي) • وعلق على كلمة (الرباب) في قوله ص٤٠٧:

فمن رأى مثلَ (الرباب) قصرا كم حكمةٍ فيه تخالُ سحرا

(كذا في الأصل) • والصحيح : مثل الثريا •

وشرح المراد بجعفر في قوله ص ٤٠٨ :

وملكَ المتوكلِ أعني جعفرا كفى بهِ للفاخرينَ مفخرا

(هو جعفر المنصور الخليفة العباسي الثاني م ١٥٨ وهو باني مدينة بغداد) •

والصحيح أنه يريد بجعفر هنا جده المتوكل ، أما المنصور فهو أبو جعفر لا جعفر . والبيت التالي يشرح هذا •

وجاء في ص ٤٠٩ :

(ومعظم) الفتوحِ فتحُ آمدِ معقلِ كلِّ فاجرٍ معاندِ

لم ترَ قط مثلها مدينه منيعة (بسعدها) حصينه

والصحيح : (واعظم الفتوح) و (منيعة بسورها) • وجاء في الصحيفة نفسها :

فزلزلَ الشامَ (وشق) داره وقربتْ منها شَبا أظفاره

والصحيح : (دنو داره) • وجاء في الصحيفة نفسها أيضا :

وجـده الأمير والوزير بغبطة فكمل السرور

(مظفر من) قد أباد بكرا ومات خوفا منهما وذعرا

والصحيح : مظفرين قد أبادا • وان المراد بالامير : بدر المعتضدي لا علي ابن المعتضد •

وجاء في ص ٤١١ :

منها رمادي كميت قد صفن

والصحيح : (منها شهاري ومسك قد عفن) •

وجاء في ص ٤١٢ :

وقال ولوني في مكاني   وجاهر (الاسلام) بالعصيان

والصحيح : (الامام) •

وجاء في ص ٤١٣ :

يا أبا علي يا أبا علي   هذا لعمري سفه وعى

والصحيح : آل علي ما أتى علي •

وجاء في الصحيفة نفسها :

ليس (يزيد) الناس ان تروسوا   (ولا يزيد) الملك أن تسوسوا

والصحيح : (يريد) بالراء في الفعلين •

وجاء في الصحيفة نفسها :

ولا اراكم تحسنون ذاكا   كلا ولا أن تهلكوا اهلاكا

والصحيح : لا تهلكوا أنفسكم اهلاكا •

وجاء في الصحيفة نفسها أيضا :

وقال شادان وقد رآه   كما يحب كل من عاداه

(ليث) رماه الله ذو المعارج   بفالج قبل ركوب الفالج

والصحيح : (ليت) •

وجاء في ص ٤١٤ :

ثم بدا (للصيد) من آل علي مجانب فعال ذي الرشد التقى

(حبذا رعادا) بصنعاء اليمن دباغ اجلاد (وقتنا ذا الدرن)

وناسجا للبرد والحبير (وآكلا) للبال في الهجير

والصحيح : ثم بدا للشر جند اوغادا وقينا ذا درن وراكلا للبال

وجاء في الصحيفة نفسها :

وعشش (الشحر) بها وفرخا

والصحيح : وعشش السحر •

وجاء في الصحيفة نفسها أيضا :

وغرق العالم من (سنورها) جزاء شر كان من شرورها

والصحيح : من تنورها •

وجاء في ص ٤١٥ :

وابن (أبي القوس) لهم نبي

والصحيح : (وابن أبي فوارس نبي) •

الحنين الى الوطن :

في شعر ابن المعتز ظاهرة تلفت النظر وهي نزعة الحنين الى مسقط رأسه ومنبع احلامه وذكرياته (سامراء) التي خربت واندثرت بعد أن انتقل مقر الخلافة عنها الى بغداد في سنة ٢٧٨ في عهد المعتضد • ويبدو أن حنينه اليها بدأ بعد استيطانه بغداد في عهد المعتضد •

ويظهر لنا ان ابن المعتز كان أكثر الشعراء اشادة بمدينته واشدهم تعلقا بها وحنينا اليها ، ولا أدل على ذلك من محاولته الهرب اليها في أحلك ساعات

عمره يوم أن تخلى عنه من رشحوه للخلافة كما مر • ويبدو ان نزعته هـــذه كانت معروفة مما حدا بالثعالبي أن ينسب أبيات ابن الرومي المشهورة في حب الوطن اليه[٢٧١] •

وجاء حنينه اليها في تضاعيف كثير من قصائده ومقطوعاته ، وكثيرا ماكان يثلب بغداد وينال منها ومن جوها وأهلها ، ويضجر من اقامته فيها ، في حين كان يشيد بسامراء ورياضها وربوعها ولياليها •

لقد كان حبه لهذه المدينة مدعاة لحب اهلها وساكنيها ، ولهذا فهو يدعو لها بالخير ويثني على أهلها قائلا :

بأبي يا سُـــرَّ مَـــرًّا   لا أَراكِ الله شـــــرّا
ما أَرَى مَنْ يَتقَـــرَّا   والـــذي لا يَتقَـــرّا
منهـــم إلاّ أَغَـــرَّا   ماجدَ الأخلاقِ حُـــرّا[٢٧٢]

وانه ليفتدي ليالي الصراة الطويلة ببغداد لليالي سامراء الجميلة ذات الرياض الغن والتربة الخصبة ، والجو النقي :

ليتَ ليلاً على الصَّــراةِ طويلاً   لليـــالٍ في سُرَّ مَنْ را الفِـــدا
أينَ مسكٌ من حَمأةٍ وَبخورٌ   من بُخارٍ وصفوةٌ من قَـــذا[٢٧٣]

ان بغداد بدخانها المتصاعد ومائها الساخن وآبارها ذات البعوض قـــد سلبت النوم منه ، فهو مقيم فيها على مضض ، واين هي من سامراء ــ ذات النفحات المسكية ، والربيع الموشى والمياه الثرة ، والزهور المتضوعة ، ولكن أي شيء يدوم :

---

(٢٧١) انظر الديوان (٣/٣٣٩ــ٣٤٠) •

(٢٧٢) الديوان (٢/٥٨٩) •

(٢٧٣) الديوان (١/٢٠٨ــ٢٠٩) •

كيف نومي وقد حلتُ بغدا — دَ مقيماً في أرضها لا أريمُ

ببلادٍ فيها الرَكايا عليها — نَّ أكاليلُ من بعوضٍ تحومُ

جوفُها في الشتاءِ والصيفِ والفصـ — ـل دخانٌ وماؤها محمومُ

ويحَ دارِ الملكِ التي تنفحُ المسـ — ـكَ إذا ما جرى عليها النسيمُ

وكأنَّ الربيعَ فيها إذا نَـو — رَ وَشيٌ أو جوهرٌ منظومُ

كيف قد أقفرتْ وحاربَها الدهـ — ـرُ وغنَّى الجنانَ فيها البُومُ

فهي هاتيكَ أصبحتْ تتناجَى — بالتشكّي خرابُها المهدومُ

طَرفاها بَرٌ وبحرٌ ويُجنَى الو — رد فيها والشيحُ والقَيصومُ

نحنُ كنَّا سُكَّانَها فانقضَى ذا — كَ وبنا وأيُّ شيءٍ يَدومُ(٢٧٤)

وانه ليذكر مدينته (دار الملك) التي اقفرت بشيء من الاسى فيحاول ان يسترجع ما كانت عليه من عظمة وازدهار وجيوش واطمئنان ، وكأنه يريد ان يعيش ــ ولو في الخيال ــ الايام التي قضاها في أفنية قصورها ورياضها . ولا ينسى ان يهجو بغداد وسكانها وكأنه يحملها وزر هذا الخراب والاقفرار :

هاتيكَ دارُ الملكِ مقفرةٌ — ما إنْ بها من أهلها شَخصُ

عهدي بها والخيلُ جائلةٌ — لا يَستبينُ لشمسها قُرصُ

وإذا علتْ صخراً حوافرُها — غادرنَهُ وكأنهُ دُعصُ

والملكُ منشورُ الجناحِ ولم — يَهتكْ قوادمَ ريشهِ القَصُّ

يَنشقُّ جمعُ الناسِ عن قمرٍ — ما في تكاملِ حسنهِ نَقصُ

أخذتْ يداهُ المُلكَ ممتلياً — حزماً ، وعودُ شبابهِ رخصُ

فمضَى بذاكَ العيشِ آخرُهُ — والهَمُّ ممَّا سرَّ يقتصُّ

(٢٧٤) الديوان (١/١٧٢) .

أَفما تَـرى بلداً أقمـتَ بـــهِ — أعلى مســاكنِ أهله خُـص
وولاتُهُ نَبطٌ زنادقـــــةٌ — ملأى البطونِ واهلُها خُمص[275]

وهو ما يفتأ يمتدح مدينته ويتمنى لها الخير ما وجد الى ذلك سبيلا .
فهو يحبها ويذكر ايامه الجميلة في ربوعها وضواحيها فيقول :

يا حبَّــذا الدهرُ إذْ نُسقَى مسـرتَهُ
صرفاً ونمزُجُ إنجـازاً بميعـــادِ
وإذ نَبيتُ وقلبـــاذ قــد انتصفـــا
جاريْ عنـاقٍ وإسـعافٍ وإسـعادِ
بشـرةَ مَنْ را ســقاها الله ما شَرِبتْ
من رائحٍ ضاحكٍ بالمزنِ اوغادِي[276]

ويقول :

سـقياً لواديهِ من وادٍ وســـاكنهِ
والكرخِ والدورِ ما دامتْ لنا وطنا[277]

ويقول :

ألا حيِّ ربعـاً بالمطيرةِ أعجمـا — فلو كلّمتْ أرضٌ إذاً لتكلّمـا
ألا ليتَ شعري هل تبدّلت بعدنا — رضاً لكَ منا أو وجدتَ أسىً كما
وجدنا ، فانـا لا تـزال عيوننـا — سخائنَ قَرحَى تقطرُ الماءَ والدما
خليليَّ إنْ لم نجتمعْ بعدَ هذهِ — فمثلُ أُناسٍ أو جُمِعنا فربّما

(٢٧٥) الديوان (١/٦٧٦-٦٧٧) .
(٢٧٦) نفسه (١/٢٥٩) .
(٢٧٧) نفسه (١/٣٥٩) .

خليليَّ إنَّ الدهرَ لا يرحمُ البُكا | خليليَّ انَّ الدهرَ ما قد علمتما
خليليَّ باللهِ احملا لي تحيَّــةً | الى دارِ يعقوبٍ وبستانِ دَيلما
وكم ليلةٍ في سُرَّ من را وصلتُها | بليلاتِ لهوٍ بتُّ فيه مُنَعَّما(٢٧٨)

وحنينه اليها لا ينقطع فهو يعلنه في كل مناسبة تسنح له ، وكثيراً ما جعله في مقدمات قصائده حتى تلك التي يمتدح فيها خليفة كالمعتضد الذي يتخذ من بغداد دار إقامة له ، وما ذلك الا لشبوب عاطفته ، وشدة شوقه الى مهده الاول ، فصورتها لا تكاد تفارقه ، ورياضها تتراءى له في كل حين ، فهو يقول :

أنعمي يا سُرَّ من را صباحا | واذا غاداكِ غيثٌ فراحا
ديَماً في كلِّ يومٍ ووبلاً | واغتباقاً للندى واصطباحا
كلُّ مَن ينأى من الناسِ عنها | فهو يرتاحُ إليها ارتياحا
لا أرى مثلَكِ ما عشتُ داراً | رَبوةٌ مخضرَّةٌ أو بِطاحا
لو حللْنا وَسْطَ جنَّةِ عَدْنٍ | لاقترحناكِ عليها اقتراحا
يَتَفقَّا عن رياحينِ أرضٍ | يسحبُ الذيلُ عليها الرياحا
واذا ما ذرَّتِ الشمسُ فيها | فتحَتْ أعينَ روضٍ مِلاحا
في ثرىً كالمسكِ شِيبَ براحٍ | كلَّما أنبتَهُ القطرُ لاحا(٢٧٩)

ويبدو انه بعد أن رأى استحالة الاوبة اليها ، أخذ يبعث اليها بسلامه ويشكو اليها ما يجده في مقره (بغداد) فيقول :

ألا إنَّ بالقاطولِ والدَّيرِ بلدةً
لذيذةَ شمِّ الريحِ في كلِّ شارقِ

(٢٧٨) الديوان (١/٥٠٥) .
(٢٧٩) الديوان (١/٤١٨–٤١٩) .

أبى اللهُ حتّى سُرَّ مَن را كما أرى
مُعطّلةً يا ربَّ حسناءَ طالقِ

فمَن مُبلغٌ عني سلامَ مُهجّرٍ
إليها وشكوَى مَوطنٍ لم يُوا فقِ (٢٨٠)

وهكذا يتبين لنا ان ابن المعتز يشل في نزعته هذه النموذج الطيب للمواطن الذي يتعلق بسوطنه ومهده هذا التعلق القوي المتين .

(٢٨٠) الديوان (١/٣١٧) .

الفصل الثاني

شعر ابن المعتز

دراسة فنية

بناء القصيدة :

نريد ببناء القصيدة ما اشتمل عليه من مطلع وانتقال وغرض • وكان ابن المعتز يهتم كثيرا بمطالع قصائده ويحتفل بها احتفالا يدل على قدرته ومهارته في هذا الشأن وهو يسمي المطلع حسن الابتـداء كما يسميه غيره براعـة الاستهلال[١] • ومطالعه الجيدة كثيرة منها قوله :

وسـاريةٍ لا تَملُّ البُكـا جَرَى دمعُها فيخدودِ الثرَى[٢]

وقوله :

أخذتْ من شبابيَ الأيـامُ وتَولَّى الصِّبـا عليهِ السلامُ[٣]

وقوله :

رُبَّ حتفٍ بين أثنـاءِ الأمَلْ وحيـاةُ المرءِ ظلٌّ يَنتقِلْ[٤]

---

(١) انظر خزانة الادب لابن حجة الحموي ص ٣ .

(٢) الديوان (١/١١) .

(٣) نفسه (٢/٢٣٣) .

(٤) نفسه (٣/٨٠) . وانظر ايضا الديوان الارقام ٣ ، ٤٠ ، ٥٩٢ ، ٦٣٨ .

وكان في بعض مطالعه أحيانا ينزع منزع القدماء فيذكر الطلول والنوى والرياح ، من ذلك قوله :

لَجَّ الوقوفُ على نُؤىٍ ومَلعبةٍ وأربُعٍ صَفَقتها الريحُ أدراسِ[٥]

وقوله :

ألا حيِ من أهلِ الأحبّةِ منزلا تَبدّلَ من آياتهِ ما تَبدّلا[٦]

ومطالعه في الغالب مصرعة ، وجاء بعضها غير مصرع ، ومن المحتمل أن تكون قد سقطت أبيات من اوائل بعض قصائده غير المصرعة هذه ، وقد أشرنا الى هذا فيما سبق .

ويبدو أن ابن المعتز لم يحفل كثيرا بالانتقال من غرض الى آخر أو من معنى الى آخر في عامة شعره ، وهو ما يسمى بالتخلص الذي عرّفه ابن الاثير بقوله : (اما التخلص فهو أن يأخذ مؤلف الكلام في معنى من المعاني ، فبينا هو فيهاذ أخذ في معنى آخر غيره ، وجعل الاول سببا اليه ، فيكون بعضهآخذا برقاب بعض ، من غير أن يقطع كلامه ويستأنف كلاما آخر ، بل يكون جميع كلامه كأنما أفرغ افراغا ، وذلك مما يدل على حذق الشاعر وقوة تصرفه من أجل ان نطاق الكلام يضيق عليه ، ويكون متبعا للوزن والقافية فلا تواتيه الالفاظ على حسب ارادته ...) وكان يميل الى الاقتضاب الذي يحسن ان نستأنس بكلام ابن الاثير فيه أيضا حيث يقول : (وأما الاقتضاب فانه ضد التخلص ، وذلك أن يقطع الشاعر كلامه الذي هو فيه ، ويستأنف كلاما آخر غيره من مديح او هجاء أو غير ذلك ، ولا يكون للثاني علاقة بالاول ، وهو مذهب العرب ومن يليهم من المخضرمين ، وأما المحدثون فانهم تصرفوا في التخلص فأبدعوا واظهروا منه كل غريبة)[٧] .

(٥) الديوان (٢/٣٣٤) .
(٦) نفسه (٢/٣٧٧) .
(٧) المثل السائر (٣/١٢١-١٢٢) .

والحق ان الشاعر ــ كما قلنا ــ قلما كان يعنى بالتخلص من معنى الى آخر ، ولعل أحسن ما جاء في تخلصه قوله من قصيدة يمدح فيها المعتضد :

الى مجلسٍ أرضُهُ نَرجسٌ وأوتارُ عيدانهِ تَصطخِبْ
وحيطانُهُ خَرِطُ كافورةٍ وأعلاهُ من ذهبٍ يَلتهِبْ
فيا حسنَهُ بإمامِ الهُدَى وخيرِ الخلائقِ نفساً وأبْ(٨)

أما الأمثلة على قلة عنايته بالانتقال أو التخلص فهي كثيرة جدا من ذلك قوله في مدح المعتضد :

واذا ما ذَرَّتِ الشمسُ فيها فَتحتْ أعينَ روضٍ ملاحا
في ثَرىً كالمسكِ شيبَ براحٍ كلمّا أنبتَهُ القطرُ لاحا

ثم ينتقل فجأة الى المدوح فيقول :

جُمِعَ الحقُ لنا في إمامٍ قَتَلَ البخلَ وأحيا السَّماحا(٩)

وقوله في مدح الموفق :

عَجِلَ الرقيبُ بلحظِ عاشقهِ لو دامَ في وجناتهِ خَدَشا
أدرجتُ في الأحشاءِ فتنتَهُ فسعَى البكاءُ بسرِّها وَوَشَى

ثم ينتقل الى المدوح فيقول :

يا ناصرَ الإسلامِ إذْ خَذِلَتْ دَعواتُهُ فابتلَّ وانتعَشا(١٠)

اسلوبه :

نرى من المفيد ــ قبل الكلام على أسلوب الشاعر وخصائصه ــ أن نشير الى رأي ابي الفرج الاصفهاني في شعر ابن المعتز وأسلوبه الذي يعرضه فيقوله

---

(٨) الديوان (١/٤٠٦) .
(٩) الديوان (١/٤١٩) .
(١٠) نفسه (١/٤٦١-٤٦٢) .

(وشعره وان كان فيه رقة الملوكية وغزل الظرفاء وهلهلة المحدثين فان فيه أشياء كثيرة تجري في اسلوب المحدثين ولا تقصر عن مدى السابقين ، وأشياء ظريفة من أشعار الملوك في جنس ما هم بسبيله، ليس عليه أن يتشبه فيها بفحول الجاهلية فليس يمكن واصفا لصبوح ، في مجلس شكل ظريف ، بين ندامى وقيان ، وعلى ميادين من النور والبنفسج والنرجس ومنضود من امثال ذلك ، الى غير ما ذكرته من جنس المجالس الذي يفهمه كل من حضر ، الى جعد الكلام ووحشيه ، والى وصف البيد والمهامه والظبي والظليم والناقة والجمل والديار والقفار والمنازل الخالية المهجورة ، ولا اذا عدل عن ذلك واحسن قيل له مسيء ، ولا ان يغمط حقه كله اذا احسن الكثير وتوسط في البعض وقصر في اليسير ، وينسب الى التقصير في الجميع ، لنشر المقابح وطي المحاسن . فلو شاء ان يفعل هذا كل احد بمن تقدم لوجد مساغا ... وانما على الانسان ان يحفظ من الشيء احسنه ، ويلغي ما لم يستحسنه . فليس مأخوذا به ، ولكن أقواما ارادوا أن يرفعوا أنفسهم الوضيعة ، ويشيدوا بذكرهم الخامل ، ويعلوا أقدارهم الساقطة بالطعن على اهل الفضل والقدح فيهم ، فلا يزدادون بذلك الا ضعة ، ولا يزداد الآخرون الا ارتفاعا ، ألا ترى الى ابن المعتز قد قتل أسوأ قتلة ودرج فلم يبق له خلف يقرظه ولا عقب يرفع منه ، وما يزداد بأدبه وشعره وفضله وحسن اخباره وتصرفه في كل فن من العلوم الا رفعة وعلوا . ولا نظر الى اضداده كلما ازدادوا في طعنه وتقريظ أنفسهم واسلافهم الذين كانوا مثلهم في ثلبه والطعن عليه زادوها سقوطا وضعة وكلما وصفوا شعرهم وقرظوا آدابهم ، زادوا بها ثقلا ومقتا . فاذا وقع عليهم المحصل الموافق ، عدلوا عن ثلبه في الآداب الى التشنيع عليه بأمر الدين وهجاء آل أبي طالب ...)[11] .

---

(١١) الاغاني : (١٠/٢٧٤–٢٧٦) .

وواضح أن أبا الفرج يرى ان الاحسان والاجادة كانا غالبين على شعر ابن المعتز واسلوبه ، وان ما نزل منهما عن مستوى الاجادة والاحسان كان قليلا جدا ، وان الشاعر لم يكن الوحيد في هذا التقصير ، وانما شركه فيه كبار الشعراء في كل عصر •

ويظهر من كلام أبي الفرج ان اسلوب ابن المعتز ، قد تعرض الى النقد والتجريح من بعض معاصريه ، وان الحملة عليه لم تكن فنية محضا ، وانما كانت في بعضها بدافع التعصب او التشنيع عليه لموقفه المناهض للعلويين •

على اننا نعجب من قول الاصفهاني في عدول الشاعر عن وصف البيد والمهامه والظبي والظليم •• فهل كان يريد بهذا ان ابن المعتز لم يصف هذه الاشياء ، او انه كان يريد به قلة وصفه لها ؟ ان من يقرأ شعره يجد شيئا غير قليل من أوصافه لهذه الاشياء ، وبخاصة المهامه والجمل والناقة والديار والمنازل(١٢) •

الحق ان السهولة والوضوح وتحاشي التعقيد والالتواء هي طابع اسلوب شعر ابن المعتز عامة ، وهي وليدة طبعه السمح ، وبيئته المترفة ، وقد لا يستبعد أن تكون رد فعل لما كان عليه اسلوب أبي تمام من الغموض والتعقيد الذي هاجمه الشاعر هجوما عنيفا ، ولعل تميزه بهذا الاسلوب هو الذي جعل الكثيرين في عهده يفرطون في امره ويقدمونه(١٣) •

وسنحاول الوقوف على خصائص هذا الاسلوب من خلال الصورة الشعرية عند الشاعر المتمثلة في تشبيهه وخياله ومن خلال لغته وصنعته البديعية •

---

(١٢) انظر : فنون الفخر • والمديح • والشراب • والمعاتبات — للوقوف على أوصافه لهذه الاشياء .

(١٣) انظر ص (١٥٣) من هذه الدراسة .

التشبيه :

١ ــ التشبيه من أهم خصائص شعر ابن المعتز ، فقد عني به الشاعر عناية كبيرة وجعله وكده وغايته (وصرف اليه همه ، وعقد عليه عزمه وتفرغ فيه فلونه تلوينا فسيحا ذا نواح متعددة حتى عرف به وظهر فيه سبقه وتبريزه على شعراء عصره)[١٤] • لقد كان التشبيه يسيطر على أفكاره ، ويستبد بطاقاته ، فكان يحفل به ويحله من نفسه محلا خاصا ولعل هذا ما دفعه الى القول ــ كما يقال ــ (اذا قلت كأن ولم آت بعدها بالتشبيه ففض الله فاي)[١٥] •

وعرف له الاقدمون تبريزه في التشبيهات وقدرته الخلاقة على ابداعها واحسانها فقال فيه ابن رشيق (ولكم حكم عليه ــ على أحد الشعراء ــ ماحكم علــى ابن المعتــز الذي اليه انتهى التشبيه وســر صناعــة الشــعر)[١٦] • وقال ابن منظور : (انه نادر التشبيهات الملوكية)[١٧] • وقال العباسي : هو (اشعر الناس في الاوصاف والتشبيهات)[١٨] • واصبحت تشبيهاته مثلا يضرب بها في الحسن والجودة ، فكان يقال : (اذا رأيت كاف التشبيه في شعر ابن المعتز فقد جاءك الحسن والاحسان)[١٩] •

٢ ــ ويبدو أن هناك أكثر من سبب دفع الشاعر الى الاهتمام بالتشبيه والتفوق فيه •

ولعل في مقدمة الاسباب فطرته وميله الطبيعي الى التشبيه ولعل اول من فطن الى هذا هو ابن رشيق فقال في معرض حديثه عن ميول الشعراء واتجاهاتهم

---

(١٤) الصبغ البديعي (١٠٩) وانظر عبدالله بن المعتز لسيد الاهل (٣٧) .
(١٥) معاهد التنصيص (١٩٤) .
(١٦) العمدة : (١٩/٢) .
(١٧) نثار الازهار (٢٨) .
(١٨) معاهد التنصيص (١٤٦) .
(١٩) ثمار القلوب (٢٢٧) .

(مع انه لابد لكل شاعر من طريقة تغلب عليه فينقاد اليها طبعه ويسهل عليه تناولها ، كأبي نواس في الخمر ، وابي تمام في التصنيع ، والبحتري في الطيف، وابن المعتز في التشبيه)[٢٠] •

وهناك من يعزو اهتمامه بالتشبيه الى استاذه المبرد فهو يقول : (اناعظم اثر تركه المبرد في تلميذه كان توجيهه للتشبيه)[٢١] •

ويخيل الينا ان البحتري او شعره على الصحيح كان من أسباب تحبيب الوصف والتشبيه له ؛ فقد جاء في اخبار البحتري عن الصولي قوله :(وسمعت عبدالله بن المعتز يقول لو لم يكن للبحتري من الشعر الا قصيدته السينية في (وصف) ايوان كسرى ، فليس للعرب سينية مثلها ، وقصيدته في (وصف) البركة :

ميلو الى الدار من ليلى نحييها

واعتذاراته في قصائده الى الفتح بن خاقان التي ليس للعرب بعـــد اعتذارات النابغة الى النعمان مثلها ، وقصيدته في ابن دينار التي (وصف) فيها ما لم (يصفه) أحد قبله وهي التي اولها :

ألم تر تغليس الربيــع المبكر

(ووصفه) حرب المراكب في البحر ، لكان اشعر الناس في زمانه ، فكيف اذا اضيف الى هذا مدحه (ورقة تشبيهه) في قصائده ••)[٢٢] •

وواضح ان ابن المعتز قد شدد في هذا النص على لفظتي الوصف والتشبيه كما عدد قصائد للبحتري اشتهرت بالوصف وكثرة التشبيه • ومعنى هذا انه كان مولعا بشعر البحتري ، ومن المحتمل جدا أن يكون شعره قد أثار فيــه

---

(٢٠) العمدة (١/٢٨٥) •

(٢١) عبدالله بن المعتز (٢٣) لسيد الاهل •

(٢٢) ص (٧٢-٧٣) •

الرغبة والميل الى ما كان مشهورا به البحتري من كثرة الاوصاف والتشبيهات الحسية الرقيقة ٠

وقد مر بنا في غير هذا الموضع ان ابن المعتز كان يدعي ان الذي حبب اليه الشعر هو ما كان يسمعه في قصور ابيه من شعر البحتري فيه ٠

والقصائد التي أشار اليها ابن المعتز في هـــذا النص مشهورة بكثرة الاوصاف والتشبيهات وجودتها كأكثر شعر البحتري ٠ ولكنني سأقتصر على اثبات ما ورد في السينية من تشبيهات ، واترك ما انطوت عليه بقية القصائد من تشبيهات وأوصاف رغبة في الاختصار ٠ جاء في السينية :

حلل لم تكن (كأطلال) سـعدى	في قفـــار من البسابس ملس
(فكأن) الجرمـاز من عدم الانـ	ـس واخلالـــه بنيـــة رمس
(وكأن) الايوان من عجب الصنـ	ـعة جوب في جنب أرعن جلس
(وكأن) الوفود ضـاحين حسرى	من وقوف خلف الزحـام وخنس
(وكأن) القيان وسـط المقاصيـ	ـر يـــرجعن بين حو ولعس
(وكأن) اللقـــاء اول من امـ	ـس ووشك الفراق اول أمس[٢٣]

ومن المحتمل أن هذه التشبيهات وأدوات التشبيه وخاصة (كأن) في هذه القصيدة وأمثالها الكثيرة في شعر البحتري قد لفتت نظر ابن المعتز كثيرا فراح يشيعها في ثنايا اوصافه وتشبيهاته حتى أصبحت (كأن) كما أسلفنا من خواصه التي عرف بها ٠

ومن غير شك أن البيئة الخاصة التي نشأ فيها الشاعر والتي لم تتهيأ لكثير سواه قد امدته بمعين لا ينضب من صور التشبيه ٠ وفطن كثير من القدماء

(٢٣) ديوان البحتري (٣/١١٥٤ــ١١٥٥) وانظر الديـــوان ايضا ٤/٢٤١٤ــ ٢٤٢١ للوقوف على اوصاف البركة . وانظر ايضا الديـوان ٢/٩٨٠ للوقوف على اوصاف البحتري للمعارك البحرية .

والمحدثين الى هذا ، ولعل اعتذار ابن الرومي في قصوره عن شـــأوه في تشبيهاته ــ في الحكاية المعروفة ــ دليل على هذا[٢٤] •

ان احتفال الشاعر بالتشبيه كان عظيما حتى اصبح لكثرته ميزة ظاهرة في عامة شعره • وقد نحا في بعض منه منحى القدماء ، لكثرة محفوظه منه ، ولرغبته في المحاكاة ولا سيما في بعض قصائد الفخر والمديح والعتاب • من ذلك قوله :

والعِيسُ يَخبِطنَ السـ‍ـر يحَ كأنـهُ مِزَقُ الجوارِبْ
وكأنما قِطَعُ اللغـ‍ـا مِ على جماجِمها العصائبْ
وكأنما يَنشـ‍ـقْنَ عن أَزبادِها عُثَرُ المذانبْ
وكأنما تنـ‍ـدَى ذفرًا ها بأريـ‍ـاقِ الجنـادبْ
وكأنما أضلاعُهـ‍ـا أقواسُ نبـ‍ـعٍ أو مَشاجبْ
وكأنما أجفانُهـ‍ـا تُغضي على قُلُبٍ نواضِبْ[٢٥]

وواضح أن اكثر هذه التشبيهات التي يأخذ بعضها بحجز بعض لم تكن جديدة ، وانما هي معروفة في الشعر القديم • ولكن الشاعر مع هذا استطاع أن يضفي عليها من فنه حتى أحالها الى هذه الهيئة الجميلة •

واذا كان الشاعر قد نحا في بعض تشبيهاته منحى القدماء فانه قد نزع في أغلبها منزع الجدة والابداع •

والحق ان ابن المعتز كان دقيق النظر ، مرهف الحس ، قوي الملاحظة ، عارفا بصنوف الالوان ، محيطا بدقائق الاشكال ، ومن اجل هـــذا جاءت تشبيهاته دقيقة بارعة على الرغم من كثرتها • فهو حين يتصدى لتشبيه الاثافي

---

(٢٤) انظر ثمار القلوب (٢٢٧) والعمدة (٢/٢٣٦-٢٣٧) •

(٢٥) الديوان (٢/٢٧٣) •

التي كثيرا ما جاءت في الشعر القديم ، يفكر كثيرا في الصورة التي ينبغي ان تستحضر لهذه الاثافي . فاذا هي مرة في ركودها كالحمائم :

والاّ أثافٍ كالحمائمِ رُكّدُ
كأنّ الرمادَ بينهنّ ودائعُ[26]

واذا هي ثانية في مكثها كالعوائد اللائي يطلن جلوسهن عند من يعدنه :

خلتْ وعفتْ إلاّ أثافٍ كأنّها
عوائدُ ذي سُقمٍ بطيءٌ قعودُها[27]

واذا هي ثالثة كخدود العذارى الشاحبات :

عفَا غيرَ سفعٍ ماثلاتٍ كأنّها
خدودُ عذارَى مسّهنّ شحوبُ[28]

وهو حين يرى أكف الآكلين ساقطة على الجفنات . يستحضر لها صورة لطيفة هي صورة القطا الجاثم على مناهل الماء بعيدا عن التنفير فيقول :

كأنّ أكفّ القومِ في جفناتهِ
قطاً لم يُنفّرْهُ عن الماءِ سارحُ[29]

ولكنه حين يشاء تصوير تطاير رؤوس الاعداء بسيوف اصحابه فانه ينتزع لها صورة جميلة جدا : هي صورة الطير المنفّر الذي كان جاثما على الابدان فيقول :

---

(٢٦) الديوان (١/٤٦٧) .
(٢٧) نفسه (١/٨٢) .
(٢٨) نفسه (١/٥١) .
(٢٩) نفسه (١/٧٦) .

وكــــأنّ أيديَنـــــا تُنفـّرُ عنــهم
ضــيراً على الأبدانِ كُنّ وقوعــــا[٣٠]

ويمضي في ابتداع الصور والتشبيهات حتى ليعجب الانسان من دقتـه وبراعته فيها ، من ذلك قوله في تشبيه جلد الناقة :

وقادوا كلّ ســــــلهبةٍ سَبُوحٍ
كأنّ اديمَهـــا شَــرِقٌ بــراحِ[٣١]

فلون الاديم كلون من يشرق بالخمر وهو تشبيه فيه غرابة ودقة ، وقد لفت نظري هذا التشبيه حقا ، فلجأت الى المعجم للوقوف على معنى (شرق) فاذا فيه (شرق الشيء : اشتدت حمرته بدم أو بحسن لون أحمر ، وشـرقت عينه : احمرت) ، وواضح انه اراد هذا المعنى وهواحمرار وجه الشرقبالخمر •

وقوله في التباس الصبح :

ولقد قفوتُ الغيثَ ينطفُ دجنُــــهُ
والصبح ملتبسٌ كعينِ الأشــهلِ[٣٢]

والشهلة كما في المعجم : (اقل من الزّرَقِ في الحدقة واحسن منه ـ او أن تشرب الحدقة حمرة) وهذا هو لون الصبح أو اوله على الصحيح ، وهو تشبيه دقيق ولطيف كما ترى •

ويعيد الصورة ثانية ولكنها في هذه المرة معقدة وأكثر دقة وبراعة من الاولى ، وهي تمثيل صورة الجواد المختلط الدهمة بالشهبة ، فلون هذا الجواد او اختلاط لونيه على الصحيح أشبه باختلاط ضوء الصبح ببقايا الظلام :

---

(٣٠) الديوان (١/١٣١) •
(٣١) نفسه (١/٧٢) •
(٣٢) نفسه (١/١٦٥) •

وقارحٍ خَلَطَ الخلاّقُ دُهمتَــــهُ

بِشُهبةٍ كالتباسِ الصُبحِ بالظُلَمِ[٣٣]

وقد أكثر من تصوير الصباح والفجر وهما يتلوان الليل ويرفعان عنهما الظلام وتفنن في ايراد التشبيهات البارعة التي تدل على طاقة كبيرة وخيـال خصب ، ومهارة فائقة . من ذلك قوله :

غــدا والصبحُ تحتَ الليـل بـادٍ

كَطِرفٍ أشهبٍ مُلقِي الجـلالِ[٣٤]

فقد شبه الصبح وقد بدا من تحت الظلام بالجواد الابيض مال عنـه جلاله ، وهو تصوير فيه دقة ملاحظة وبراعة ، ويعجبه هذا التصوير والتشبيه فيعيده ثانية ولكنه يجعل الفرس في هذه المرة ورديا وجلاله قباطيا :

وما راعَنـا إلاّ الصبـاحُ كأنـهُ جِلالُ قَباطيٍّ على فرسٍ وردِ[٣٥]

ولكـن الشاعر لا يريد ان يقنع بصورة او اثنتين وانما يحلو له ان يعود كرة ثالثة الى هذا التصوير أو التشبيه فيعيده علينا ، ولكن بدون الاستعانة بجلال الجواد ، وانما هو يلجأ الى شيء آخر من ألوان الفرس ، ان الصبح يعترض بفجره الليلة السوداء كاعتراض بياض اللبب للفرس الدهماء :

والليـل قـد رقّ وأَصغى نجمُهُ واستوفزَ الصبحُ ولمّـا يَنتصِبْ

مُعتـرضاً بفجـرهِ في ليلـةٍ كفرسٍ دَهماءَ بيضاءِ اللببْ[٣٦]

(٣٣) الديوان (٦٤٤/٢) .

(٣٤) نفسه (٢٠٩/٢) .

(٣٥) نفسه (٣١٣/٢) .

(٣٦) نفسه (٤٢/١) .

ويمضي في استنباط صور جديدة اخرى لهذا الصباح او الفجر الذي يرفع عنه الظلام ، فيهديه خياله الباحث الى ان يقرن ذلك بلون الشيب الذي يلوح في اللمة السوداء والذي يرى ضالته فيه ، فيقول :

والصبحُ من تحتِ الظلام كأنّه ... شيبٌ بدا في لمّةٍ سوداءِ [٣٧]

ثم يرى ان يعيد هذه الصورة ، صورة اللون الابيض في اللون الاسود ولكن في مجال آخر غير الشَعَر فيقول :

الى أنْ بدا في الليلِ فجرٌ كأنّهُ ... قِلادةُ ودَعٍ في ترَائب أسودِ [٣٨]

على ان اظرف ما هداه خياله في هذا الشأن هو قوله :

كأنا وضوءُ الصبحِ يَستعجلُ الدجى
نُطيرُ غراباً ذا قوادمَ جونِ [٣٩]

فقد صور الليل في أواخره بالغراب الاسود ذي القوادم البيض ، وجعل الصبح يستعجله ويفزعه ، كما يُستعجلُ الغرابُ المُطارد ويُفزَع •

وانظر الى تشبيه حركات ارجل العيس ويديها في قوله :

طلوباً برجليها يديها كما اقتضتْ
يدُ الخصمِ حقاً عندَ آخرَ يُمطِلُ [٤٠]

وهاتان صورتان اخريان متحركتان ايضا ــ وان كان يلمح فيهما شيء من روح القديم ــ الاولى صورة الغيم وقد حث اوله ، والثانية صورة الخباء الذي تضربه الريح ، فانظر كيف يشبههما ويصورهما ، قال في الاولى :

---

(٣٧) الديوان (٢/٢٩٦) •
(٣٨) الديوان (٣/٣١) •
(٣٩) نفسه (٢/٢٤٩) •
(٤٠) نفسه (١/١٥٧) •

كأنَّا الغيمُ لمَّا حُثَّ أونُهُ مضاربُ الحيِّ تعلو ثمَّ تنخفض[٤١]

وقال في الثانية :

ورفعنا خباءنا تضربُ الريحُ حشاهُ كالجاذفِ المقصوصِ[٤٢]

فهو في الاولى جعل حركة الغيم كحركة خيم الحي في الارتفاع والانخفاض وفي الثانية جعل حركة الخباء الذي تضرب حشاه الريح كحركة الطائر المقصوص الجناح الذي يكون عادة اكثر حركة واضطرابا من الطائر السليم الجناح[٤٣] وهو تشبيه بارع حقا •

وانظر الى تشبيهه للثور الوحشي الذي كان يسوق عددا من اللواقح ويحيطها برعايته وعنايته ، ثم خروجه من غمار الغبار المثار في قوله :

قابضٌ جمعَها إليه كما جمَّـ ـعَ أيتامَهُ إليهِ الوصيُّ
خارجٌ من ظلالِ نقعٍ كما مزَّ قَ جلبابَهُ الخليعُ الغويُّ[٤٤]

ألا ترى صورتين جميلتين من صور التشبيه : الاولى صورة الثور القابض للواقحه وتشبيهه بالوصي الجامع لايتامه ، والثانية صورة هذا الثور الخارج من خلال النقع مندفعا بقوة وتشبيهه بالخليع الغوي الممزق الجلباب ؟

وهو لسعة آفاق خياله وتمكنه من فنه ما كان يكتفي حين يعرض لتصوير شيء بصورة واحدة او تشبيه واحد ، وانما كان يتفنن ـ كما مر بنا ـ في عرضه بصور وتشبيهات شتى •

---

(٤١) الديوان (٣/٣١٢) •
(٤٢) نفسه (٢/٤٥٤) •
(٤٣) انظر : اسرار البلاغة (٢٥١) •
(٤٤) الديوان (١/٢٠١) •

انظر كيف يصور الغرة اللائحة في جبهة الجواد الاسود في قوله :

ذو غـرّةٍ في وجهـه فكأنّه   ليـلٌ تبرقعَ وجهُه بصباحِ[٤٥]

انها كالصباح الذي يبرقع وجه الليل ، وهو تصوير حي مجسم لما خلعه على هذا الليل مـن وجه مبرقع بهذا الصباح .

وانظر ايضا الى تصويره مشية الجواد المحجل في قوله :

ومحجّلٍ ــ غيرَ اليمينِ ــ كأنّهُ   متبختر" يمشي بكمٍّ مسبَلِ[٤٦]

انه تصوير يكاد يبعث في النفس الخيلاء والتبختر ، ثم لننظر الـى ارتفاع احجال هذا الجواد او غيره في قوله :

ترى أحجالَهُ يصعدنَ فيـهِ   صعودَ البرقِ في جـوِّ الغمام[٤٧]

انها صورة لا تخلو من غرابة ولكنها جميلة رائقة .

ان صور التشبيه لدى ابن المعتز كثيرة ، وانـه لمن الصعب حصرها في حيز واحد . فهي تطالعنا في جل شعره شاهدة على تمكن الشاعر وقدرتـه الخلاقة وابداعه فيها .

ومن اهم ما يمتاز به الشاعر في هذه التشبيهات والصور هو تنوعهـا في الموضوع الواحد مما يدل على طاقة شاعرية واسعة وخيال خصب .

لقد كان ابن المعتز مسحورا بما في هذا الكون الفسيح من مظاهر الجمال ومن اجل هذا كثرت اوصافه وتشبيهاته لهذه المظاهر كثرة تلفت النظر حقا .

فالسماء وما اشتملت عليه كانت مهبط الهامه ، ومصدرا واسعا مـن مصادر فنه فانطلق انطلاقا واسعا وراء رقعتها ، وجهد ان يعرض ما اشتملت عليـه عرضا دقيقا فائقا .

---

(٤٥) الديوان (٢/٥٣٥) .
(٤٦) نفسه (٢/٦٢٨) .
(٤٧) نفسه (٣/٣٧١) .

فالنجوم المتلألئة في دياجير الظلام والمبثوثة في صحن السماء قد استهوته وملكت عليه حواسه فراح يتفنن في تصويرها وابتداع انواع التشـــبيهات لها ، كقوله :

كأنَّ نجومَ الليــلِ وهي طوالــع" عيون"الى الكاسات ِترنو وتطرف[٤٨]

وقوله :

وأَسفرَ بعدَ ذلك عــن ســـماءٍ كأنَّ نجومَها حَدَقُ المِلاحِ[٤٩]

وقولــه :

ورنــا إليَّ الفرقــدانِ كمــا رَنَتْ
زرقاءُ تَنظــرُ من نقــابٍ أسودِ[٥٠]

وقولــه :

كأنَّ نجومَ الليــلِ والليــلُ مظـــلم"
وجوهُ عــذارَى في ملاحفَ سودِ[٥١]

وقولــه :

كأنَّ نجومَ الليــلِ في فحمةِ الدجى
رؤوسُ مَدارٍ رُكّبتْ في مَعاجرِ[٥٢]

وقولــه :

وكأنَّ أنجمــــهُ فرادَى نــرجسٍ
خَضلٍ تطلَّع من رياضِ بنفسجِ[٥٣]

---

(٤٨) الديوان (١٨١/٢) .
(٤٩) نفسه (٧١/١) .
(٥٠) نفسه (٨٧/١) .
(٥١) نفسه (٢٦٨/٣) .
(٥٢) نفسه (٢٧٥/١) .
(٥٣) نفسه (٢٥١/٣) .

وقولـه :

بمخشية الاقطـار حنـانة الصدى

معطلة الآيات محـذورة القصـد

كأن نجوم الليـل في حجراتهـا

دراهم زيف لم يجزن على النقـد(٥٤)

وقولـه :

ونجمُ الليـل يركضُ في الدياجي

كأنَّ الصبحَ يطلبـهُ بثـار(٥٥)

فالنجوم في المثال الاول كالعيون التي ترنو الى الكؤوس وتطرف ، وفي الثاني كحدق الملاح وفي الثالث ينظر اليه النجمان كما تنظر زرقاء العينين من خلال نقابها ، وفي الثالث تبدو كوجوه العذارى في سود الملاحف ، وفي الخامس كرؤوس الامشاط المركبة في الرؤوس ، وفي السادس كوحدان النرجس الندي المتطلع من رياض البنفسج ، وفي السابع تبدو في ثبوتها ووقوفها كالدراهم الزائفة التي لا تصلح للصرف ، وفي الثامن يبدو النجم راكضا والصبح في أثره يطرده وكأنه يطلبه بذحل .

ومن غير شك ان هذه التشبيهات العديدة لموضوع واحد دليل على موهبة خاصة قادرة لم يرزقها كثير من الناس كما رزقها ابن المعتز ، ودليل على ان الشاعر كان يعمد الى ترصيع أشعاره بالتشبيهات متوخيا أحداث متعة فنية .

(٥٤) الديوان (٢/٣١٢) .

(٥٥) نفسه (٣/٢٩٠) .

وليست النجوم وحدها التي حظيت بعناية الشاعر وانما شـــاركتها في ذلك نجوم أخرى كالثريا التي احتفى بها احتفاء كبيرا وانطلق وراء مخيلتـه الثرة فاتحفنا بصور وتشبيهات جميلة كتلك التي مرت في النجوم • وقد تناول وصفها وتشبيهها في اكثر من عشرة مواضع تفنن فيها تفننا طريفا • ويبدو أنه كان يترصدها في اواخر الليل ليتحقق من شكلها . ولكي يضبط الصورة ضبطا محكما ولهذا فقد أكثر من ألفاظ (الغرب والغروب وأواخر الليل) في ثنايا أوصافه لها •

ولننظر الآن الى أمثلة من تشبيهاته لها . فان يشبهها بالنور المتفتح او اللجام المفضض :

كأنَّ الثـــريا في أواخرِ ليلِهـــــــا

تَفَتَّحُ نَوْرٍ أو لجامٌ مُفَضَّضُ[٥٦]

وقال في تشبيه بريقها ولمعانه :

وقــد لمعتْ حتَّى كأنَّ بريقَهـــــا

قواريرُ فيهـــا زئبــقٌ يَترجرجُ[٥٧]

وقال يشبهها بالنرجس الجني :

فناولنيها والثُّريَّـــــــا كأنهـــــا

جَنَى نرجسٍ حيَّا الندامَى به الساقِي[٥٨]

وقال يشبه خفوت اضواء نجومها بسبب امتداد ضوء الفجر باحتضار السقيمات ــ وهو تشبيه فيه دقة ملاحظة :

كأنَّ نجومهـا والفجرُ يحـدو بليلتهِ . ســـقيماتٌ تَفوقُ[٥٩]

---

(٥٦) الديوان (٢/١٦٨) .

(٥٧) نفسه (٢/١٨٦) .

(٥٨) نفسه (٢/١٨٤) .

(٥٩) نفسه (٢/١٨٦) .

وفعل في القمر ما فعل في النجوم والثريا ، فجاء بأروع الصور وأفتن التشبيهات . وهل هناك أجمل من زورقه الفضي المثقل بحمولة العنبر :

وانظرْ إليــــه كزورقٍ من فضةٍ قد أثقلتْهُ حمولةٌ من عنبرِ[60]

أو أروع من منجله الفضي الذي يحصد أزاهير النرجس :

انظر إلى حسنِ هلالٍ بــــدا يَهتِكُ مــن أنــواره الحندسـا

كمِنجلٍ قد صِيغَ من فضــــةٍ يَحصدُ من زهرِ الدجى نَرجسا[61]

أو ألطف من طوق العروس المجلو على غلائل سود :

وهلالٌ أســـــاءَ طوقَ عروسٍ باتَ يَجلَى على غلائل سودِ[62]

أو أحلى من نون مذهبة على فيروزج :

وانظر إلى حسنِ الهلالِ كأنَّــهُ نونٌ مُذَهَّبةٌ على فيروزجِ[63]

أو هل هناك تشبيه أدق من تشبيهه له بعد انحسار الظلام عنه كما في قوله:

إذا الهلالُ فارقتْــهُ ليلتُــــه بدا يَسَنٌ يبصرُهُ وينعتُــــه

كأنهُ أســـرُ شـــابتْ لحيتُه[64]

أو أبرع من تشبيهه لنصف القمر كما في قوله :

في قمرٍ مُســـتَرقٍ نصفُـــهُ كأنهُ مجرفـــةُ العطـــرِ[65]

---

(٦٠) ديوانه ٣/١٥٩١ .

(٦١) نفسه ٣/٦٠٥ .

(٦٢) نفسه ٢/٥٦٦ .

(٦٣) نفسه ٣/١٢٥١ .

(٦٤) نفسه ٣/٥٢٦ .

(٦٥) نفسه ٢/٥٨٣ .

وواضح ان هذه التشبيهات تعكس ذوق ابن المعتز الثري المستمد من واقعه الخاص الذي يمده بها •

على أن هذا ليس كل ما لفت نظر ابن المعتز مما اشتملت عليه السماء ، فكان له في البرق الذي يخطف الابصار ويجول في ميـــدان الســماء صور وتشبيهات غريبة تنبض بالحركة والحياة ، ولعل من اعجب ما شبه به لمعان البرق من خلال الغمام قوله :

كأنَّ الغمــامَ ولمعَ البـروقِ نساءٌ يقاتلْنَ بالأزنــدِ(٦٦)

وقوله في المعنى نفسه أيضا :

سحابةٌ والبُروقُ تخرقهـــا كشاطـرٍ بالسياطِ يُعتوَرُ(٦٧)

ومن طرائف تشبيهه لحركة البرق أيضا قوله :

فكأنَّ البرقَ مُصحفُ قــارٍ فانطباقــاً مــرَّةً وانفتاحا(٦٨)

ان هذه الصور والتشبيهات في هذه الامثلة ليست سهلة ، وليس بوسع كل واحد أن يفطن الى ما بين المشبه والمشبه به فيها من علاقة ودقة كما فطن ابن المعتز • وقد أشار الجرجاني الى شيء من هذا في كلامه على المثال الثالث فقال : (••• ولم يكن اعجاب هذا التشبيه لك وايناسه اياك ــ لان الشيئين مختلفان في الجنس أشد الاختلاف فقط ، بل لانه حصل بازاء الاختلاف اتفاق كأحسن ما يكون وأتمه ، فبمجموع الامرين شدة ائتلاف في شدة اختلاف ــ حلا وحسن وراق وفتن)(٦٩) ، ونحن نرى هذا الرأي في المثالين الاول والثاني أيضا •

---

(٦٦) الديوان (٢/٥٦٣) •
(٦٧) نفسه (٢/٥٧٧) •
(٦٨) نفسه (١/٤١٨) •
(٦٩) اسرار البلاغة (١٧٦ــ١٧٧) •

الحق ان الحياة والجمال والفن لتشيع في صور ابن المعتز وتشبيهاته على الرغم من انثيالها وازدحامها في شعره ، وذلك لاحتفائه لها وتأنقه بها ، ولسعة مداركه ودقة ملاحظته وثقوب ذهنه • وان الدارس لشعره ليحار في اجتباء ما يمثل به له من ضروب الصور وفنون التشبيهات حين يجدها كلها متماثلة في اللطف والاحسان •

انظر الى هذه الصورة من التشبيه في قوله :

ريمٌ يتيـــهُ بحســنِ صورتهِ   عَبَثَ الفتورُ بلحظِ مقلتـــهِ
وكأنَّ عقربَ صـــدغهِ وقفتْ   لمَّـا دَنَتْ من نارِ وجنتهِ [٧٠]

ألا تراها رائعة روعة شديدة لما أشاعه فيها من جمال وبعث من نار ، هي نار الوجنات أو هي نار الفن كما يقول بعض الدارسين[٧١] •

وانظر الى هذا التشبيه في قوله :

وكأنَّ الهوَى أمـــرؤٌ علويٌّ   ظَنَّ أني وَليتُ قتلَ الحسينِ
وكأني لديهِ نَجلُ زيـــادٍ   فهو يختــارُ أوجعَ **القتلتينِ [٧٢]**

انه تصوير غريب لا نحسب أحدا سبقه اليه من قبل ، وغرابته مستمدة من تصويره لقسوة الحب وشدة وطأته عليه ، وربطهما بقسوة العلويين وشدة وطأتهم على قتلة الحسين بن علي سبط الرسول (ص) •

وننظر الى هذا التشبيه أيضا في قوله :

في نيـــةٍ فيهـا السماءُ ملمـةٌ   سوداءُ مظلمة كقلبِ الكافرِ [٧٣]

---

٧٠. الديوان (١/٢٣٩) .
٧١. انظر : الفن ومذاهبه في الشعر العربي (١٩٠) .
٧٢. الديوان (٣/٣٨٨) .
٧٣. نفسه (٢/٥٨٦) .

أليست هذه صورة غريبة أيضا ، وان غرابتها نابعة من هذا التشبيه او العلاقة بين سواد الليلة وسواد قلب الكافر ؟

فالشاعر في هذين المثالين يجنح الى ما يسـميه الجرجاني بالتنافر أو الاضداد فيتخذ منه صوره وتشبيهاته ، وهو امر ليس من السهل البراعة فيه .

وهناك صور وتشبيهات اخرى جميلة فائقة غير هذه وهي مبثوثة في تضاعيف شعره ، وجلها منتزع من واقعه الخاص الثري بأمثالها .

ويعمد أحيانا الى أن يجمع أكثر من تشبيه واحد في البيت الواحد ، وهو مما تنبه اليه الشريف المرتضى ، وارتأى بعض دارسـيه تسميته بالتشبيه العددي[٧٤] ، وهو قوله :

بـدرٌ وليـلٌ وغصـنٌ	وجـهٌ وشـعرٌ وقـدٌ
خمـرٌ ودرٌ وورد	ريـقٌ وثغـرٌ وخـدٌ[٧٥]

ولعل مما يدخل تحت هذا أيضا قوله :

طَرِبتُ الى الصبوحِ مع الصباحِ	وشربِ الراحِ في غـررٍ وضاحِ
وكان الثلجُ كالكافورِ نـثـراً	وناري قوبَ نارنجي وراحي
حريقٌ في حـريقٍ في حريقٍ	وصبحٌ في صباحٍ في صباحِ[٧٦]

وقد سلك في بعض تشبيهاته طريقة الطرد أو العكس ، وهي طريقة يراد منها المبالغة في التشبيه[٧٧] ، كقوله :

ولاحَ ضوءُ هلالٍ كادَ يفضحُهُ	مثل القلامةِ قد قُصَّتْ منالظفرِ

---

(٧٤) انظر : عبدالله بن المعتز لسيد الاهل (٤٠) .
(٧٥) الديوان (٣/٢٥٧) .
(٧٦) نفسه (٣/٢٥٦) .
(٧٧) انظر : المثل السائر (٢/١٥٨–١٦٠) .

فالاصل كما هو معروف ان تشبه قلامة الظفر بالهلال لا العكس ، ولكن الشاعر عكس هذا الامر مبالغة منه ، ومثل هذا قوله :

كِدتُ أقولُ : البدرُ شبهٌ لهـا أجعلُـهـا كالبـدرِ حاشاها[78]

وواضح مما سقنا من امثلة ان الشاعر كان مبرزا في كل ما تناول من صور وتشبيهات ، وان هذه الصور والتشبيهات لا يمكن حصرها ، او جمعها في حيز محدود ، وان القاريء لشعره يجد نفسه وكأنه يتنقل في معرض الطبيعة الفسيح ، المفعم بضروب الاشكال والاصباغ والالوان .

٣ ــ اتجه ابن المعتز في عامة اوصافه وتشبيهاته اتجاها حسيا ، وقد عرف القدماء اتجاهه هذا ، ولعل من أقدم من أشار الى ذلك الجرجاني حيث قال : (وكذلك تقول : ابن المعتز حسن التشبيهات بديعها ، لانك تعني تشبيهه المبصرات بعضها ببعض ، وكل ما لا يوجد التشبيه فيه من طريق التأول (ذكر امثلة من تشبيهاته) ... وما كان من هذا الجنس ولا تريد نحو قوله :

اصبِـرْ على مضضِ الحسـو دِ فانَّ صبرَكَ قاتلُـه

فالنـارُ تأكلُ نفسَـها إنْ لـم تجـدْ مـا تأكلُـه

وذلك ان احسانه في النوع الاول اكثر ، وهو به أشهر)[79] .

وحاول غير واحد ممن كتب عن ابن المعتز في القديم والحديث ان يتلمس الاسباب التي دفعت به الى هذا الاتجاه وتفضيله له على الاتجاه المعنوي .

ولعل في مقدمة هذه الاسباب البيئة الخاصة التي شب بها الشاعر ،وهي بيئة مترفة زاخرة بكل صنوف الزينة والمتعة ، ويبدو ان اول اشارة الى

---

(٧٨) الديوان (١/٢٠) .

(٧٩) اسرار البلاغة (١٠٨ــ١٠٩) .

هذه البيئة الخاصة جاءت عن ابن الرومي معاصره في رده على من لامــــه في قصوره عن شأو ابن المعتز في الاوصاف والتشبيهات في الحكاية المعروفة التي سنشير اليها فيما بعد • ثم اعقبه الثعالبي الذي الح الى هذه البيئة أيضا ، واضاف اليها ما كان عليه الشاعر من البراعة المنقطعة النظير فقال : (ولما كان غذي النعمة ، وربيب الخلافة ، ومنقطع القرين في البراعة ، تهيأ له من حسن التشبيه ما لم يتهيأ لغيره ، ممن لم يروا ما رآه ، ولم يستحدثوا ما استحدثه من نفائس الاشياء وطرائف الآلات)[٨٠] •

ولعل من هذه الاسباب ايضا ثقافة الشاعر العربية الخالصـــة التي استمدها من اساتذته ومما قرأه من التراث العربي الخالص •

ويرى بعضهم ان سلوك الشاعر لهذا الاتجاه هو تغطية لمـــا مر به من ظروف قاسية في حياته كمقتل والده ، وما تعرض له بعد مقتله من احـداث ، والهاء لنفسه عن العالم الفكري الذي يمكن أن يجر عليه كثيرا من الويلات والآلام لو أطال الانصات اليه[٨١] ، وقد لا يستبعد أن يكون لشعر كبير شعراء العصر في عهده واعني به البحتري الذي كان ابن المعتز معجبا به الى حد كبير، أثر في هذا الاتجاه •

وقد يكون اتجاهه هذا رد فعل او مقابلة للاتجاه الحاد الذي سـلكه أبو تمام فبالغ فيه ، ولعل مهاجمته القوية لطريقة أبي تمام وليدة رد الفعل هذا او المقابلة ، حتى ليبدو (وكأنه كان يرى ــ استنادا الى ما اورده في كتـابه البديع ــ ان المذهب الكلامي شيء غير الشعر)[٨٢] •

---

(٨٠) ثمار القلوب (٢٢٧) •

(٨١) انظر : عبدالله بن المعتز العباسي للدكتور محمد عبـدالعزيز الكفـراوي (١٥٦ ، ١٥٩) •

(٨٢) ابن المعتز العباسي ٢٥٩ للدكتور احمد كمال زكي •

ويبدو أن الطريقة الحسية في الوصف والتشبيه ـ لدى القدماء ـ كانت هي المفضلة ، وقد أشار ابن رشيق الى هذا فقال : (وصفة الانسان ما رأى يكون لا شك أصوب من صفته ما لم ير ، وتشبيهه ما عاين بما عاين أفضل من تشبيهه ما أبصر بما لم يبصر ، ومن هنا يحكى عن ابن الرومي ان لائما لامه فقال : لم لا تشبه تشبيه ابن المعتز وأنت أشعر منه..)[83] وقال أيضا : (واحسن الوصف ما نعت به الشيء حتى يكاد يمثله عيانا للسامع ... وقال بعض المتأخرين أبلغ الوصف ما قلب السمع بصرا)[84] .

وكان أبو هلال العسكري لا يستحسن التشبيه غير المبصر ، قال في الصناعتين : (وقد جاء في أشعار المحدثين تشبيه ما يرى العيان بما ينال بالفكر ، وهو رديء ، وان كان بعض الناس يستحسنه لما فيه من اللطافة والدقة ...)[85]

لقد اثنى غير واحد من القدماء ـ كما مر ـ على أوصاف ابن المعتز وتشبيهاته ، واعترفوا له بالتبريز والتفوق فيهما . كما أثنى عليهما الدارسون والباحثون المحدثون ، اللهم الا فئة قليلة حاولت التنديد باتجاهه الحسي فيهما والنيل من شاعريته .

لقد تميز ابن المعتز بالوصف والتشبيه وأصبحت تشبيهاته مشهورة لدى أبناء عصره ، مما حدا ببعضهم أن يتحدى بها أحد مشاهير الوصف والتشبيه آنذاك . فقد روى ان لائما لام ابن الرومي وقال له : (لم لا تشبه تشبيه ابن المعتز وأنت اشعر منه ، قال انشدني شيئا من قوله الذي استعجزتني في مثله فأنشده في صفة الهلال :

---

(٨٣) العمدة (٢/٢٣٦) .

(٨٤) نفسه (٢/٢٩٤) .

(٨٥) ص ٢٤٨ وضرب مثالين كان احدهما لابن المعتز ، وانظر ديوان المعاني (١/٣١٠) .

فانظرْ اليهِ كزورقٍ من فضـــةٍ قد أثقلتْهُ حمولةٌ من عنبـرِ

فقال : زدني ، فأنشده :

كأنَّ آذَريونَهـــــا والشمسُ فيـهِ كاليـه
مــــداهنٌ من ذهبٍ فيها بقايا غاليــــــه

فصاح : واغوثاه ،يالله ، لا يكلف الله نفسا الا وسعها ، ذلك انما يصف ماعون بيته ، لانه ابن الخلفاء ، وأنا أي شيء أصف ؟ ولكن انظروا اذا وصفت ما اعرف أين يقع الناس كلهم مني ؟ هل قال أحد قط املح من قولي في قوس الغمام •

وقد نشـرت آيدي الجنوب مطارفـــاً
على الجوِّ دُكناً وهي خضرٌ على الارضِ
يطرِّزُها قوسُ الغمــــــامِ بأصفرٍ
على أحمرٍ في أخضـرٍ وسط مُبيّضِ
كأذيـالِ خودٍ أقبلتْ في غلائـــلٍ
مصبّغـــــةٍ والبعضُ أقصرُ من بعضِ

وقولي في قصيدة في صفة الرقاقة :

ما أنسَ لا أنسَ خبَّـازاً مررتُ بـهِ
يدحو الرقاقةَ وشكَ اللمح بالبصـــرِ
ما بينَ رؤيتهـا في كفّـهِ كـــــرةً
وبينَ رؤيتهـــا قوراءَ كالقمــــرِ

إلا ّ بمقـــدارِ ما تَنـداحُ دائـــرةٌ

في صفحةِ الماءِ يُرمَى فيهِ بالحجرِ[86]

وحاول ابن رشيق أن يرد على ادعاء ابن الرومي واعتذاره في تقصيره عن تشبيهات ابن المعتز في عقب هذه الحكاية فقال : (وهذا كلام ـ ان صح من ابن الرومي ـ فلا اظن ذلك أمرا لزمه فيه الدرك لان جميع ما أراه ابن المعتز أبوه وجده في ديارهم ـ كما ذكر ان ذلك علة للاجادة وعذر ـ فقد رآه ابن الرومي هنالك أيضا ، اللهم الا أن يريد ان ابن المعتز ملك قد شـــغل نفسه بالتشبيه فهو ينظر ماعون بيته وأثاثه فيشبه به ما أراد ، وأنا مشغول بالتصرف في الشعر طالبا به الرزق ، أمدح هذا مرة واهجو هذا كرة ، واعاتب هذا تارة، واستعطف هذا طورا ، ولا يمكن أن يقع أيضا عندي تحت هذا)[87] •

ويبدو ان اغلب من كتب عن ابن المعتز وتعرض لهذه الحكاية كان يرد على ابن الرومي في ادعائه كما رد ابن رشيق •

وكان لهذه الحكاية أيضا أثر كبير في تجريح بعضهم لتشبيهات ابن المعتز والطعن عليه في شاعريته ، ولعل أعنف من حمل عليه هو الاستاذ العقاد الذي غمزه بأنه ينقل عن الطبيعة كما تنقل المرآة او المصورة الشمسية ، في حين يرى ان الشاعر الجدير بهذه التسمية هو الذي يشعر بالشيء ويتخيله ويجيله في روعه ويجعله جزءا من حياته ، وهذا ما يراه متمثلا بابن الرومي في وصفـــه غروب الشمس[88] •

والحق ان في كلام الاستاذ العقاد تحاملا كبيرا على ابن المعتز وانتقاصا لكثير من مواهبه وشاعريته ، وهو الشاعر الذي اعترف له بالسبق كثير من

---

(٨٦) العمدة (٢/٢٣٦ـ٢٧٣) وانظر معاهـد التنصيص (٥١ـ٥٢) ونســـب الحكاية لابن درستويه وغيره •

(٨٧) العمدة (٢/٢٣٧) •

(٨٨) انظر : ابن الرومي للعقاد (٣٠٨) ، وانظر الوصف في شعر العراق ١٥٤ •

كبار الادباء والنقاد قديما وحديثا ، على ان الكثير من اوصافه وتشبيهاته لم تخل من الانفعال النفسي (والتصوير لعاطفته ووجدانه واحساسه بالحياة)[٨٩] .

كما أن (لتلك التشبيهات أهدافها الجليلة أيضا الا وهي نقل المشاهدات الى السامعين في أدق عبارة واقرب لفظ ، هذا الى المتعة الكبيرة التي يصادفها القاريء عند كشف اوجه الشبه ووشائج القرابة بين مظاهر الكون التي تبدو وكأنها متباعدة متباغضة)[٩٠] .

ويبدو ان ابن المعتز قد استطاع أن يفرض طريقته في الزخرف الحسي على من أعقبه من الشعر فيما بعد ، فكان يعد نموذجا طيبا لدى الجميع[٩١] .

على انه ينبغي أن نشير الى أن الشاعر لم يقتصر في عامة شعره على هذا الاتجاه الحسي ، ففي شعره نماذج جيدة وبارعة في الاوصاف المعنوية غير الحسية ولكنها قليلة بالقياس الى تتاجه الواسع في الاتجاه الآخر . من ذلك قوله في الخمر :

وندمانٍ سَقيتُ الراحَ صرفاً وأفقُ الليلِ مُرتفعُ السُّجوفِ
صَفَتْ وصفت زجاجتُها عليها كمعنىً دقَّ في ذهنٍ لطيفِ[٩٢]

وقوله :

فقد خَفِيتْ من صفوِها فكأنَّها بقايا يقينٍ كادَ يُذهِبُهُ الشكُّ[٩٣]

---

(٨٩) ابن المعتز وتراثه في الادب (٢٣٨) .
(٩٠) عبدالله بن المعتز للدكتور الكفراوي (١٦١) .
(٩١) انظر ابن المعتز العباسي للدكتور احمد كمال زكي (٢٦٠) .
(٩٢) الديوان (٢/١٨٠) .
(٩٣) نفسه (٢/١٩٣) .

وقوله :

وَصفتْ فهي ليسَ تُشبهُ إلاّ   خلُقَ الماجدِ الكريمِ النجيب[٩٤]

وظاهر من هذه الامثلة ان الشاعر كان بوسعه أن يأتي بالتشبيهات المعنوية لو اراد ، ولكنه لم يرد ان يغلبها على الاتجاه الذي اختطه لنفسه والذي كان يجد فيه متعته وضالته المنشودة .

٤ ــ ونرى ان نختتم الكلام على تشبيه ابن المعتز بالاشارة الى ما أخذه عليه بعض النقاد في بعض تشبيهاته فقد عد أبو هلال العسكري جمعه بين الليل والناس في قوله :

أرى ليلاً من الشعر   على شمسٍ من الناس

رديئا باردا[٩٥] ، واخذ عليه بعضهم استعماله (جنى نرجس) في قوله :

فناولنيها والثريا كأنَّها   جَنَى نرجسٍ حيَّا الندامَى به الساقِي

فقالوا : لو قال : باقة نرجس كان أتم[٩٦] .

ويأخذ عليه الجرجاني قوله في الورد :

بياضٌ في جوانبهِ احمرارٌ   كما احمرَّتْ من الخجل الخدودُ

---

(٩٤) الديوان (٢/٤٢) وانظر ايضا (٢/٤١٧) ، (٣/٣٩٥) .

(٩٥) الصناعتين ٢٦٥ ، ورواية الديوان (على وجه من الناس) . وانظر ابن المعتز وتراثه في الادب (٢٣٩) ، يقول الاستاذ خفاجي كان الاولى ان يقول على شمس من الجمال او على وجه كالشمس أو ما شابه ذلك مما ينأى بأسلوب التشبيه عن الضعف والخطأ لانه اذا صح ان يقال ليل شعر على التشبيه فلا يصح ان يقال شمس ناس عليه ايضا (كذا).

(٩٦) ديوان المعاني (١/٣٣٥) .

فقال : (والخجل انما يحمر وجنتاه فاما منبت الاصداغ ، ومخط العذار فقليلا ما يحمران ، فهذا التمييز مسلم له ، وان لم يكن يسبق اليه ، ولو اتفق له ان يقول حمرة في جوانبها بياض لكان قد طبق المفصل ، وأصاب الغرض ، ووافق شبه الخجل ، لكن أراد ان البياض والحمرة يجتمعان فجعل الاحمرار في جوانب البياض فراغ عن موقع التشبيه)[٩٧] . وعلق ابن رشيق على هذا البيت فقال : (لان الخدود متوسطة وليست جوانب ، وهذا من سوء المقابلة ، وان عده الجرجاني غلطاً في التشبيه ، وانما العلة في كونه غلطا ما ذكرناه)[٩٨] (وقال عبد القاهر الا انه لعله وجد الامر كذلك في الورد فشبه على طريق العكس ، فقال : هذا البياض حوله الحمرة كهذه الحمرة حولها البياض في وجنة الخجل)[٩٩] .

وأخذ عليه آخرون استعماله (مجرفة العطر) في قوله :

في قمـرٍ مُسـترقٍ نصـفُهُ كأنَّـهُ مجرفـةُ العطـرِ

فقالوا : لو قال مجرفة النور او الدر لما برحت الهجنة[١٠٠] .

واخذ عليه بعضهم أيضا استعماله (أغصان شوك) في قوله يصف دفتـرا :

دُونَكَهُ موشـىً نَمنَمتـهُ وحاكتْهُ الأَناملُ أيَّ حـوكِ
بشـكلٍ يُؤمـنُ الحرفَ المُخلى كأن سطورهُ أغصانُ شـوكِ

فعده قبيحا ركيكا وان كان صحيحا[١٠١] في حين عده بعض النقـاد مـن نوادر الابيات[١٠٢] ، ونقد بعض المحدثين قوله في الحية :

---

(٩٧) الوساطة بين المتنبي وخصومه (١٥١) .
(٩٨) العمدة (١٨/٢) .
(٩٩) ابن المعتز وتراثه في الادب (٢٤٠) .
(١٠٠) البديع في نقد الشعر (١٥٦) .
(١٠١) ريحانة الالبا (٤٨٥/٢) .
(١٠٢) ابن المعتز وتراثه في الادب (٢٤٠) .

كأنها حين تبدو من مكامنها   غصنٌ تفتَّحَ فيه النَّورُ والورقُ

ورأى ان تشبيهها بالغصن المتفتح غير صائب لما توحيه الحية من الرعب والفزع[١٠٣] في حين عد أبو هلال العسكري هذا التشبيه من أحسن ما جاء في شعر المحدثين[١٠٤] .

وأغلب الظن ان الشاعر قد نظر الى الشكل في هذه التشبيهات دون سواه[١٠٥] .

وواضح مما تقدم ان اكثر ما أخذ على ابن المعتز مختلف فيه ، وهو قليل اذا ما قيس بوفرة تشبيهاته وشمولها ، واننا لنعجب من اتهام ابن الاثير له بكثرة الغث البارد في التشبيه والأوصاف . وذلك حيث يقول : (فالتشبيه يجمع صفات ثلاثة ... وهو مقتل من مقاتل البلاغة . وسبب ذلك ان حصل الشيء على الشيء بالمماثلة اما صورة . واما معنى يعز صوابه وتعسر الاجادة فيه . وقلما اكثر منه أحد الا عثر . كما فعل ابن المعتز من أدباء العراق، وابن وكيع من أدباء مصر ، فانهما اكثرا من ذلك ولا سيما في وصف الرياض والاشجار والأزهار والثمار . لا جرم انهما أتيا بالغث البارد الذي لا يثبت على محك الصواب)[١٠٦] . وليته ضرب مثالا واحدا على هذا الغث البارد ، غير انه لم يفعل .

وفي ضوء ما تقدم نستطيع ان نقول ان أهم ما امتازت به تشبيهات ابن المعتز هي :

الحياة ، والحركة ، وكثرة الالوان ، وانتزاعها من واقع الشاعر ، ودور الخيال في كثير منها ، ودقة الصلات القائمة بينها ، وبتآلف الغريب

---

(١٠٣) الوصف في شعر العراق (١٥٧) .

(١٠٤) ديوان المعاني (٢/١٤٥) .

(١٠٥) انظر : ابن المعتز وتراثه في الادب (٢٤٠) .

(١٠٦) المثل السائر (٢/١٢٣-١٢٤) .

منها . وهدفها الى غاية او متعة فنية ، واقتضابها او تركيزها ، وحسيتهـــا في أغلبها •

الخيـــال :

يمتاز خيال ابن المعتز بالخصب والسعة والسماحة . وبالصفاء والواقعية في أغلب الاحيان ، فهو يسعفه في كل ظرف ووقت ، ويسده بكل ما يبتغيه مـــن الصور الطريفة مما يحس ويبصر ، ومما كان يألفه الشاعر في حياته وظـروف معيشته • وحقا ان الانسان ليعجب أشد العجب مـــن الصور المتلاحقـة ذات الاصباغ والالوان والاشكال التي تنثال على الشاعر انثيالا ، حتى لكأنها تزدحم في مخيلته فينتقي منها ما يشاء • ولا أدل على ذلك مـــن الصـــور المتعددة للشيء الواحد والتي مر بنا منها شيء عند الكلام على التشبيه •

لقد كان خياله مشبعا بصور الحياة المترفة ، ومن اجل هذا كرثت صوره واخيلته حول ما كان يدور في هذه البيئة من الماديات والمحسوسات •

ومر بنا انه حين نظر الى الهلال وأراد تشبيهه فانه انتزع له صورة مادية مما كان يألفه في محيطه فاذا هو كالزورق من الفضة ، وقد أثقل بحمـــولة كانت مـــن العنبر لا من شيء آخر ، ثم حين أراد تشبيهه مرة اخرى فانـــه جعله منجلا من الفضة ايضا ، ولكـــن حصيده لم يكـــن سنبل حقل وانمـــا كان نرجس روض ، ولكـــن هل يكتفي الشاعر بهاتين الصورتين للهلال ، انه لا يكتفي وانما يحاول ان يجد صورة أخرى له فيهديه خياله الى سوار العاج الذي ربما كان يزين معصم احدى جواريه فيقول فيه :

في ليلـــةٍ أكل المحـــاقُ هلالَهـــا   حتى تبدّى مثلَ وقْفِ العاجِ [١٠٧]

---

(١٠٧) الديوان (٢/٢٩٤) •

ثم انظر كيف يذهب به خياله الى تشبيه بنان كف احدى العوادات في قولــه :

ومنطقةٍ عوداً بعـــودٍ مُخفّفٍ ولو تركْتهُ كانَ غــيرَ نطيــقِ
تُقلّبُهُ كفٌ كــأنَّ بنانهَـــا أَنابيبُ درٍّ طُوقتْ بِعقيقِ[108]

لا شك ان صورة أنابيب الدر المطوقة بالعقيق صورة جميلة ، ويبدو انه اعجب بهذه الصورة فحلا له اعادتها ، ولكنه جعلها في هذه المرة اغصان فضة فقـــال :

أَشرنَ على خوفٍ بأغصانٍ فضةٍ مقوّمةٍ أَثمارُهــنّ عقيقُ[109]

وانظر الى خياله كيف يسعفه في تشبيهه لحواصل الطير في قوله :

كأنّـــهُ فريـــدةُ المرجـــانِ[110]

وتشبيهه للقرقس الذي اترع من دمه في قوله :

كأنّهـــا صُـــوارُ لؤلـــؤاتِ[111]

وتشبيهه للقثاء في قوله :

أنظـرْ اليـهِ انابيـباً مُنضّــدةً من الزبرجّد خضراً مالها ورقُ[112]

ان هذه الصور دون شك بحاجة الى خيال متيقظ مشبوب ، خيـــال معطاء لا يضيق ولا ينضب كخيال ابن المعتز هذا الذي ما يفتأ يرفد صاحبه بأبدع الصور وأطرفها .

(١٠٨) الديوان (٦٢٢/٢) .
(١٠٩) نفسه (٣٦٩/٢) .
(١١٠) نفسه (٥١٢/٢) .
(١١١) نفسه (٦٤٩/٢) .
(١١٢) الديوان (٦٢٣/٢) .

انه لا يسعى وراء الاخيلة الوهمية التي تنأى به عن واقعه وبيئتــــه ومشاهداته ومن اجل هذا كثرت في شعره صور خياله الواقعية المحسوسة كثرة يصعب معها تحديدها او حصرها في نطاق معين • فهي تزدحم فيــه ويأخذ بعضها برقاب بعض ، وهي في عامتها تمتاز باللطف والبراعة والدقة • فهو حين يرى بطلا كالموفق قد جرح في احدى المعارك يلجأ الى خياله لتصوير هذا المنظر ، منظر الجراح الدامية ، فاذا به يقع على الورد المتفتح في الغصن فيتخذ منه صورة له فيقول :

دامِي الجـــراحِ كأنّـــهُ ورد" تَفَتّـــحَ في غُصُنْ(113)

أو حين يشاهد اذن أحد الكلاب مسترسلة فانه يستحضر لها صـورة وردة السوسنة الشهلاء فيقول :

بـــاذنٍ ســـاقطةِ الأرجـــاءِ كوردةِ السوسنةِ الشهلاءِ(114)

او حين يلحظ عين البازي فانه يراها نرجسة بلا ورق :

ومقلـــة تصدقـــهُ إذا رَمَـــقْ كأنّها نرجســة" بلا ورقْ(115)

وان المدى ليطول بنا لو اردنا الاسترسال مع خيال الشاعر وما كان يمر به صاحبه من ضروب الصور المتتالية •

لغتــه

تمتاز لغة ابن المعتز بفصاحة الفاظها وسلامة تركيبها ، وبعدها عن الوحشي والحوشي والغريب ، اللهم الا في مواضع قليلة كانت تتطلب الغرابة في طبيعتها •

---

(113) الديوان (1/594) .
(114) (2/407) .
(115) نفسه (2/466) .

وكان الشاعر ينفر بطبعه عن الخشونة والغلظة والتقعير ، ومن أجل هذا غمز ابن بلبل بمثل هذه الصفات حين هجاه بقوله :

يستعملُ الغريبَ في خطابهِ وغامضاتِ النحوِ في كتابهِ
ويزجر الناسَ إذا تكلّما منفخما مُجهوراً مغلصا[116]

ان لغته سليمة والفاظه رشيقة ، لطيفة الجرس ، دقيقة الايحاء .

وقد اولع بكثير من الالفاظ النابضة بالحياة والشاعرية فأدارها في شعره حتى اصبحت تلفت النظر أمثال : حمة الشباب ، وجلباب الشباب ، وديباج الشباب ، وجنان الحسن ، وبستان الحسن ، ومياه الحسن ، وطعم الحياة ، وماء الخد ، وماء العين ، والذهب الرطب ، واللؤلؤ الرطب ، وأشجار الذهب، وغصن الذهب ، وأنابيب الدر والزمرد ، ونورية ، وظلامية ، ورشأية وعسكرية وشاطرية الى غير ذلك .

ومع أن الشاعر التزم في عموم شعره – كما أسلفنا – لغة سبطة سهلة الا أنه كان يضطر أحيانا قليلة أن يتنكب هذا الجانب الى جانب فيه وعورة وغرابة في هذه اللغة والالفاظ ، وبخاصة في شعر الصيد والطرد الذي يحتم على من يطرقه أن يركب فيه جانبا خشنا غير سهل ، ويكفي للتدليل على هذا قوله من ارجوزة له في الفرس والبازي :

ذي غُرّةٍ مثلِ الصباحِ الأَبلجِ وأضلعٍ مثلِ شِجارِ الهودجِ
لُزّتْ بصُلبٍ ذي فَقارٍ مرتجِ كعَقَدِ الخطيِّ لم تُفرَّجِ
وحافرٍ أَزرقَ كالفيروزجِ مُلَملمٍ يَقشِرُ جلدَ المَنهجِ
يُطنِدُ رأسَ القَتَفِ أنْ لم يشججِ كالصاعِ غيرَ مُنشّقٍ ولا وَجي
يرفعُ نقعاً كدخانِ العَرفجِ أو مثلِ نَدْفِ الكُرسُفِ المنفّجِ

(١١٦) الديوان (١/٠٤٥) .

ومكمـلٍ شـكّتَهُ مدجّجٍ   أقمرَ مثلِ الملـكِ المتوّجِ
وجفنِ عـينٍ كشفاءِ المُحدَجِ   ومِخلبٍ كالحـاجبِ المُزجَّجِ
ابرشَ بُطنـانِ الجنـاحِ الدَيرجِ (117)

ومع أن الفاظه في جملتها عربية فصيحة فانها قد طعمت بشيء مما كان شائعا في ذلك العصر من الالفاظ الاعجمية ، مما يمكن أن يعد ضربا من التملح والتظرف آنذاك ، من ذلك قوله :

ونـورُ آذَرْيونـةٍ   يلوحُ فـوقَ طـرتِـه (118)

وقوله :

يا هـلالاً يدورُ في فلكِ النّا   وَرْدِ رفقاً بأعينِ النُظّارَه (119)

وقوله :

ويـا باكـورةَ الوردِ   ويـا رامشـنةَ الآسِ (120)

وقوله :

أيا نثار خرَزِ المَخشلَبِ   لا بأبي أنتم فِداءٌ لأبي (121)

---

(117) الديوان (٢/٤٢٧–٤٢٨) .
(118) نفسه (١/٢٣٥) .
(119) نفسه (١/٢٧٨) .
(120) نفسه (٢٩٤) .
(121) نفسه (١/٦١٧) .
جاء في تاج العروس : المشخلبة : قال الليث هي (كلمة عراقية) أي استعملها العراقيون في لسانهم . قال المتنبي :
بياض وجه يريك الشمس حالكة   ودر لفظ يريك الشمس مخشلبا
وهي (خرز بيض يشاكل اللؤلؤ) يخرج من البحر ، وهو اقل قيمة . قال الواحدي في شرح الديوان هي خرز وليست بعربية ولكنه استعملها على ماجرت به ، ويروى مشخلبا وهما لفتان للنبط فيما يشبه الدر من حجارة البحر وليس بدر) . وابن المعتز سابق للمتنبي في استعمال اللفظة وهو اولى بالاستشهاد منه .

وهناك ألفاظ أخرى غير هذه وردت في شعره : كالجلنار ، والبخت ، والطرمذار ، والبردست ، والشونيز ، والنيروز ، والمرتك، والكامخ، والناووس والدستبند ، والبربط ، والدستبان ، وغيرها .

وفي شعره اشارات خفيفة وقليلة لبعض اسماء النجوم أو المصطلحات الفلسفية وعلم الكلام كقوله :

فقلْ لمن ينظـــرُ في نجمـــهِ ‏ ‏ ‏ يا دالوُ هذا كانا في الدلوِ[122]

وقوله :

ما بالُ قلبكَ لا يَقرِد خفوقـــــا ‏ ‏ ‏ وأراكَ تَرعَى النسرَ والعيّوقا[123]

وقوله في هجاء ابي الصقر اسماعيل بن بلبل :

وذكرَ السّعودَ والنّحوســــا ‏ ‏ ‏ والجوهرَ المعقولَ والمَحسوسـا

والعَرَض الظاهرَ في التجسيـمِ ‏ ‏ ‏ والقولَ في طبائـعِ النجومِ[124]

وكان ابن المعتز يلجأ الى بعض الضرورات الشعرية التي تباح للشاعر أكثر مما تباح للناثر ، ولكنه كان فيها مقتصدا الى حد كبير ، كقصر الممدود ، أو صرف ما لا ينصرف أو تسكين ما حقه الفتح كقوله :

مُقدَّرٌ في الربحِ أضعـــافَ الثّمَنْ

من قاصدٍ صَنعا الى أرضِ عَدَنْ[125]

وقوله :

وحـــربٍ قد قرنتُ الموتَ فيهـــا

بجيشٍ يَغمرُ الهيجـا لُهــــامِ[126]

---

(122) الديوان (1/737) .

(123) نفسه (1/319) .

(124) نفسه (1/542) .

(125) نفسه (1/570) .

(126) نفسه (1/167) .

وقوله :

وصَعدةٌ كرِشاءِ البئرِ ناعمةٌ
بأزرقٍ كانقدادِ النجمِ يقظانِ[127]

وقوله :

بكتْ على ميْتِ الثرى بأدمعٍ
كستْهُ ثوباً أخضراً من العُشُبْ[128]

وقوله في النخيل :

وقد علونَ غيرَ مُكرَماتِ منابراً ولسنَ خاطباتِ[129]

وقوله :

ما على الناصحِ أنْ يَنتهِي مَنْ جَهِلا[130]

وواضح أن صنعا والهيجا اصلهما بالهمزة وان ازرق وأصفر وأخضر ومنابر من حقها ان لا تنون لمنعها من الصرف ، وان (ينتهي) من حقه ظهور الفتحة ، ولكن كل هذا جائز كما أشرنا وهو كثير الورود في الشعر سواء في عهد الشاعر أو قبله أو بعده[131] .

وعلى الرغم من تمكن ابن المعتز من اللغة والنحو فانه لم يستطع ان ينجو من بعض الهنات فيهما كقوله :

---

(127) الديوان (1/185) .
(128) الديوان (1/43) .
(129) نفسه (2/423) .
(130) نفسه (1/151) .
(131) يعد الاستاذ خفاجي تنوين ابن المعتز لما ذكرنا واسكانه ياء الفعل ينتهي من الاخطاء المقيتة (كذا) (ابن المعتز وتراثه في الادب 293–294) . وهي في الحقيقة ليست اخطاء كما اشرنا .

مرّتْ بنا بكراً طيرٌ فقلتُ لها
طوباكِ يا ليتنا إياكِ طوباكِ[١٣٢]

وقوله :

إنْ كانَ ضحّى الورى بالشاهِ والبقرِ
فكلُّ يومٍ يُضحّي بدرُ بالبدرِ[١٣٣]

وقوله :

اسمعتَ يا ناعٍ ثكِلتَ حميما
هلاّ سواهُ فقد نعيتَ عظيما[١٣٤]

وقوله :

ويحكَ بلْ ويلكَ بل وَيليكا إنَّ يديكَ قد جنَتْ عليكا
ومن كِلا أُذنيكَ لا لبيّكا[١٣٥]

وقوله :

كأنهُ وهو قد علاها يَغسلُ قِباءً في شطِّ نهرِ[١٣٦]

وقوله :

أثمرتْ أغصانُ راحتهِ لِجُناةِ الحسنِ عُنّابا[١٣٧]

---

(١٣٢) الديوان (٣/١٨٩) .
(١٣٣) نفسه (١/٤٤٦) .
(١٣٤) نفسه (٣/٨٩) .
(١٣٥) الديوان (١/٦٩٩) .
(١٣٦) نفسه (١/٦٥٥٦) .
(١٣٧) نفسه (١/٣٥) .

وقوله :

رَبــوخٌ يَحلِبُ التيسَ بِســلاَّمتـهِ طَلْــق[١٣٨]

وقوله :

حتى انثنتْ حُمَـةُ الشــبا بِ كليلةً وصحوتُ صَحْوا[١٣٩]

وقوله :

فأَهلكَنــي مــا اهلـكَ النــاسَ كلَّهـمْ
صُروفُ المُنَى والحرصُ واللود والليت[١٤٠]

فطوباك في المثال الاول حقها ان تكون طوبى لك ، على ان بعضهم يرى ان اللام مقدرة[١٤١] ، واياك حقها الرفع ، وعدها بعضهم من الضرورات[١٤٢]، وبدر في المثال الثاني حقها الصرف لانها غير ممنوعة منه ، و(ياناع) حقها النصب مع التنوين ، لانها نكرة غير مقصودة • و (يليكا) في المثال الرابع لم ترد في اللغة ، و (كلا) من حقها التأنيث • و(يغسل) في المثال الخامس من حقه الرفع ، ولكنه جزمه للوزن • (آثر) في المثال السادس لازم وليس فيه ما يوجب تعديه ، و (سلامته) في المثال السابع بتشديد اللام غير واردة في اللغة ، و (حمة) في المثال الثامن بتشديد الميم اما بتخفيفها ، فمعناها سم

---

(١٣٨) الديوان (١/٦٨٨) •
(١٣٩) نفسه (١/١٩٥) •
(١٤٠) نفسه (١/٦٠) •
(١٤١) انظر : ريحانة الالبا (٤٨٣) •
(١٤٢) انظر : الضرائر (٢١٣) •

العقرب ، وهو لا يريد هذا المعنى ، (واللو والليت) مصدران لا وجود لهما في اللغة[143] .

ويظهر في شعر ابن المعتز التكرار ، وقد جاء هذا التكرار على ثلاثة انواع:

الاول ، تكرار اللفظة مرتين بالتعاقب ، وهو تكرار لطيف ولعله كان يتوخى منه التوكيد والتنفيس عما يكابده من آلام وانفعالات ، ولهذا جاء أكثره في مواطن الاثارة الوجدانية كالغزل والرثاء كقوله :

دعوه لِيطفي بالدمـوعِ حـرارةً   على كَبِدٍ حَرّى دَعُوه دَعُوه[144]

وقوله :

عناءُ المحبِّ طـويلٌ طويـلُ   وصبرُ المحبِ قليـلٌ قليـلُ[145]

---

(143) اخذ الاستاذ خفاجي على الشاعر عدة امور : منها تشديده لفظة (دم) في قوله :

كنت أمرءا من الانام معتزل   على ستر دون (دمـى) منسدل

فيرى أن تشديدها خطأ لغوي واضح . ومنها قوله :

اين مسك من حمـأة وبحـور   من بحـار وصفوة مـن قذى

فيرى ان البحور والبحار جمع بحر وهو الماء الكثير او الملح فقط فالتفرقة بينهما لغويا غير معروفة ومنها قوله في المكتفى :

فلقـد اصبـح أعـداؤك كالـزرع الحصيد

ثم قـد صـاروا حديثـا مثل عـاد فـي ثمـود

وبعد ان يسفه معنى حديث عاد في ثمود يرى أن الشاعر لو قال (مثل عاد وثمود) لكان أحسـن وأبلغ (ابن المعتز وتراثه في الادب ٢٩٤ ، ٢٩٦ ــ ٢٩٧) . ان لفظة (دم) جاءت في اللغة بتخفيف الميم وتشديدها (انظر القاموس المحيط) وان الرواية الصحيحـة للكلمة هي (ذمـى) وان (بحور وبحار) مصحفتان عن بخور وبخار . وان (مثل عاد في ثمود) اصلهما كما ارتأى الاستاذ خفاجي (مثل عاد وثمود) .

(144) الديوان (٣/٣٩٢) .

(145) نفسه (١/٣٣٠) .

وقوله :

لساني لسري كَتومٌ كَتومُ ... ودمعي بِحُبي نَمومٌ نَمومُ
ولي مالكٌ شفَّني حبُّهُ ... بديعُ الجمالِ وسيمٌ وسيمُ
له مقلتا شادنٍ أحورٍ ... ولفظٌ سَحورٌ رَخيمٌ رخيمُ
فدمعي عليه سَجومٌ سَجومُ ... وجسمي عليه سَقيمٌ سقيمُ(١٤٦)

والثاني : تكرار في أعجاز الابيات لبعض ما في صدورها ، وكان الاولى ان يستعاض عنه بضمائر أو اشارات اخرى . والامثلة على هذا كثيرة منها قولـه :

وبالحقِّ يُنعشُ قوماً بهِ ... وبالحقِّ يُهلكُ قوماً بهِ(١٤٧)

وقوله :

ويا رَبِّ لكَ الحمدُ ... ويا رَبِّ لكَ الشكرُ(١٤٨)

وقوله :

فبيتٌ لهُ مُنتنٌ ... وبيتٌ له باردُ(١٤٩)

والثالث : تكرار الالفاظ والمعاني في اكثر من مرة ، ولعل سببه اعجاب الشاعر بالمعنى الذي يولده ، فيحلو له اعادته وتكراره ، وكأني به يجد في هذه الاعادة ترسيخاً لهذا المعنى ، ولذة نفسية ، من ذلك قوله في تعزية عبيدالله ابن سليمان بابنه أبي محمد :

فلقد غبنت الدهر اذْ شاطرتَهُ ... بأبي الحسينِ كَفَى بهِ من باقي(١٥٠)

(١٤٦) الديوان (٣٦٥/٣-٣٦٦) وانظر ايضا (٢٥٤/١ ؛ ٣٣٧) .
(١٤٧) نفسه (٣٩٧/١) .
(١٤٨) نفسه (٥٧٢/٢) .
(١٤٩) نفسه (٥٦٠/٢) .
(١٥٠) نفسه (٦٥/٣) .

وقوله فيه أيضا :

ولقد غبنتَ الدهــر اذْ شاطرتهُ   بأبي الحسينِ وقدرَبحتَ عليهِ [151]

وقوله :

ركوع رهبانِ ديرٍ في صلاتهـمِ   سُودٍ مدراعُهُم شُمطِ العثانينِ [152]

وقوله أيضا :

أصواتُ رهبــانِ ديرٍ في صلاتهمِ   سودِ العثانينِ نعَّارينَ في السحرِ [153]

وهناك أمثلة أخرى من هذا القبيل مبثوثة في ثنايا شعره تركناها اختصاراً، ومن غير شك ان هذا النوع من التكرار يعد عيباً ، كـان على الشـاعر ان يتحاشاه ما وسعه الامر .

ومع ان اسلوب الشاعر يمتاز بالجودة عامة ، فانه كان احيانا قليلة ينزل عــن مستوى هذه الجودة ، ويتدنى الى الركاكة والضعف كقوله في رثـاء الموفــق :

والشــرُ مــن بعــدهِ كثيرٌ   والخــيرُ مــن بعــدهِ قليلُ [154]

وقوله في الشيب :

قبُحتْ شـهبةُ المشـيبِ كمـا   أن الخضابَ الكثميتَ ايضاً قبيحُ [155]

وقوله في الغزل وهو يتدنى فيه الى اسلوب العامة مع تكـرار لفظـة البخـت :

قسّمتْ في الهوى البخوتُ فيـا بختيَ في حبّهـا عَدمتكَ بختـا [156]

(١٥١) الديوان (١١٣/٣) .
(١٥٢) نفسه (٢٤٥/٢) .
(١٥٣) الديوان (١١٠/٢) .
(١٥٤) نفسه (٧٥/٣) .
(١٥٥) نفسه (١٤٧/٣) .
(١٥٦) نفسه (٢٢٧/١) .

ومثله قوله في الغزل أيضا :

يتيه عبدي وأنا أخضع إن كان ذا يخجي فما أصنع[157]

بديعه :

نشأ ابن المعتز في عصر فشا فيه البديع وأصبح وكد الكثيرين من الشعراء وغايتهم . وغالى بعضهم فيه غلوا شديدا حتى احال الشعر الى غموض وتعمية ، لما كان يأخذ به نفسه ويكدها في الطلب والغوص عليه . ومثل ابا تمام خير من يمثل هذا الاتجاه . غير ان هذه المغالاة لم تلق استحسانا ولا رضا عند الكثيرين من ادباء العصر وشعرائه ، فانتقدوها ونالوا ممن غالى فيها . ولعل أعنف من حمل عليها هو ابن المعتز في مهاجمته لابي تمام . وظهر الى جانب هذه المغالاة طريقة اخرى جنح فيها أصحابها الى القصد في البديع والتلطيف منه حتى كان يأتي وكأنه عفو الخاطر لا أثر للتعمل او التقصد فيه . ويمثل البحتري هذه الطريقة او الجانب تمثيلا واضحا .

ويظهر ان ابن المعتز قد اعجب بطريقة البحتري هذه فكانت صنعته في البديع صنعة لطيفة على الرغم من احتفاله به واكثاره منه في شعره .

وأكبر الظن ان طبيعة ابن المعتز السمحة وبيئته المترفة الناعمة ، وثقافته التي لم يشبها بتعمق الفلسفة كانت من اسباب نفوره من المغالاة في هذه الصنعة ، ومن ثم التعمق في الغوص عليها كما فعل غيره . ومن أجل هذا جاء بديعه جميلا لطيفا خفيفا لا أثر للكلفة في عامته ، وقد لحظ فيه بعض القدماء هذه الميزة فقال ابن رشيق : (وما أعلم شاعرا أكمل ولا أعجب تصنيعا من عبدالله بن المعتز ، فان صنعته خفية لطيفة لا تكاد تظهر في بعض المواضع الا للبصير بدقائق الشعر ، وهو عندي الطف اصحابه شعرا واكثرهم بديعا وافتنانا ، وأقربهم قوافي وأوزانا ، ولا ارى وراءه غاية لطالبها في هذا

(157) الديوان (1/300) .

الباب)[١٥٨] • ثم قال بعد ان عدد اسماء بعض من أولع بالبديع من الشعراء (وعبدالله بن المعتز • فانتهى علم البديع والصنعة اليه ، وختم به)[١٥٩] •

ان اكثر ما اهتم به الشاعر من أنواع البديع هو الطباق اللفظي والجناس و مذهبه • كما جاءت أنواع اخرى منه مبثوثة في تضاعيف شعره وهي ليست كثيرة •

والطباق كثيرا ما يلجأ اليه الشاعر للتعبير عما يريده من التضاد او يصفه من الامور والاحوال ، ويبدو أنه اسهل من بقية الانواع • وكان البحتري من المشهورين به المكثرين منه •

وهو يشيع في شعر ابن المعتز شيوعا ظاهرا ، ويغلب عليه اللطف والسهولة والبراعة • والامثلة عليه اكثر من أن يمثل لها ، منها قوله :

يُميتُ بطرفِــهِ طــوراً ويُحيِي
ويشكو السقمَ من حَدَقٍ صِحاحِ[١٦٠]

وقوله :

كــأنّ في الراحِ حينَ تَمزجُهـــا
نجومَ رَجْمٍ تعــلو وتنخفــضُ[١٦١]

وقوله في أحــد السكارى :

ســريعٌ الى الأرضِ من جنبـــه
بطيءٌ الى الكـأسِ مــن كفّــهِ[١٦٢]

---

(١٥٨) العمدة (١/١٣٠) •
(١٥٩) نفسه (١/١٣١) •
(١٦٠) الديوان (٢/٨٠) •
(١٦١) نفسه (٢/١٦٧) •
(١٦٢) نفسه (٢/١٧٨) •

وقوله :

زَرَّ عليه الحسنُ أثوابَهُ
وهزَّ أعلى خلفهِ الأسفلُ[163]

وقوله :

فظلَّ يُناجي شُحَّ نفسٍ وجودَها
فطوراً بها صعباً وطوراً بها سهلا[164]

وقوله :

تلتقطُ الأنفاسُ بَردَ الندَى
فيه فتَهديهِ لحرِّ الهموم[165]

على أنه قد وقع في بعض طباقه شيء من أثر الكلفة والتعمل الامر الذي أفقده ما امتاز به من خفة ولطف ، من ذلك قوله :

إني إذا فَطِنَ الزمانُ لناطقٌ
وسكتُّ حينَ رأيتُ دهراً أَبلها[166]

وقوله :

واني رأيتُ الدهرَ في كلِّ ساعةٍ
يسيرُ بنفسِ المرءِ والمرءُ جالسُ[167]

---

(١٦٣) الديوان (٢/٢٠٤) .
(١٦٤) نفسه (٢/٢٠٥) .
(١٦٥) نفسه (٢/٢٣٧) .
(١٦٦) نفسه (١/١٩٣) .
(١٦٧) نفسه (١/١٢٧) .

وقوله :

[illegible] شـــرقِ الخلخالِ　　　عطشـانِ الوشـــــاحِ(١٦٨)

وقوله :

[illegible] وأُخرى علينـا　　　كلُّ مرءٍ فيها طحينٌ هشـيمُ(١٦٩)

وقوله :

[illegible] من وثـوبٍ مفتـرسٍ　　　رُبَّ سكونٍ من تحتهِ عملُ(١٧٠)

ونستنتج من هذه الامثلة ان الشاعر كـان يتكلـف هـذه المطابقـات ويصطنعها ومن اجل هذا جاءت ثقيلة خارجة عـن موطن الحسن والاحسان •

والجناس اكثر صعوبة واعسر منالا من الطباق فهو بحاجة الى ثـروة لغوية كبيرة وقدرة بيانية وملكة شاعرة ، وصعوبته تتأتى من التشابه بـين حروف اللفظين والاختلاف في معناهما ، ومن أجل هذا كان وروده في شعر كثير من الشعراء قليلا اذا ما قيس بالطباق مثـلا •

وتهيأ لابن المعتز بما رزق من موهبة وشاعرية ان يأتي بالكثير الحسـن منه في خلال شعره . كقوله :

و[illegible] الدينُ والدنيـا بمعتضِـدٍ
باللهِ فيالله ما أَعطَى وما مَنَعـا(١٧١)

وقوله :

إنَّ يحيى ــ لا زالَ يحيا ــ صديقي
وخليلي مـن دونِ هذا الانـامِ(١٧٢)

١٦٨ الديوان (٢/٨٠) •
١٦٩ نفسه (١/١٧١) •
١٧٠ نفسه (١/١٤٨) •
١٧١ نفسه (١/٤٧٤) •
١٧٢ نفسه (١/٥١١) •

وقوله :

واسقِني من سلافةِ الكرْمِ ريّاً
إنّ للراحِ راحةً للقلوبِ[173]

وقوله :

فانظرْ بعينِ الرضا مني الى بَدَنٍ
ما فيهِ جارحةٌ إلاّ وقد جُرِحَت[174]

وقوله :

قلْ لِمنْ حيًّا فأحيا ميّتاً يُحسبُ حيًّا[175]

ولكن الى جانب هذه المجانسات الجيدة التي لا يلمح فيها اثر التكلف مجانسات قليلة تنزل عن مستوى هذه ويظهر فيها التعمل كقوله :

بارَى تباري كلّ ما حولَها والهَمّ في قبروينا يُقبر[176]

وقوله :

وخيطانِ ما خِيطا معاً في كراهما
له منهما حتّى يَهبّ رقيب[177]

وقوله :

وما أدري وقد حثّوا المَطايا
أيحملُ شِرٌّ بَرقٌ أمْ براق[178]

(١٧٣) الديوان (٢/٤١) .
(١٧٤) الديوان (١/٢٣٦) .
(١٧٥) نفسه (٢/٢٦٢) .
(١٧٦) نفسه (٢/١٣٨) .
(١٧٧) نفسه (١/٥٤) .
(١٧٨) نفسه (١/٣٢٠) .

وقوله :

ولمّا التقينا بعدَ حِينٍ من الحَينِ

حلفنا بأنا لا نعودُ الى البينِ[179]

وقوله :

صرمْتكَ آرامُ الصريمَ وقطّعتْ

حبلَ الهوى ونزعنَ عنك نزوعا[180]

والمقابلة لا تقل في صعوبتها عن الجناس وهي جمع عدة اشياء متضادة في البيت الواحد او في أحد الشطرين ، وهي في الحقيقة اتساع للمطابقة ومن أجل هذا فقد عزّ ورودها في الشعر عامة ، وجاء منها شيء غير قليل في شعر ابن المعتز ، يدل اغلبه على قدرته ومهارته في هذا المجال ، كقوله :

بالامسِ حيٌّ واليومَ ميّتْ

يا قربَ عهدٍ وبُعدَ بينِ[181]

وقوله :

ونهارُ شيبِ الرأسِ يوقظُ مَنْ

قد كانَ في ليلِ الشبابِ رَقَدْ[182]

وقوله :

جعلتُ عقلي لشهوتي عَبدا

وصارَ غَيّي عندَ الهوى رشدا[183]

---

(179) الديوان (1/363) .
(180) نفسه (1/130) .
(181) الديوان (3/104) .
(182) نفسه (2/308) .
(183) نفسه (1/250) .

وقوله :

مُخْطَفَاتِ الأوائلِ مُثْقَلاتِ الأواخرِ [١٨٤]

ومع جودة هذه المقابلات وكثير غيرها فان قليلا منها جاء قلقا نافرا كقوله :

ماتَ وصالٌ وعاش صَدٌ وذَلَّ مولىً وعَزَّ عَبْدُ [١٨٥]

وقوله :

يواصلُ الكأسَ هذا اليومَ ذو حسبٍ
ويهجرُ الكأسَ هذا اليومَ زنديقُ [١٨٦]

وواضح أن قوله (ذو حسب) فيه ضعف وقلق اذا ما أريد به مقابلة زنديق وكان الاولى أن يكون مكانه (مؤمنا) او ما في معناها لينسجم الكلام وتقوى المقابلة .

وهناك انواع اخرى من البديع لم يشتهر فيها الشاعر شهرته بما قدمناه له وقد ذكر له صاحب الصناعتين مثالا من امثلة الاستطراد وهو ان يأخذ المتكلم في معنى فبينا يمر فيه يأخذ في معنى آخر ، وقد جعل الاول سببا اليه وهو قوله :

لو كنتَ من شيءٍ خلافكَ لم تكن لِتكونَ إلاّ مشجباً في مشجبِ
يا ليتَ لي من جلدِ وجهكَ رقعةً فأقدَّ منها حافراً للاشهبِ [١٨٧]

---

(١٨٤) الديوان (٢٧٢/١) .
(١٨٥) نفسه (٢٤٢١) .
(١٨٦) نفسه (١٨٨/٢) .
(١٨٧) الصناعتين (٤١٤) . ويبدو انه جارى في ذلك البحتري الذي جارى هو بدوره أبا تمام في هذا المعنى .
(انظر اخبار البحتري ص ٥٩) .

ويجدر بنا ونحن نختتم الحديث عن بديع ابن المعتز ان نشير الى ان بعض القدماء قد حظ ان الشاعر كان يتناول احيانا الشيء من ناحيتين مختلفتين او بعبارة ادق انه يناقض نفسه في المعنى الواحد واسمى هـذا النوع من مناقضة بمغايرة وعدها ضربا من البديع وانه (يدل على جودة الطبع وصفاء القريحة وغزارة المعاني وتوسع الالفاظ)[188] .

ومر بنا مدح الشاعر للصبوح ثم ذمه له ، كما مر بنا اوصافه الجميلة للشمس ، ولكنه عاد فنال منه وثلبه في قوله :

يا سارقَ الأنوارِ من شمسِ الضُّحى
يا مُثكلِي طيبَ الكَرَى ومنغِّصِي

أمّا ضياءُ الشمسِ فيكَ فناقصٌ
وأرَى حرارةَ نارِهـا لم تنقصِ

لم يظفَرِ التشبيهُ منكَ بطائلٍ
متسلّخٌ بَهَقاً كلونِ الأبرصِ[189]

---

١٨٨ نثار الازهار ٤٢ . وانظر عبدالله بن المعتز لسيد الأهل (٣٣ ، ٣٥) ويرى الاستاذ سيد الاهل ان هذه الظاهرة لدى ابن المعتز وليدة أو أثر اضطراب مزاجي ورثه من ابيه (كذا) وانها ايضا امتحان لقدرته باعتباره متكلما مجادلا يضع البراهين ـ في وصف الشيء من جهة الحسن والقبيح على سواء) .

١٨٩ الديوان (٦٠٧/٢) .

وانظر اسرار البلاغة (٣٩٢ــ٣٩٣) وعلق الجرجاني على هذا بقوله (ومن عجيب ما اتفق في هذا الباب قول ابن المعتز في ذم القمر واجتراؤه بقدرة البيان على تقبيحه وهو الاصل والمثل وعليه الاعتماد والمعول في تحسين كل حسن وتزيين كل مزين .... وذلك لثقته بان هذا القول اذا شاء سحر وقلب الصور وانه لا يهاب ان يخرق الاجماع ويسحر العقول ويقتسر الطباع) وانظر ايضا الديوان (٥٦٧/٢ــ٥٦٨) .

ونرى من المناسب هنا أيضا أن نذكر بعض الظواهر التي تلفت النظر في شعره أيضا ، فمن هذه الظواهر (التضمين) وهو ــ كما يقول ابن الاثير ــ على نوعين : الاول تضمين الشاعر شعره كلاما آخر لغيره ، قصدا للاستعانة على تأييد المعنى المقصود ، وربما يكون هذا التضمين بيتا او نصف بيت او اقل منه[190] ، والثاني تضمين الاسناد ، وهو الذي يقع في بيتين من الشعر على أن يكون الاول منهما مسندا الى الثاني ، فلا يقوم الاول بنفسه ولا يتم معناه الا بالثاني . وهذا هو المعدود من عيوب الشعر لدى قوم ــ كما يقول ابن الاثير، ولكنه ــ أي ابن الاثير ــ لا يعد مثل هذا التضمين معيبا[191] .

في حين يرى آخرون ان المراد بالتضمين هو تعلق قافيــــة البيت الاول بالبيت الثاني وهو عندهم معيب ، أما النوع الثاني منه الذي ذكره ابن الاثير فيسمى التعليق المعنوي وهو عندهم ليس معيبا[192] .

وورد في شعر ابن المعتز النوعان من التضمين ، غير ان الثاني كان اكثر من الاول ، فمن النوع الاول قوله :

---

(١٩٠) يعد بعضهم هذا التضمين من البديع (انظر تحفة الخليــــل هامش ص ٣٧٥) .

(١٩١) انظر المثل السائر ٣/٢٠١ ، ٢٠٣ ونص الكلام هو (واما المعيب عنــد قوم فهو تضمين الاسناد ، وذلك يقع في بيتين من الشعر او فصلين من الكلام المنثور ، على ان يكون الاول منهما مسندا الى الثاني ، فلا يقوم الاول بنفسه ، ولا يتم معناه الا بالثاني ، وهذا هو المعدود من عيــوب الشعر . وهو عندي غير معيب ، لانه أن كان سبب عيبه ان يعلق البيت الاول على الثاني فليس ذلك بسبب يوجب عيبا ، اذ لا فرق بين البيتين من الشعر في تعلق احدهما بالاخر وبين الفقرتين من الكلام المنثور فــي تعلق احداهما بالاخرى ، لان الشعر هو كل لفظ موزون مقفى دل على معنى ، والكلام المسجوع هو كل لفظ مقفي دل على معنى ، فالفرق بينهما في الوزن لاغير) .

(١٩٢) انظر : تحفة الخليل ص ٣٧٥-٣٧٦ ، والاقنــاع في العروض وتخــريج القوافي (٨٢) وابن المعتز وتراثه في الادب ص ٢٨٩ .

على فراشٍ من الوردِ (جنيٍّ) ومـــــا
(بُدِّلَتْ من تَفَتُّحاتِ الورد بالآءِ)[193]

والشطر المضمن للحسين بن الضحاك ، وقوله :

خليليَّ بالله اقعـــدا نصطبحْ ولا
(قِفا نبكِ من ذكـرى حبيبٍ ومنزلِ)
ولي رَبْعٌ لا تَنبتْ ولا تسقطِ الحَيَا
(بسِقطِ اللِّوَى بين الدَّخولِ فحوملِ)[194]
والشطران هما مطلع معلقة امريء القيس .

وقوله :

وَرَدَّ عليّاً الى قربــهِ (كما رَدَّ بازٍ اليه جَناحا)

وهذا القسم لابي دواد الايادي[195] .

ومن النوع الثاني أي التضمين على رأي ابن الاثير او التعليق على رأي الآخرين قوله :

وكـمْ هَجـيرٍ وقتني من شمسه الصيفيــه
مُعرَّشاتٌ كـرومٍ افياؤها حَبَشيّه[196]

---

(193) الديوان (٢/٩) .

(194) الديوان (١٩٧/٢) .

(195) قراضة الذهب (٤٢) ومن الطريف ان ابن رشيق قدم لهذا البيت بقوله (وقال ابن المعتز يذكر فعل النبي صلى الله عليه وسلم بعلي عليه السلام) والصحيح انه في المعتضد عند قدوم ابنه (علي) من بلد الجبل (انظر الديوان (٤٢٢/١) .

(196) الديوان (٢٦٠/٢) .

وقوله :

كأنّهـا حـينَ مَجّتْ   في الكأسِ ريقةَ خمره
أمْ نعشتـه فرخاً   بِغَمرةٍ بعد غَمره(197)

وقوله وهو من التضمين الذي تعلق فيه قافية البيت بما بعدها :

ألا ليت شعري هلْ تبدّلتَ بعدنا
رضاً لك منا أو وجدتَ أسىً كما
وَجدنا فإنا لا تزالُ عيونُنا
سخائنَ قرحى تقطرُ الماءَ والدّما(198)

وقوله وهو من طرائف هذا التضمين . وأكبر الظن ان الشاعر كان متقصداً فيه :

يا نفسِ ويحكِ طالَ ما   أبصرتِ موعظةً وما
نُعِتَتْ لكِ فاخشَيْ وانتهي   وعنيتِ بالتقوى كما
فَعلَ الأناسُ الصالحو   نَ وبادِري فلرُبّما
سَلِمَ المُبادرُ واحذَري   يا نفسِ من سوفٍ فما
خَدعَ الشقيُّ بمثلِها   إيّاكِ منها كُلّما
ناجَتْ مكائدُها ضمير   رَكِ انّما هي إنّما
خَطَرٌ وكم قتلَتْ وأهلكـ   ـتِ النفوسَ وقلّما
تغـنى أمانيهـا إذا   حضرَ الرّدى وكأنّما
لم يحيَ مَنْ لاقى منيـ   ـته فيا عَجَباً أما

---

(197) الديوان ٢/١٩٠ .

(198) نفسه ١١/١٥٠٥ .

في ذاك مُعتبَــــرٌ ولا شــافٍ يُبصِّرُ من عَمَى
يــا ذا المُــنى يــا ذا المُــنَى عِشْ ما بدا لكَ ثمّ مــا[199]

نرى من المفيد أن نقف وقفة قصيرة في نهاية حديثنا عن خصائص شعر ابن المعتز الفنية عند اشارة لطيفة للمرحوم الاستاذ أحمد أمين تتعلق بأحــد الالوان الزاهية التي شاعت في العصر العباسي وهو اللون الاصفر ، قال الاستاذ أحمد امين (لفت نظري وأنا ادرس الحياة الاجتماعية في العصر العباسي ، ما رأيت من كثرة ما كتب عن اللون الاصفر في هذا العصر وحلوله محلا كبيرا غطى على كل الالوان الاخرى ، وكثرة ما قيل فيه من أدب فرأيت ان اعرض على القراء شيئا منه وأترك لعلماء الجمال ما يدل عليه انتشار اللون الاصفر في الشعوب من تحديد درجة الذوق في الرقي ، وعلاقتــــه بانتشار الخلاعــة ، ودلالته على مقدار ما وصلت اليه الامة من حضارة .

رأيت العراقيين هاموا باللون الاصفر، وتغزلوا بالوجوه الصفر، وصبغوا ثيابهم بالصفرة وافتتنوا بالزهور الصفر ، واكثروا من اتخاذ الطعوم الصفر، ومدحوا الجواهر الصفر وهكذا ...)[200] .

---

(199) الديوان (٣/٢٠٨–٢٠٩) .
ومن الجدير بالذكر ان هناك ابياتا متنازعا فيها يجرى فيها التضمــين على هذا النحو ونكتفي منها بثلاثة ابيات هي :

ياذا الذي في الحب يلحى أمــــا تخشى عقاب الله فينــا أمــا
تعلــم ان الحــب داء أمــــا والله لو حملت منــه كمــا
حملتنــى حــب رخيــم لمــا لمــت على الحــب فدعنى كما

(تحفة الخليل ٣٧٧) .

(200) فيض الخاطر (١/٣٢٢) . جاء في المستطرف (٢/٢٧) ما يأتى : (سئل بعض العرب عن الثياب فقال : الصفر أشكل والحمر أجمــل والخضــر اقبل والسود اهول والبيض افضل . وقال افلاطون : الصبغ الشقائقي والروائح الزعفرانية تسكن الغضب . والصبغ اليــاقوتي والروائــح الوردية تحرك السرور ، واذا قرب اللون الاحمر الى اللون الاصفر تحركت القوة العشقية . واذا مزجت الحمرة بالصفرة ، تحركت القوة الغريزية، واذا مزجت التفاحية بالحمرة تحركت الطبائع كلها) .

لقد جلبت انتباهي هذه الملاحظة الطريفة فحاولت في اثناء تحقيق شعر ابن المعتز ومن خلال دراستي له بعد ذلك ان أقف على أغلب ان لم يكن كل ماقاله الشاعر في هذا اللون او غيره . وظهر لي ان هناك لونين كانا يبرزان في شعره عامة وهما اللون الاصفر ، واللون الاحمر ، وظهر لي أيضا انه كثيرا ما كان يذكر اللون الاحمر في تشبيهاته للخمر ، وأحيانا قليلة جدا في وصفه للخد او الثوب كقوله :

لمّا وَجاها بدتْ حمراء فانيةً
كأنّما سُلبتْ من نفسها سُكُرا[٢٠١]

وكقوله في تشبيه الخمر بالخد :

كأنّ سلافَ الخمرِ من ماءِ خدّهِ
وعنقودَها من شعرِه الجَعْدِ يُقطَفُ[٢٠٢]

وكقوله في الثياب الحمر :

وقمريةٍ الاصواتِ حمرٍ ثيابُها
تُهينُ ثيابَ الوشيِ جرّاً وتَسحبا[٢٠٣]

في حين تبين لي أنه وصف اشياء كثيرة بالصفرة او اللون الاصفر كقوله في الخمر :

وصفراءَ باكرتُها والنجوم خافقةٌ كقلوبٍ تَجِبْ[٢٠٤]

---

(٢٠١) الديوان (١٠٥/٢) .
(٢٠٢) نفسه (١٧٤/٢) .
(٢٠٣) نفسه (٣١/١) .
(٢٠٤) نفسه (٣٨/٢) .

وكقوله في جارية صفراء :

رُبَّ صفراءَ علّلتني بصفرا ءَ وجُنحُ الظلامِ مُرخَى الإزارِ [٢٠٥]

وكقوله في اللباس الاصفر :

لَبِستْ صفرةً فكم فتنتْ مِن اعينٍ اذْ رأيتَهـا وعقولِ
مثلَ شمسِ الأصيلِ تَسحبُ ذيلاً صَبَغتْهُ بزَعفرانِ الأَصيلِ [٢٠٦]

وقوله في المنثور :

أما تَرَى البستانَ كيفَ نَوَّرا وَنَشرَ المنثورُ بُرداً أصفرا [٢٠٧]

وقوله في بستانه :

ومُعجِبـاتٍ من بُقولٍ وَزَهَرْ
مُصفَرَّةً قد هَرِمَتْ قبل الكِبَرْ [٢٠٨]

وقوله في الكلب :

أنعتُـهُ مُعَصفَرَ القميصِ
مُهفهفاً مُوثَّقَ الفُصوصِ [٢٠٩]

وقوله في الحصان :

طَالَ ما خاضَ بي الوغى فانثنى بي
بعدَ نصرٍ مُعصفَرَ الأثوابِ [٢١٠]

---

(٢٠٥) الديوان (٣/٢٩٦) .
(٢٠٦) نفسه (١/٣٣٩) .
(٢٠٧) نفسه (٢/٥٤٠) .
(٢٠٨) الديوان (٢/٥٨١) .
(٢٠٩) نفسه (٢/٤٥٥) .
(٢١٠) نفسه (٣/١٢٧) .

وقوله في عين البازي :

ومقلةٍ صفراءَ مثلِ الدينــارْ[211]

وقوله في منسر البازي :

ومِنسَـرٍ عضبِ الشَّـبا كالخنجرِ

تخالُــهُ مُضمَّخــا بالعُصفُــرِ[212]

وقوله في الفهد :

كالزِّدلَـمِ الأَصفـرِ صنكٌ فانملَسْ

عليــهِ تَلويحاتُ وَشمٍ ما دَرَسْ[213]

وقوله في النــار :

كــأنَّ ســكاكينَهم نَشَّــرَتْ

مُعصفرةً فوقَ جَــزلِ الحَطَبْ[214]

وقوله في وصف الوتر :

لا صيــدَ إلاَّ بِوَتَرْ   أصفرَ مجدولٍ مُمَرّ[215]

وقوله في المشمس :

ومشمشٍ بانَ منــه اعجبُ العجبِ

يدعو النفوسَ الى اللَّذّاتِ والطربِ

---

(٢١١) الديوان (٢/٤٣٨) .

(٢١٢) نفسه (٢/٤٤٢) .

(٢١٣) نفسه (٢/٤٤٩) .

(٢١٤) نفسه (١/٤٠٦) .

(٢١٥) نفسه (٢/٤٤٥) .

كأنَّه في غصونِ الدَّوحِ حينَ بـــدا
بنادقٌ خُرطتْ من خالص الذهبِ (٢١٦)

وقوله في البلح الاصفر :

مكاحلٌ من فِضّـــةٍ قـــد طُليتْ بالذهبِ (٢١٧)

وكان أحيانا يجمع بين اللونين كما في قوله :

والمـــدّ يعملُ في كلّ موضعٍ منه شـــرّه
يسقِي رياضَ جِنـــانٍ ترنو بأحـــداق زَهرَه
كأنـــه رقمُ وشـــيٍ بصُفـــرةٍ وبحُمرَه (٢١٨)

وقوله وقد جمع معهما لوناً آخر :

جَلا لنـــا وجـــهُ الثَّرى عن منظرٍ
كالقصب أو كالوشـــي أو كالجـــوهرِ
من أبيضٍ أو أحمـــرٍ أو أصفـــرِ
وطـــارفٍ أجفانُـــهُ لم يَنظُرِ (٢١٩)

وأكبر الظن ان كثرة اوصافه لهذه الاشياء بهذا اللون لم تكن جزافاً ، وانما كانت نتيجة ميل وحب له • ولعل هذا اللون كان من الالوان المفضلة لدى ابناء العصر آنذاك • ومرّ بنا ان الشاعر كان يوم ألقي القبض عليه عند فشل استخلافه يرتدي غلالة قصب فوقها مبطنة ملحم خراساني يضرب الى

---

(٢١٦) الديوان (٣/٢٣٦) •
(٢١٧) نفسه (٣/٢٣٥) •
(٢١٨) نفسه (٢/١٣٩) •
(٢١٩) نفسه (٢/٤٤٠–٤٤١) •

(الصفرة) قليلا . ومعنى هذا انه كان شغوفا بهذا اللون حتى كان يتخـــذ منه ملابسه[٢٢٠] .

والجدير بالملاحظة ان الشاعر كان يضفي هذا اللون على اكثر ما يصفه من اشياء تتصل بالطبيعة الصامتة والحية ، كما ان استعماله له لم يكن تعبيرا واحدا لا يتغير ، وانما كان يعبر به عن معان مختلفة ، كأن يعبر به عن الهرم او الموت او ان يعبر به عن الحيوية والنشاط ، او ما يستهويه ويعجبه من أشياء ، وقـــد لا يستبعد أن يكون اكثاره من هذا اللون مرتبطاً بلون الذهب الذي يرمز الى الترف والذي كان متوفرا في بيئته الخاصة .

على أن العناية باللون الاصفر لم تكن جديدة على الشعر العربي ، فقـــد ورد في الشعر القديم ما يشير الى هذا اللون ، وفي شعر ابن قيس الرقيـــات امثلة عديدة عليه[٢٢١] .

اوزانـــه وقوافيـــه :

نظم الشاعر على أوزان الشعر المعروفة ، وأكثر من النظم على الاوزان المجزوءة والقصيرة التي كانت تتلاءم وطريقة حياته ومجالس شرابه وغنائه ،

---

(٢٢٠) الديوان (٢/ ٤٤٠ — ٤٤١) .
من الجدير بالذكر ان الوشاء ذكر في باب زي الظرفاء في اللباس المستحسن عند مروات الناس ما يأتي : « ... وليس يستحسن لبس الثيـــاب الشمعة الالوان ، المصبوغة بالطيب والزعفران ، مثل الملحم الاصفر ، والدبيقى المعنبر ، لان ذلك من لبس النساء ، ولبس القينات والاماء ، وقد يلبسون ذلك في الفصد والعلاجات ، ووقت الشراب والخلـــوات الغلائل الممسكة ، والقمص المعنبرة ، والاردية الملونة ، والازر المعصفرة وربما استعملوها لفرشهم ، ولبسوها في وقت قصفهم ، وتظرفوا بهـــا في مجالسهم ، وتحففوا بها في منازلهم ، والظهور فيها قبيح بالســـوقة والظرفاء مستحسن من اهل النعم وابناء الخلفاء ... » ص ١٦١ .

(٢٢١) انظر ديوان ابن قيس الرقيات ٤٤ ، ٨٠ ، ١٢٨ .

كمجزوء الكامل ، والوافر ، والرمل ، والخفيف ، ومشطور المديد[٢٢٢] والبسيط[٢٢٣] والرجز ، ومنهوك المنسرح .

وكان متمكنا من اوزانه ، جاريا فيها على القواعد الصحيحة ، غير أن بعضهم لحظ انه كان يخرج أحيانا على هذه القواعد الصحيحة ، ومثل لذلك بقصيدته التي اولها :

طال وجدي ودامـــا وفنيـــت ســـقاما

وقال : (فالقصيدة من مجزوء الخفيف والضرب مجزوء مخبون مقصور والعروض مثله تصريعا ، ولكن ابن المعتز يلتزم ذلك في اعاريض هذه القصيدة، وهو خروج على الصحيح من قواعد الاوزان في الشعر)[٢٢٤] . غير ان بعض

---

(٢٢٢) مما نظمه على مشطور المديد قصيدة تقع في (٣٥) بيتا مطلعها :

اسـألت طللا بالبراق قد خـلا

الديوان (١٤٩/١) ومقطوعة من ستة ابيات اولها :

خـان عهـدي وظلم جـائر فيمـا حكم

الديوان (٣٤٣/١) .

(٢٢٣) مما نظمه على مشطور البسيط قصيدة من (٢٨) بيتا طالعها :

يـا مقلـة راقـده لـم تدر بالسـاهـده

الديوان (١٥٤/٣) ومن الجدير بالذكر ان الدكتور صفاء خلوصي يقـول في كتابه (فن التقطيع الشعري والقافية) ص ٧٤ في صدد كلامه علـى بحر البسيط (ويضيف العروضيون المحدثون عروضا اخرى للبسـيط هي مشطور البسيط ولا أهمية لها من الناحية الكلاسـيكية ، الا أن الشعراء المتاخرين أكثروا من استعمالها وعلى رأسهم احمد شوقي في قصيدته (وصف حفلة الباليه) ولعله وجد الوزن يلائم حركات ارجـل الراقصين في الحفلة فاختاره لقصيدته هذه التي يقول فيها :

تلك شموس الدجى أم ظبيات الخيـم

(٢٢٤) ابن المعتز وتراثه في الادب (٢٩٧) .

المختصين بالعروض يشير الى انه من الممكن أن تخرج هذه القصيدة وامثالها على (الممتد) ، فيقول في صدد كلامه على شـــواذ ضروب مجزوء الخفيف واعاريضه : (ومن ذلك ان يجيء مجزوء الخفيف بعروض وضرب مقصورين، فيكون على فاعلاتن مفعولن •• فاذا دخلهما الخبن صارا على ••• فاعلاتن فعولن ••• ولابن المعتز قصيدة عدتها خمسة وعشرون بيتا (والصحيح ان عدتها ٣٢ بيتا) من هذا النحو قال :

طال وجدي ودامـــــا وفنيـــت ســـــــقاما

••• ثم ••• (هذا وان بدا لك ان تخرج هذه الابيات وامثالها على (الممتد) ذلك البحر المهمل معكوس المديد ــ ان بدا لك ذلك فهو ممكن ويكون تقطيعها على النحو الآتي :

طال وجـــــدي وداما وفنيـــــت ســـــقاما

ولعل هؤلاء الشعراء فكروا في هذا حين نظموا هذه الابيـــات ، ولم يفكروا في الخفيف المجزوء)[٢٢٥]•

واكبر الظن ان ابن المعتز قد اراد في قصيدته هذه هذا الممتد كما اشار هذا الدارس ، واذا صح هذا فالقول بخروجه في هذه القصيدة عن الصحيح من قواعد الاوزان ضعيف الاحتمال •

ولحظ الاستاذ خفاجي ان قصيدة ابن المعتز :

فَكٌ حرّ الوجـدِ قيدَ البكاءِ فاعــذريني او فموتي بـــداءِ

(مختلطة الوزن تتردد بين الخفيف والمديد في شتى ابياتها) وعلل ذلك (بخطأ الديوان او بتحريف الناسخين والناشرين لديوانه)[٢٢٦] •

---

(٢٢٥) تحفة الخليل ص ٢٥٤ •

(٢٢٦) ابن المعتز وتراثه في الادب (٢٩٨) •

حقيقة ان هذه القصيدة قد اضطرب الوزن فيها كما اشار الاستاذخفاجي كما اضطرب الوزن واختلط ايضا بين الخفيف والمديد في قصيدة اخرىعدتها (٤١) واحد واربعون بيتا مطلعها :

للاماني حـــــديث يَغُرْ   ويسوءُ الدهرُ مَنْ قد يَسُر[٢٢٧]

واكبر الظن ان اضطراب الوزن في هاتين القصيدتين مرجعه النساخ بدليل سلامة وزنيهما في بعض النسخ الاخرى من مخطوطات الديوان التي اعتمدناها في التحقيق .

ويبدو ان تحريف النساخ لم يقتصر على هاتين القصيدتين وانما امتد الى كثير من مقطوعات الشاعر وبخاصة الغزلية منها ، فأصبحت تروى بوزنين مختلفين من ذلك المقطوعتان (٩٢ ، ١٩٨) ، فقد جاءتا بوزني المديد والخفيف، والمقطوعة (٢٩٦) فقد رويت بوزني المديد والسريع ، والمقطوعة (٣٥٠) فقد جاءت بوزني المجتث ومخلع البسيط .

وفي ديوان ابن المعتز قصيدة من (١٣) ثلاثة عشر بيتا مطلعها :

قَرَّتْ قشيشُ من بعــدِ اسـرِ   وبعدِ جهدٍ وبعــد ضُــــرِّ

ويبدو أن وزنها الصحيح هو المنسرح ، وان كان بعض ابياتها يجري على مخلع البسيط ، ونرى من المفيد أن نستأنس برأي احد المشتغلين بالعروض في هذا الصدد ، فقد جاء في كتاب فن التقطيع الشعري ص ١٥٣ هامش (١) ما نصه : (ابتدع الرصافي عروضا جديدة من المنسرح في قصيدته :

ســـمعتُ شـــعراً للعندليبِ   تـــلاه فوق الغصنِ الرطيبِ
مُسْتَفْعِلُــن مفعــولات مستف   متفعلــن مفعولات مســـــتف

---

(٢٢٧) الديوان (١/١١٨) .

وهنا العروض والضرب قد دخلهما الحذذ (اسقاط الوتد المجموع برمته) اذا جاز لنا ان نستعير علة خاصة ببحر الكامل • هـــذا اصح تقطيع للقصيدة في رأينا • أما تقطيعه على أساس الرجز فمغلوط لان القطع لا يجوز في الحشو ، اذ يكون تقطيعه حسب ميزان الرجز : مستفعلن ــ مستفعلــ متفعل ، ولا نوافق كذلك اولئك الذين يقطعونـــه على مخلع البسيط لان التفعيلة الوسطى في المخلع (فاعلن) وليست (مستفعل) •

ورجعت الى قصيدة الرصافي في ديوانه(٢٢٨) فوجدتها تتألف من (١٢) اثنى عشر بيتا ، ووجدت ان ثمانية ابيات من قصيدة ابن المعتز وهي الابيات: (٢ ، ٤ ، ٦ ــ ٨ ، ١١ ــ ١٣) من مخلع البسيط ، كما ان سبعة ابيات من قصيدة الرصافي وهي : (١ــ٢ ، ٥ــ٨ ، ١١) من المخلع أيضا •

واذا صح ان هذا الوزن من المنسرح وانه مبتدع فالفضل فيه يعود الى ابن المعتز الذي سبق الرصافي بنحو عشرة قرون • ونظن ظنا ان الرصافي نظر في ديوان ابن المعتز ووقف على هذا الوزن فحاكاه •

ومما تجب الاشارة اليه في هذا الصدد ان هناك مقطوعتين لابن المعتز احداهما في الغزل(٢٢٩) وهي من ثلاثة أبيات ، والاخرى في الهجاء(٢٣٠) وهي من اربعة أبيات يمكن ان تخرجا على هذا المنسرح المبتدع أيضا •

وقوافي ابن المعتز في جملتها جيدة الوقع ، غير قلقة ولا متكلفة ، علــى الرغم مــن ركوبه الروي الصعب منها : كالثاء ، والذال ، والطاء ، والواو ••

---

(٢٢٨) الديوان ص ٢٤٦ ط ٦ •
(٢٢٩) الديوان (١/٢٤٢) الرقم (١٣٨) •
(٢٣٠) الديوان (١/٦٥٨) الرقم (٥١٢) •

غير انه مع تمكنه منها فقد وقع في بعض هناتها ، من ذلك جعله الهاء المتحرك ما قبلها رويا مع انها صلة لا يجوز ان تكون ـ كما يرى اكثر علماء العروض ـ رويا ، كقوله :

أَفنَى العُداةَ إمامٌ مالَهُ شَبَهُ
ولا تَرى مثلَهُ يوماً ولم تَرَهُ

ضارٍ اذا انقضَّ لم تَحرَمْ مخالبُهُ
مُستوفِزٌ لاتباعِ الحق مُنتبِهُ

ما يُحسِنُ القطرُ أَنْ يَنهلَّ عارضُهُ
كما تتابعُ أَيامُ الفتوحِ لهُ[231]

وقوله في وصف كلاب الصيد :

إنْ خرُطتْ من قِدّها لم تَرَها
إلا وما شاءتْ من الصيدِ لها

تُمسكهُ عضاً ولا يُدمَى بها
غريزةً منهنَّ أو تفقهها[232]

على انه ينبغي ان نشير الى ان الكثيرين من الشعراء قد سقطوا في مثل هذا . ووقع في شعره إقواء وذلك في قوله من قصيدة له دالية مضمومة الروى :

---

(٢٣١) العمدة (١٥٧/١) .

(٢٣٢) نفسه (١٨٥/١) .

شرّدتْهُم كفُّ الحـوادثِ والأيّـ
ـام من بعـدِ جمعِها تَشريـدُ[٢٣٣]

وواضح ان (تشريد) من حقه النصب لانه مفعول مطلق ولا وجه لرفعه هنا ، كما وقع في شعره ايطاء ايضا ، وكان احيانا يصرع في القصيدة الواحدة اكثر من مرة .

وعلى الرغم من جودة رويه عامة فان بعض قوافيه جاءت قلقة ، يبدو عليها شيء من الكلفة ، كقوله في وصف خلعة بالقدم :

تحـدّثنـا عـن أَردشـيرَ ومَـزدَكٍ
وعن آل ساسانٍ وعن آلِ مـروانِ[٢٣٤]

---

(٢٣٣) الديوان (١/٨٠) .
من الجدير بالذكر ان الاستاذ خفاجي يرى في قول ابن المعتز :
وان الجديدين اللذين تضمنا   حياتي باحداث الى سراع
اقواء . لان سراع في رأيه خبر ان ، والقصـيدة مكسـورة الروى . والصحيح ان (سراع) هنا مجرور لانه نعت الى احداث ، اما خبر ان فهو أول كلمة من صدر البيت التالي لهذا البيت وهو قوله :
(هما) انصفاني قبل اذ انا ناشيء   وقد صارعاني بعد أي صراع
ويبدو ان الذي اوهم الاستاذ خفاجي هو مافي البيت من تضمين . ويرى ايضا ان الشاعر قد اخطأ في قوله :
يحسب ظلمي ويحه سكرة   وليس يدري ان ظلمي حنظله
فهو يقول : (وهو رجز سار فيه على التزام اللام والهاء . فقوله سكرة خطا واضح) ابن المعتز وتراثه في الادب (٢٩٨ـ٢٩٩) . الحقيـقة ان ابيات الشاعر وان كانت من الرجز لم تكن مصرعة ، اللهم الا المطلـع ، وعلى هذا فلا وجه لتخطئته في قوله (سكرة) والا لوجب ان تكون كـل أعاريض الابيات خطأ أيضا ، فلماذا وقع الخطأ على سكرة دون غيرها ؟

(٢٣٤) الديوان (١/٧٣٠) .

وقوله مادحا :

ومتـوّجٍ أَوطـأت عِـزّتـه
جيشـاً يلَفّ الـرومَ والحبشـا[٢٣٥]

وأكبر الظـن أن حاجته الى القافية هي التي جعلته يحشر آل مروان والحبش في هذين الموضعين ، والآفال مروان والحبش لا يضرب بهما المثـل في القدم او القوة .

ويظهر انه كان يستعين في قوافيه بمصادر الافعال التي كان يأتي بها في خلال شعره ، وبخاصة القوافي الصعبة كالذال والواو ـ كقوله :

بضـميرٍ لا لهـوَ فيـهِ وقلـبٍ
وَقذتْـهُ قـوارعُ الدهـرِ وَقـذا

وخليـلٍ صـافٍ هنيءٍ مـرىءٍ
جَبَـذتهُ الأيـامُ منىّ جَبـذا

سيفُ حكمٍ في مَفصلِ الحـقّ ماضٍ
شَحذتْهُ تَجـاربُ الدهـرِ شَحـذا

قـد رمـاني فيـهِ الزمـانُ بسـهمٍ
يَنفـذُ الجوفَ والتـراقيَ نفـذا

طاعنٍ في العِنانِ يسـتنكرُ السـو
طَ مُدِلاّ ويأخـذُ الارضَ أَخـذا

فـاذا مـا عـدا فنـارٌ أذاعتْ
بِدخـانٍ تَهـذّهُ الريـح هـذا

(٢٣٥) الديوان (٤٦٣/١) .

بحرٌ شدٌ يشاغبُ الصخرَ قرعـاً
بصخورٍ وينبذُ التـربَ نبـذا(٢٣٦)

وقوله :

سَلَّ المشيبُ سيوفَهُ فَسَطا على اللّذَّاتِ سطْوا
حتَّى انثنتْ حُمةُ الشبا بِ كليلةً وصحوتُ صحوا
بِشِمِلَّةٍ جَوَّالةٍ تنضومَطايا الركبِ نَضوا(٢٣٧)

بين ابن المعتز والاخرين :

نرى ان نختتم دراستنا لشعر ابن المعتز بالكلام على نقطتين مهمتين ، الاولى تتصل بتأثره بمن سلفه أو عاصره من الشعراء ، والثانية تتصل بأثره فيمن أعقبه من الادباء والشعراء .

مر بنا أن الشاعر كان ذا موهبة شعرية ، وأنه تلقى علومه على أكابر المؤدبين والاساتذة في وقته ، كما انه اشتغل بالتأليف الى جانب تعاطيه نظم القريض ، الامر الذي كان يزجيه الى البحث والتنقيب عن النماذج المجتباة لكثير من الشعراء والادباء . ولا شك في أن كل هذا كان له الاثر الكبير في أن تزدحم في مخيلته صور ومعان شتى ، لكثير من نتاج اولئك الشعراء والادباء . ومن غير شك أيضا ان شيئا مما وقف عليه من معان وصور قد تسرب الى قريضه ، كما كان أحيانا كثيرة بدافع الاعجاب بما يقرؤه والرغبة في زيادة معانيه والابداع في تصويره يأخذ من غيره ويستعيد فيحسن ، ولكنه مع كل هذا كان كثيرا ما يتكىء على نفسه أيضا(٢٣٨) .

---

(٢٣٦) الديوان (١/٩٠ — ٩١) .
(٢٣٧) نفسه (١/١٩٥) .
(٢٣٨) انظر الفصل الخاص بابن المعتز من كتاب الاوراق للصولي خ (٤ظ) .

ويبدو انه قد تعرض في زمنه الى شيء من الاتهام بالسرقة أو السطو على معاني الآخرين . ولعل ما جاء في قصيدة يحيى بن علي المنجم التي رثاه فيها ، وكانت علاقتهما قد شيبت بالكدر ، ما يشير الى هذا ، فقد جاء فيها قوله :

فانْ أبكـهِ الآنَ لا ابكـهِ لحسنِ وفـاءٍ ولا سـؤددِ
ولكنْ لشـعرٍ لـه رائـقٍ لسمعِ البصيرِ وللمنشـدِ
كثـيرُ البديـعِ ولكنَّـهُ يزيغُ عن الكَلِمِ الشرَّدِ (٢٣٩)
وفيه نوادرُ قولٍ أخـذ نَ بسطرفِ الشعْرِ والمتلـدِ
أغارَ على أهلِـها مُصمتـاً ولم يتَحشَّم من النقّـدِ (٢٤٠)

ويحسن بنا أن نقف قليلا عند موضوع السرقة في الادب لنرى مبلغ نصيب (ابن المعتز) منها ، ان موضوع السرقة او النظر في نتـاج الآخرين والاخذ منه ليس جديدا ، ويبدو انه بدأ منذ القديم ، أي منذ أن اخذ الشاعر العربي يظهر نفثات صدره ، وزفرات حبه عن طريق القريض . ولعل هذا هو الذي دفع عنترة الى القول في طالع قصيدته :

هل غادر الشعراء من متردم

وكعب بن زهير بن أبي سلمى :

ما أرانـا نقول الا معـارا أو معـادا من قولنـا مكـرورا

ومن ينعم النظر في الشعر الجاهلي يجد شيئا غير قليل من التشابه بين أفكار الشعراء وصورهم ومعانيهم وألفاظهم حتى كان بعض ابياتهم يتشابه في كل شيء الا في القافية .

---

(٢٣٩) في الاصل (من الكلم) .

(٢٤٠) الاوراق . قسم اخبار المقتدر ٢٨ ظ ، ٢٩و . في الاصـل (اعار ينحسم) ولعل الاصل ما أثبتناه .

وقد توسعت كتب الادب والنقد بسرد سرقات الشعراء من بعضهم البعض وحاول بعضها ولا سيما كتب النقد أن تشرح المقصود بالسرقة ، وتبين مفهومها والمقبول منها وغير المقبول . ونرى من المفيد أن نستأنس بقول ابن رشيق في هذا الشأن فهو يقول: (وهذا باب متسع جدا ، لا يقدر احد من الشعراء ان يدعي السلامة منه ، وفيه أشياء غامضة ، الا عن البصير الحاذق بالصناعة ، وأخر فاضحة لا تخفى على الجاهل المغفل ... وقال الجرجاني وهو أصح مذهبا ، وأكثر تحقيقا من كثير ممن نظر في هذا الشأن ـ ولست تعد من جهابذة الكلام ، ولا نقاد الشعر حتى تميز بين اصنافه واقسامه وتحيط علمـا برتبه ومنازله ، فتفصل بين السرق والغصب وبين الاغارة والاختلاس ، وتعرف الالمام من الملاحظة ، وتفرق بين المشترك الذي لا يجوز ادعاء السرقة منـه والمبتذل الذي ليس واحد احق به من الآخر وبين المختص الذي حازه المبتدي فملكه واجتباه السابق فقطعه) . ويقول أيضا : (والمخترع معروف له فضله متروك له من درجته ، غير ان المتتبع اذا تناول معنى فأجاده بأن يختصره ان كان طويلا ، أو يبسطه ان كان كزا ، او يبينه ان كان غامضا ، أو يختار له حسن الكلام ان كان سفسافا ، او رشيق الوزن ان كان جافيا ـ فهو أولى به من مبتدعه ، وكذلك ان قلبه ، او صرفه عن وجه الى وجه آخر ، فأما ان يساوي المبتدي فله فضيلة حسن الاقتداء لا غيرها ، فان قصر كان ذلك دليلا على سوء طبعه ، وسقوط همته ، وضعف قدرته)[٢٤١] .

---

(٢٤١) منقول من كتاب (رسائل سعيد بن حميد وأشعاره ص ٤١ ـ ٤٣) وانظر كتاب الموازنة بين شعر ابى تمام والبحترى ١ / ٢٩ ، وجاء فيه (وكان ينبغى ان لا اذكر السرقات فيما أخرجه من مساوىء هذين الشاعرين : لاننى قدمت القول في ان من ادركته من اهل العلم بالشعر لم يكونوا يرون سرقات المعانى من كبير مساوىء الشعراء . وخاصة المتأخرين اذ كان هذا بابا ما تعرى منه متقدم ولا متأخر ...) وقال الجاحظ : (نظرنا في الشعر القديم والمحدث فوجدنا المعانى تقلب ويؤخذ بعضها من بعض) (زهر الاداب ٧٥٩) .

وسنحاول انطلاقا من هذا المفهوم لمعنى السرقة ان نذكر بعض ما أخذه ابن المعتز من غيره لنرى مبلغ ما أضافه اليه من زيادة او تحسين . قال ابن رشيق في قول امرىء القيس الذي يصف فيه الديار :

كما خطَّ عبرانيةً بيمينه
بتيماءَ حبرٌ ثمَّ عرَّض اسطرا

(فان احسن ما فيه ، قوله : عرض أسطرا ، ليس من العرض الذي هو خلاف الطول ولا العرض الذي هو الناحية ولكنه من التعريض ، كأنه قال : أدق السطور فصار كأنه معرض مخفف ، لم يظهر ولم يصرح ، هكذا قال فيه الحذاق . أخذه ابن المعتز فقال يصف الحمول :

بدتْ في بياضِ الآلِ والبعدُ دونَها
كأسطرِ رقٍّ أمرضَ الخطَّ كاتبُه

فأوضح العبارة وأبرز المعنى)[٢٤٢] .

وقال ابن ابي الاصبغ في (باب حسن الاتباع : وهو ان يأتي المتكلم الى معنى اخترعه غيره فيحسن اتباعه فيه بحيث يستحقه بوجه من وجوه الزيادات التي توجب للمتأخر استحقاق معنى المتقدم ، اما باختصار لفظه او قصر وزنه .... كقول جاهلي في وصف جمل له :

وعَوْدٍ قليلِ الذنب عاودت ضربه
اذا هاجَ شوقي من معاهدِها ذكرْ
وقلت له ذلفاء ويحك سبَّبتْ
لك الضرب فاصبر إنَّ عادتك الصبرْ

---

(٢٤٢) قراضة الذهب ، ٣٧ ــ ٣٨ .

فأحسن ابن المعتز اتباعه في هذا المعنى حيث قال يصف خيله :

وخيلٍ طواها القَودُ حتى كأنّها
أنابيبُ سمرٌ من قنا الخطّ ذُبَّلُ

صببنا عليها ـ ظالمينَ ـ سياطَنا
فطارت بها أيدٍ سراعٌ وأرجلُ

فان ابن المعتز عمد الى معنى البيتين المتقدمين فعمله في صدر بيته الثاني، وذلك ان حاصل قول الجاهلي في بيته : ان هذا الجمل لا ذنب له وانما ضربته مرة بعد أخرى لما هيج لي ذكر معاهد هذه المعشوقة من الشوق فتوهمت انه بالضرب يخرج حد الاستطاعة ويأتي من السير بما ليس في الطاعة وكل هذا حاصل في قول ابن المعتز : (صببنا عليها ظالمين سياطنا) ، فان قوله (صببنا) هو عين قول العربي (عاودت ضربه) وما دل عليه لفظه من كون الضرب كان ظلما هو عين قول ابن المعتز (ظالمين) بلفظ الايجاز فحسن البيان في كلام ابن المعتز بخلاف كلام الاول ...)[٢٤٣] .

وقال العسكري في قول اعرابي يصف الهلال :

كأن ابن مزنته جانحا
فسيط لدى الافق من خنصر

(وهذا البيت على غاية سوء الرصف . وقد أخذه ابن المعتز فحسنه في قوله :

---

(٢٤٣) تحرير التحبير (٤٧٥-٤٧٧) وانظر زهر الاداب (٢/٣٢٩) وشرح المقامات (٢ / ٢٣٥) .

ولاحَ ضوءُ هلالٍ كاد يفضحُنا

مثل القلامةِ قد قُدَّتْ من الظفرِ [٢٤٤]

وقال في قول القطامي :

وما ريح قاع ذي خزامى وحوله

شذا أرج من طيّب النبت عازب

بأطيب من ميّ اذا ما تقلبت

من الليل وسنى جانبا بعد جانب

أنه (أجود ما قيل في طيب عرف المرأة) ثم قال (... وأخذ ابن المعتز قول القطامي ببعض لفظه الا انه زاد زيادة حسنة وجاء بألفاظ بديعة وهو قوله :

وما ريحُ قاعٍ زاهرٍ مَسَّتِ الندَى

وروضٍ من الريحانِ سَحَّتْ سحائبُه

فجاءتْ سُحيراً بينَ يومٍ وليلةٍ

كما جرَّ من ذيلِ الغلالةِ ساحبُه

بأطيبَ من أثوابِ شِرَّةَ مَوهِناً

إذا الليل أدجَى وارجحنت كتائبه

إذا رغبتْ عن جانبٍ من فراشها

تضوَّعَ مسكاً أينَ مالت جوانبُه [٢٤٥]

---

(٢٤٤) ديوان المعاني (٣٣٩/١) وانظر المنتخب من كنايات الادباء (٩٢ــ٩٣) وجاء فيه (فزاد عليه حسنا لانه جعله قلامة الظفر على الاطلاق والاول قيده بالخنصر وذكره حشولا معنى له) .
وانظر : ثمار القلوب (٢٦٣ــ٢٦٤) .

(٢٤٥) ديوان المعانى ٢٥٩/١ . وانظر : نهاية الارب (٦٣/٢) .

وقال في قول ذي الرمة الذي يصف فيه الليل وهو :

وليــل كجلبــاب العروس ادرعتــــه
بأربعــة والشخص في العــين واحـــد

انه من احسن الاوصاف ثم قال : (فأخذه ابن المعتز ونقله الى ما هو اظرف لفظا منه وهو قوله :

وليــلٍ كجلبــابِ الشــبابِ قطعتُــهُ
بفتيــانِ صدقٍ يملكون الأمانيـــا

جلباب الشباب أظرف من جلباب العروس)(٢٤٦) .

وقال في قول ابن المعتز في الصبح :

والصبحُ يتلو المشــتري فكأنّــهُ
عُريانُ يمشِي في الدجَى بســـراجِ

(انه أبرع بيت في الصبح من شعر المحدثين) ثم قال : : (والناس يظنون انه ابتدأه وابتكره وانما أخذه من قول ابن هرمة في وصف السحاب والبرق:

تؤام الـــودق كالــزا	حف يزجى خلف اطلاح
صدوق البرق كالســكر	ان يمشي خلفــه الصاحي
كأن العـــازف الجني	أو أصـــوات نــواح
على أرجائــه والبـــر	ق يهــديه بمصبــــاح

وهذا البيت مضطرب الرصف مضمن لا خير فيه والمعنى بارد)(٢٤٧) .

(٢٤٦) ديوان المعاني (٣٤٢/١) .
(٢٤٧) نفسه (٢٥٨/١) .

وقال ابن أبي الأصبغ في حسن الاتباع : (ومن حسن الاتباع اتباع ابن المعتز بشارا في قول بشار :

كأن مثار النقع فوق رؤوسنا
وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه

فان ابن المعتز قال :

إذا شئتُ أوقرتُ البلادَ حوافراً
وسارتْ ورائي هاشمٌ ونِزارُ
وعمَّ السماءَ النقعُ حتى كأنَّهُ
دُخانٌ وأطرافُ الرماحِ شَرارُ

فان بشارا قال (فوق رؤوسنا) والليل لا يخص رؤوسهم لعموم ظلمته الآفاق . وابن المعتز تخلص من هذا الدَّخَل بقوله (وعم السماء النقع) دليل على كثرة الجيش وانتشاره ، ولذلك قال في بيت التوطئة (أوقرت البلاد حوافرا) وكان مثل هذا لائقاً به لمكانه من الملك[٢٤٨] . وذكر ابن ابي عون قول ديك الجن في وصف ساق وهو :

فقام تكاد الشمس تخضب كفَّهُ
وتحسبه من وجنتيه استعارها
موردة في كفِّ ظبي كأنما
تناولها من خده فأدارها

ثم قال : (وأخذ ابن المعتز قوله (كأنما تناولها من خده فأدارها) وزاد عليها فقال :

---

(٢٤٨) تحرير التحبير ٤٨٣ .

تدورُ علينا الكأسُ من كفِّ شـــادنٍ

له لحظ ُعينٍ تَشتكي السقمَ مدنفُ

كأنَّ ســلافَ الخمرِ مــن مــاءِ خدهِ

وعنقودَها من شعرهِ الجعدِ يقطفُ[249]

وجاء في زهر الآداب ان ابن المرزبان انشد لابن المعتز في مناقضـــة الطالبيين :

دعوا الأسدَ تسكنُ في غابِهـــــا

ولا تَـــدخلوا بـــينَ أنيـــابها

فنحنُ ورثنــــا ثيــابَ النــبيِّ

فَلِمْ تَجـــــذبونَ بهدّابهــــا

ثم قال قد اخذه من قول بعض العباسيين :

دعوا الاسد تسكن أغيالهـــا ولا تقـــربوهـا وأشـــبالها

ولكنه سرق ساجا ، ورد عاجا ، وغلَّ قطيفة ، ورد ديباجا)[250] .

وقال كشاجم في قول ابن المعتز الذي يصف فيه فهده :

تضـــمُّ الطريـــدَ الــى نحـــرِها

كضـــمِّ المُحبَّـةِ مَـن لا يُحـبُّ

(قوله : من لا يحب ، مبالغة في وصف تشبثها لان ضم المحب مــن يعلم انه لا يساعده على المحبة أشد توثقا والزاما ، وأصول هذا من قــول العرجي :

---

(٢٤٩) التشبيهات ١٨١ ؛ وانظر : محاضرات الادباء (٢/٧٠٣) .
(٢٥٠) زهر الاداب (٧٩٨) .

فتوافقا عنـــد الـوداع تلازمـــا
أخـذ الغـريم ببعـض ثـوب المعسـر

وان كان هو فتح هذا المعنى فقد هجنه وخالف الصواب في ترتيبه لانه سوّى بينهما في الملازمة والوداع . وتلك حال المحبين ... قال وتشبيه ابن المعتز في هذا حسن لان الفهد مجتهد في التشبث بالظبي والظبي مجتهد في مغالبته . وكذلك ضم المحب من لا يحبه)(٢٥١) .

وجاء في التشبيهات ان ابن الرومي ــ وهو معاصر لابن المعتز ــ شبه الثريا بقدم بيضاء وذكر شعر امرأة فقال :

تغشـى غواشـي قرونهـــا قدمـاً
بيضـــاءَ للنـاظـرين مقتـــدره

مثـــل الثريـا اذا بـــدت ســـحراً
بعـــد غمـــام وحاســـر حسـره

فأخذه ابن المعتز وزاد فقال :

وأرى الثريـــا في السـماء كأنهـا
قَدَمٌ تَبَدَّتْ من ثيابِ حِـدادِ (٢٥٢)

وواضح من هذه الامثلة ان ابن المعتز حين كان يأخذ من الاخرين فانه كان يزيد في المعنى ويحسّنُ في اللفظ ، ويبدع في التصوير .

على أنه ينبغي ان نشير الى ان الشاعر لم يقتصر في أخذه على من سبق ذكره من الشعراء وانما كان يأخذ معانيه أحيانا من شعراء آخرين. وممن اعجب بـه مـن الشـعراء أبو نواس . وخاصة ما يتصل بخمرياته وطردياته ، ومن أجل هذا فقد تسرب شيء من معانيه وصوره الى شعره ، بيد أن ابـن

(٢٥١) المصايدوالمطارد (١٩٢ــ١٩٣) .
(٢٥٢) التشبيهات (٦) .

المعتز على الرغم من أخذه من الاخرين فانه كان محتفظا بشخصيته الادبية متميزة ، ولم يجعلها تذوب في شخصية اخرى • ويكفي في هذا الصدد ان نشل بنماذج له حاكى فيها أبا نواس في فنى الشراب والطرد ، على ان نشير في نهاية هذه النماذج الى المصادر التي ذكرت ما اخذه الشاعر من معاني سواه من الشعراء وغيرهم •

قال ابو نواس في وصف الحباب :

قامت تريني وأمر الليل مجتمع
صبحا تولّد بين الماء واللهب
كأن صغرى وكبرى من فواقعها
حصباء درّ على ارض من الذهب

أخذه ابن المعتز فقال :

يا خليليَّ سقّياني فقد لا ح َ صباحٌ واذّنَ الناقوسُ
من كُميتٍ كأنّها أرضُ تِبرٍ في نواحيهِ لؤلؤٌ مغروسُ[٢٥٣]

وقال أبو نواس يصف كأسا :

تدار علينا الراح في عسجديّة حبتها بأنواع التصاوير فارس
قرارتها كسرى وفي جنباتها مها تدّربها بالقسيّ الفوارس
فللخمر ما زرّت عليه جيوبها وللماء ما دارت عليه القلانس[٢٥٤]

---

(٢٥٣) ديوان المعاني (٣٠٨/١) . ومن الجدير بالذكر ان كثيرا من النحويين خطأوا أبا نواس في قوله (صغرى وكبرى) في حين برىء ابن المعتز من هذا الخطأ .

(٢٥٤) ديوان ابى نواس (٣٧) .

وقال ابن المعتز :

يَمج سلافَ الخمرِ في عسجديّةٍ
توهَّجَ في يُمناهُ كالكوكبِ الفردِ
محفَّرةٍ فيها تصاويرُ فارسٍ
وكِسرَى غريقٌ حولَهُ حِزَقُ الجُندِ [255]

وقال أبو نواس في الطرد :

ـ تبدى الصبح من حجابه   كطلعة الاشمط من جلبابه

فقال ابن المعتز :

حتّى بدا الصبحُ من الحجابِ   كشيبةٍ حلَّتْ على الشبابِ

وقال ابو نواس :

قد اغتدي والليل في حريمهِ   معسكراً في الزهر من نجومهِ
والصبح قد نشَّمَ في أديمهِ   يدعّه بكنفى حيزومهِ
دَعّ الوصيّ في قفا يتيمهِ

فقال ابن المعتز :

قد أغتدي والليلُ في إهابهِ   كالحبشيّ فَرَّ من أصحابهِ
والصبحُ قد كشَّفَ عن أنيابهِ   كأنه يضحكُ من ذهابهِ [256]

---

(٢٥٥) الديوان (٢/٨٥) .

(٢٥٦) التشبيهات (١٧-١٨) ، وديوان المعاني (٣٥٦/١) وقد اعجب العسكري بقول ابن المعتز هذا . يحسن الرجوع الى المصادر الاتية للوقوف على ما اخذه ابن المعتز من غيره أو احتذى به :

واذا كان ابن المعتز ــ كما مر ــ قد أخذ معانيه من شعراء آخرين بعد أن اضفى على ما أخذه تحسينا وزيادة ، فأنه أصبح بما ولده من معان وابتكره من صور وبرع به من تشبيه وما كان عليه من شاعرية ممتازة مثالا يحتذى به الكثيرون ممن خلفه من الشعراء والادباء ، وانه ليطول بنا المدى لو اردنا أن نسوق كل ما تجمع لدينا من امثلة لما أخذه منه الشعراء من معان وصور ،ولكننا سنكتفي بالتلميح الى بعض من حذا حذوه ، ونجتزىء ببعض النماذج لبعض من اقتفى أثره .

١) فمن كان يجري في طريق ابن المعتز ويسلك سبيله من الشعراء أبو القاسم الحسين بن علي الوزير المغربي الذي قال فيه الثعالبي : (وكان يجري في طريق ابن المعتز نظما ونثرا ، ويجاذبه طرفيهما)(٢٥٧) .

البديـــع لابن المعتز ٤٥ ، التشبيهات ٩ ، ١٤ ، ١٦ ، ١٧ ، ٤٤ــ٤٥ ، ٦١ ، ١٥٩ ، ١٦٧ ، ١٨٢ ، ٢٣٩ ، ٣١٢ . الامالي : ١/٢٢٦ ، المختار من شعر بشار : ١٠ ، ٣٣ ، ٥٤ــ٥٥ ، ٦٥ ، ٧٧ ، ٧٩ ، ١٣٢ ، ديـوان المعـاني : ١/٧٠ــ٧١ ، ٢٥٠ ، ٣٤٠ ، ٣٤٤ ، ٣٥٥ــ٣٥٦ ، ٣٥٩ــ٣٦٠ ، ٢/٥٧ ، ١١٤ــ١١٥ ، ١٢٩ ، ١٣٤ ، ١٩٤ــ١٩٥ ، الصناعتين : ٨٦ . ثمار القلوب : ٣٤٣ ، ٥١٦ ، ٦٤٨ ، من غاب عنـه المطرب : ٥٠ .

زهر الاداب : ١٨٥ــ١٨٦ ، ١٩٠ ، ١٩١ ، ٢٥٥ ، ٣١٧ ، ٣٨٥ ، ٧٥٨ــ٧٥٩ ، ٧٩٤ ، ١٠٠٦ ، قراضة الذهب : ١٢ ، ١٤ ، ٢٠ــ٢١ ، ٣٣ ، ٣٨ــ٣٩ ، ٤٠ .

بهجة المجالس : ٤٩ ، المنتخب من كنايات الادباء : ٩٨ .

الجمان في تشبيهات القرآن : ٢٠٤ ، ٢٤٠ ، ٣١١ــ٣١٢ ، ٣٢٧ ، ٣٢٨ ، ٣٦٨ .

سمط اللآلى : ٢٥٥ . محاضرات الادباء : ٩٤ــ٩٥ ، ٣٩٩ ، ٦٥٧ ٦٨٧ .
حماسة ابن الشجري : ٢٢٨ ــ ٢٢٩ ، غرر الخصائص الواضحة : ١٥١ ، ٣٦٩ .

شرح مقامات الحريري ٢/٢٠٦ . البديع في نقد الشعر ١٩٤ــ١٩٥ نثار الازهار : ٦٨ ، ٧٢ . نهاية الارب : ٤/١٠٩ ، معاهد التنصيص ٤٧ .
ابن المعتز وتراثه في الادب (٣٠٨ــ٣١٧) .

(٢٥٧) تتمة اليتيمة (١/٢٤ــ٢٥) .

٢) وتميم بن المعز الذي كان ــ كما يقول الحصري ــ : (يحتذي مثــــال ابن المعتز ، ويقف في التشبيهات بجانبه ، ويفرغ فيها على قالبه، ويتبعه في سلوك الفاظ الملوك)[٢٥٨] .

٣) وممن اعجب بابن المعتز اعجابا شديدا ابن سنان الملك الذي قال في رده على القاضي الفاضل حين انتقده لاستعماله لفظة جارى بها ابن المعتز : (والمولى يعلم ان المملوك لم يزل يجري خلف هذا الرجل ويتعثر ،ويطلب مطالبه فتعسر عليه وتتعذر ..)[٢٥٩] .

وسنحاول فيما يأتي أن نعرض بعض الامثلة لبعض من اقتدى به في صوره ومعانيه .

قال ابن المعتز يعزي عبيد الله بن سليمان عن ابنه ابي محمد ويسليه ببقاء ابي الحسين :

ولقد غبنتَ الدهر اذْ شــاطرتَهُ ... بأبي الحسينِ وقد ربحتَ عليــهِ

وأبو محمّدٍ الجليلُ مصابُــهُ ... لكنَّ يمنى المرء خيرُ يديــــهِ

٤) أخذ المتنبي هذا المعنى وقال لسيف الدولة من قصيدة يعزيه بها عن اخته الصغرى ويسليه ببقاء الكبرى :

قسمتْ المنون شخصين جَوراً ... جعلَ القسمُ نفسَهُ فيك عــدلا

فاذا قست ما أخــذنَ بما غــــا ... درنَ سرّى عن الفؤاد وسـلّى

وتيقنت أنَّ حظَّــــــك أوفى ... وتبينت أنَّ جــدَّك أعلى[٢٦٠]

---

(٢٥٨) زهر الاداب (٧٧٦) وانظر ايضا الحلة السيراء (٢٩/١) ، وديــوان تميم ص ١٢) .

(٢٥٩) الصبح الاعشى (٢٥٠/٢) ، وانظر ثمرات الاوراق (٢٥/١) .

(٢٦٠) يتيمة الدهر ١٥٢/١ ، وفيه (وكان ابو الطيب كثير الاخــذ من ابــن المعتز على تركه الاقرار بالنظر في شعر المحدثين) .

وقال ابن المعتز :

إنّـا على البعــادِ والتفرّقِ ‏ لنلتقِي بالذكــرِ إنْ لم نلتقِ

فقال المتنبي وأخذ معناه :

أيدري الربـع أيّ دم أراقــا ‏ وأيّ قلوب هذا الركب شــاقا

لنــا ولاهله أبـداً قلوب ‏ تلاقى في جسـوم مـا تلاقى(٢٦١)

وقال ابن المعتز :

تخالُ آخرَهُ في الشدّة اولـهُ ‏ وفيهِ عدوٌ وراءَ السبقِ مذخورُ

فقال المتنبي :

واصرع ايَّ الوحش قفيتـه بـهِ ‏ وأنزل عنـه مثله حينَ أركب(٢٦٢)

وقال ابن المعتز :

ومتيّمٍ جــرحَ الفراقُ فؤادَهُ ‏ فالدمعُ من أجفـانهِ يترقرقُ

هزّتهُ ساعةُ فرقـةٍ فكأنّمـا ‏ في كلِّ عضوٍ منـه قلبٌ يخفقُ

وتبعه المتنبي فقال :

حتى كأنَّ لكلِّ عظمٍ رنّــة ‏ في جلدهِ ولكلّ عرق مدمعـا(٢٦٣)

---

(٢٦١) يتيمة الدهر ١/١٩٥ ؛ وانظر ديوان المتنبي شرح العكبري ١/١٨٠ .

(٢٦٢) الوساطة بين المتنبي وخصومه (٣٠٢) ، وانظر ديوان المتنبي شرح العكبري (١/١٧٩) .

(٢٦٣) ديوان المتنبي (٢/٢٥٦) .

وقال ابن المعتز :

ونصيبٌ بالجودِ الفقيرَ وذا الغِنَى
كالغيثِ يَسقِي مُجدباً ومَربعا

وأخذه المتنبي فقال :

ويدلُّها كرم الغمام لانهُ
يسقي العمارة والمكان البلقعا[٢٦٤]

وقال ابن المعتز :

وليلٍ ككحلِ العينِ خضتُ ظلامَهُ
بأزرقَ لمّاعٍ واخضرَ صارمِ
وطيّارةٍ بالرجلِ خوفاً كأنما
تُصافحُ رضراضَ الحصى بالجماجمِ

أخذه المتنبي فقال :

على كلّ طيّارٍ إليها برجلهِ
اذا وقعت في مسمعيه الغماغم[٢٦٥]

وقال ابن المعتز :

مَلِكٌ تواضعتِ الملوكُ لِعزّهِ
قسراً وفاضَ على الجداولِ بحرهُ

(٢٦٤) ديوان المتنبي (٢/٢٦٠) .
(٢٦٥) ديوان المتنبي (٣/٣٩) .

آخذه المتنبي فقال :

اری كل ذي ملك اليـــك مصيره   كأنك بحر والملوك جـداول(٢٦٦)

وقال ابن المعتز يصف السقاة :

وكأنَّ الســـقاةَ بينَ الندامَى   ألفـاتٌ على السـطورِ قيـامُ

أخذه رجاء بن الوليد الاصبهاني فقال :

هذي المـــدامُ وهذهِ التحفُ   والكأسُ بينَ الشـربِ تختلفُ

فكـأنهم وكـــأنَّ ســـاقيهم   ســينٌ تَرى قدامهـا ألفُ(٢٦٧)

وقال ابن المعتز :

وكأنَّ الربيـعَ يجلو عروســـاً   وكأنَّا من قطـرهِ في نثـــارِ

اخذه الصاحب فقال :

فكأن الســماء صـــاهرت الار   ض فصار النثـار من كافور(٢٦٨)

وقال ابن المعتز يصف غديرا :

وترى الرياحَ إذا مسحنَ غديرَهُ   صفَّينــهُ ونفين كلَّ قـــذاةِ

ما إنْ يزالُ عليهِ ظبيٌ كـارعٌ   كتطلّعِ الحســناءِ في المـرآة

---

(٢٦٦) نفحة الريحانة (مخطوط) (ص٥٧) . وهنـاك امثلة اخـرى مما اخذه المتنبي من ابن المعتز يمكن الرجوع اليها في المصادر الاتية : قراضـة الذهب ٣٩ . يتيمة الدهر ١٥٣/١ . الوساطة بين المتنبي وخصومـه ١٩٣ ، ٢١٠ ، ٢٤٩ ، ٢٩٢ ، ديوان المتنبي ١٧٠/١ ، ١٧٩ ، ٣٥٤ ، ١٢٩/٢ ، ٣٨٧ ، ١٢٤/٤ ، نهاية الارب (٢٠/٢) ، ديوان الادب مخطوطة ـ الورقة (٧٠ظ) ، وروضة المحبين ١٠٨ وغيرها .

(٢٦٧) يتيمة الدهر (١٣٦/٤) .

(٢٦٨) المصدر نفسه (٢٦٥/٣) .

وتبعه عمرو بن ثابت فقال :

فترى الظباء اذا وردن حيالها ككواعب قابلنهن مرائي[٢٦٩]

وقال ابن المعتز :

انظر اليه كزورقٍ من فضةٍ قد أثقلته حمولة من عنبرِ

أخذه سعيد بن محمد المرواني فقال :

والبدر في جو السماء قد انطوى طرفاه حتى عاد مثل الزورق

فتراه من تحت المحاق كأنسا غرق الكثير وبعضه لم يغرق[٢٧٠]

وقال ابن المعتز :

وخمرةٍ من بناتِ المجوسِ ترى الدنّ في بيتها شائلا

وزنّا لها ذهباً جامداً فكالت لنا ذهباً سائلا

أخذه الصنوبري فقال :

أقول والكأس على فيه قد صوّبها كالكوكب الصائب

وجسمها من ذهب جامد وروحها من ذهب ذائب

وأخذه المعتمد بن عباد فقال :

وربّ ساق مهفهف غنج قام ليسقي فجاء بالعجب

أبدى لنا من لطيف حكمته في جامد الماء ذائب الذهب[٢٧١]

---

(٢٦٩) يتيمة الدهر ٣٩٦/٣ . وانظر ديوان الادب الورقة (١٤٢) ظ .

(٢٧٠) نفسه ٣٠٩/١ وانظر نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ١٢٩/٥ . وانظر الملحق الرقم (٢٢٧) .

(٢٧١) المطرب في اشعار اهل المغرب (٢٢ــ٢٣) .

وقال ابن المعتز في الخمر :

وقتنيَ مـن نارِ الجحيمِ بنفسـها وذلك من إحسانِهـا ليس يجحدُ

فتبعه ابو مطران الشاشي فقال :

وراح عذّبتهـا النـار حتـى وقت شرّابها نار العـذاب(٢٧٢)

وقال ابن المعتز :

قالتَ كبـرتَ وشبتَ قلتُ لهـا هـذا غبـارُ وقائـعِ الدهـرِ

أخذه ابو العباس احمد بن قاسم المحدث فقال :

يا هـذه حرب الزمان شهدتها فعليَّ مـن ذاك الغبار خمار(٢٧٣)

وقال العماد في نفس المعنى :

ليـل الشباب تـولّى والشـيب صبـح تألّـقْ
ما الشـيب الاّ غبـار من ركض عمـري تعلّقْ(٢٧٤)

---

(٢٧٢) من غاب عنه المطرب (١٠١) . وعلق الثعالبي على هذا بقوله : (بلغني انه لما حمل ديوان ابن مطران الشاشي الى الصاحب استحسن منه ابياتا دون العشرة وعلم عليها ليأمر بنقلها الى سفينة كانت تجمع لـه ما تلذ به الاعين وتشتهيه الانفس فمنها قوله في الشراب المطبوخ (وراح مع بيت ثان) فكتب انه سابق الى معنى البيت الاول حتى مر على البيت الثالث لابن المعتز (من هذه الابيات ذكر ثلاثة ابيات فاكتفينا بالثالث لانه موضع الاستشهاد) فعلمت انه اخذ المعنى اللطيف منه ولا ادري هل فطن الصاحب للسرقة او لا) .

(٢٧٣) ديوان الادب مخطوط الورقة (٢٤٠ ظ) .

(٢٧٤) ريحانة الالبا (١/٨٥) . وعلق الخفاجي على ذلك بقوله : (وقال العماد : تشبيه الشيب بالغبار حسن ، وكنت اظن انه ابتكرته في قولي (ليل الشباب ...) وقوله : (كنت اظن اني ابتكرته) عجيب منه مع قول ابن المعتز (قالت كبرت) وهو مسطور في ديوانه وقد تابعه عليه كثير من الشعراء) .

وقال ابن المعتز في الديك :

صفّقَ أمّـا ارتياحـةً لسـنـا الصبحِ واماّ على الدجَى أسـفا

أخذه أبو عبدالله الحسين الكامل فقال :

والديك قـد قام لابساً حلـلاً شـمّر أذيالهـا وشـدّ قَبـا

يصيح آهـاً على الدجى أسـفاً منـه واماّ الى الضحى طربا[٢٧٥]

وقال ابن المعتز :

قم هاتِهـا حمراءَ في مُبيَّضـةٍ كالجُلنارةِ في جَنـا نَسـرينِ

أو ما رأيتَ هلالَ شهرك قد بـدا في الأُفقِ مثل شـعيرةِ السـكينِ

أخذه كشاجم فقال :

أهـلاً وسـهلاً بالهـلا ل بـدا لعينِ المبصـر

كشـعيرة من فضـةٍ قـد ركبت في خنجـر[٢٧٦]

وقال ابن المعتز :

ما راعنا تحتَ الدجَى شيءٌ سوى شبهِ النجومِ بأعينِ الرقبـاءِ

أخذه الأرجاني فقال :

ثم خـافت لمـا رأت أنجـم الليـل شـبيهات أعـين الرقبـاء[٢٧٧]

(٢٧٥) ديوان الادب الورقة (٢٤١) و .
(٢٧٦) نثار الازهار (٤٩) .
(٢٧٧) الغيث المسجم (١/٢١٠) .

وقال ابن المعتز :

وكأنّ البرقَ مصحفُ قــارٍ ... فأنطباقــاً مرةً وانفتــاحا

أخذه القلعي المغربي فقال :

والسحب تلعب بالبروق كأنهــا ... قار على عجل يقلّب مصحفــا[278]

وقال ابن المعتز :

أَمنكِ سرَى يا شِرد برقٌ كأنـهُ ... فؤادُ مَشـوقٍ مولعٌ بخفوقِ

أخذه الخالدي فقال :

وقد فضح الظلماء برق كأنــه ... فؤاد مشــوق مولـع بخفوق

وأخذه أيضا السري الرفاء فقال :

والجوّ يختال في حجب ممسّكةٍ ... كأنما البرق فيها قلب ذي رعب[279]

وقال ابن المعتز :

أما تَرى الدنيــا فداكَ الوَرى ... كهــرةٍ تــأكلُ أولادهــا[280]

وقال شوقي :

فيا لكِ هــرّة أكلتْ بنيهــا ... وما ولدوا وتنتظر الجنينــا[281]

---

(٢٧٨) معاهد التنصيص (١٩٢) .

(٢٧٩) معاهدة التنصيص ١٩٤ وانظر ديوان الادب الورقة ٩٦ر٢ .

(٢٨٠) الديوان (٢/٨٩) .

(٢٨١) الشوقيات (١/٣١٤) .

نكتفي بهذا القدر من الامثلة وبالامكان الرجوع الى المصادر المختلفة التي أشارت الى من احتذى بابن المعتز أو اخذ عنه معانيه وصوره[٢٨٢] .

(٢٨٢) يمكن الرجوع الى المصادر الآتية للوقوف على ذلك ، والجدير بالذكر اننا وقفنا على ما يربى على خمسين شاعرا واديبا ممن اقتدى بابن المعتز أو اخذ عنه .

ديوان المعاني : ٢٤٣/١ ، ٢٥٧ ، ١٥٤/٢ ، ٢٤١ . يتيمة الدهر ٤٤/١ ، ٤٨ ، ٢٨٩ ، ١٢/٢ ، ٣٧٤ ، ٣٩٣ ، ٨٩/٣ ، ٣٠٤ . ثمار القلوب ٥٩٣ . زهر الاداب ٣٢٨ ، ٧٩٦ ، ٦٣٠ ، الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة ٤١/١ ، ٤٢ ، ٤٧–٤٨ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٢٩٧ .

شرح المقامات ٩٤/١ ، معجم الادباء ١٤٣/٣ ، ١٤٤ ، ١١٥/٨–١١٦ . الحلة السيراء ٢٢٠/١–٢٢١ ، نهاية الارب (١١٧/١) ، السكردان ٢٣٥–٢٣٦ ، نزهة الانام في محاسن اهل الشام ١٣٥ ، ١٤٣ ، ١٥١ ، ١٥٢ . الغيث المسجم ٢٨/١ ، ٣٨ ، ١٢٨ ، ٢١٠ ، ٢٣٩ ، ٨٨/٢–٨٩ ، مباهج الفكر ومناهج العبر (مخطوط) ٢٦/١ظ نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ١٢٩/٥ ، ١٤٨–١٤٩ ، معاهد التنصيص : ١٨٣ ، ١٨٤–١٨٨ ، ١٩٥ ، ٢٠٠ ، ٢٤٦ ديوان الادب مخطوط الورقة ٨٦ظ ، ١١٠–١١١ ، ١١٢ ، ١١٣ ، ٢٢٤–٢٢٧ ، ٢٤٠ ، ٢٤١ ، ٣٤٨ ، ٤٢٤ ، ٤٢٦ ، ٤٣٧ . خلاصة الاثر ٨٢/٤ ، نفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة (مخطوط) ١٨ ، ٥٧ ، انوارالربيع ٢٣١/٤ ابن المعتز وتراثه في الادب ٣٢١–٣٢٧ ، ٣٤٣–٣٥٣ والجدير بالذكر ان الاستاذ خفاجي ذكر نحوا من عشرين شاعرا ممن اخذ او اقتدى بابن المعتز .

خاتمـــــة

ذكرنا في التقديم ان الرسالة تتألف من قسمين : يتناول القسم الاول منها تحقيق شعر ابن المعتز ، ويتناول القسم الثاني دراسة هذا الشعر • وذكرنا اننا اعتمدنا في التحقيق على عدد من نسخ الديوان المخطوطة والمطبوعة ، وقد وصفنا تلك النسخ وصفا شاملا • كما ذكرنا ان القسم المتعلق بالدراســـــة يتألف من ثلاثة أبواب ، ينفتح كل منها على فصلين •

وقد وقفنا من خلال عملية التحقيق والدراسة لشعر ابن المعتز على حقائق ونتائج كثيرة ، نرى أن نشير فيما يأتي الى أهمها •

ففي مجال التحقيق توصلنا الى :

١) ان هناك رواة لشعر ابن المعتز ، منهم ابن المعتز نفسه وأخوه حمزة ، واستاذه الدمشقي ، وصديقه الصولي •

٢) ان نسخ الديوان التي وقفنا عليها من رواية الصولي ، وهي مرتبة على عشرة فنون ، وليست لها مقدمة من صنع الصولي •

٣) ان هناك ما يشير الى أن حمزة الاصبهاني قد جمع ديوان ابن المعتز ورتبه على بحور العروض ، وان جمعه للديوان كان أوسع من جمع الصولي ، بدليل الاستدراكات في هوامش النسخة (ل) • والنسخة (ي) ، والتي كان الكثير منها من رواية الاصبهاني •

٤) ان شعر ابن المعتز قد تعرض خلال سفرته الطويلة الى كثير من تحريفات النساخ حتى كاد يؤول الى صورة من التشويه والمسخ تبعده كل البعد عن صورته الحقيقية ، كما أضاف اليـــه النساخ في العصور المتأخرة اضافات لم تكن في أغلبها من شعر ابن المعتز ، وكان اخطر هذه الزيادات الموشح الذي نسب الى ابن المعتز . وان أقدم مصدر أشاع هذهالنسبة هو كتاب الاعلام بأعلام بيت الله الحرام للشيخ النهروالي المتوفى ســنة ٩٩٠ هـ . وجاء هذا الموشح في النسختين : (د ، ز) وهما متقاربتان في زمن النسخ ومنحدرتان من أم واحدة ، ان لم تكن (د) مأخوذة من (ز) ، وعلى واحدة منهما اعتمدت الطبعة المصرية والبيروتية لديوان ابن المعتز ، وقد اشتملت على الموشح أيضا .

٥) ان نسخ الديوان ما عدا النسخة (ل) ، حديثة النسخ ، ويشيع فيهـــا التحريف والتصحيف .

٦) ان النسختين : (ر ، ع) تشتملان على زيادات لم ترد في نسخالديوان الاخرى ، وانما ورد شيء منها في كتاب الاوراق للصولي وفي مصــادر اخرى .

٧) ان النسخة (ل) تشتمل على استدراكات في هوامشها من رواية حمزة الاصبهاني وغيره لم ترد في بقية النسخ .

٨) ان نسخ الديوان المطبوعة في مصر وبيروت كثيرة التحريف والنحل ، وقد سقط منها شعر كثير جدا ، وهي مأخوذة من احـــدى النسختين (د) ، أو (ز) .

٩) ان شعر ابن المعتز بقي مهملا لم يحقق كله تحقيقا علميا .

١٠) ان في نسخ الديوان المخطوطة والمطبوعة شيئا من التكرار والتجزئـة للقصائد والمقطوعات في الفنون المختلفة .

١١) ان هناك شعرا كثيرا جاء في مصادر مختلفة منسوبا لابن المعتز ، ولم يرد في نسخ الديوان المخطوطة والمطبوعة •

وفي مجال الدراسة توصلنا الى :

١) ان كنية الشاعر (وهي أبو العباس) لم تكن حقيقية ، وانما كنى بها عند طفولته جريا على عادة العرب في التفاؤل بتكنية اولادهم ليعيشوا•

٢) ان ولادته كانت في سنة ٢٤٦ هـ •

٣) انه لم يعهد اليه بولاية العهد في عهد ابيه المعتز •

٤) ان أثر الفكر الفلسفي على نتاجه من الشعر قليل ، وان شيئا منه ظهر في نتاجه من النثر •

٥) ان اقباله على الشراب لم يكن من اجل اللذة وحدها ، وانما كان تخفيفا لما كان يشعر به من آلام وهموم من جراء ما أصاب اهله من كوارث ، وما حل به من شدائد •

٦) انه لم يعقب اولادا •

٧) ان اخباره التي وصلت الينا لم تكن كثيرة •

٨) ان أهم شخصية اتصل بها الشاعر في عصره هو الخليفة المعتضد ، ومن ثم كان شعره فيه يختلف عن شعره في الآخرين كماً ونوعا •

٩) ان ابن المعتز كان بعد وفاة المكتفي ، الشخصية الوحيدة التي يتطلع اليها الناس . لما كان عليه من الحنكة والدراية والاحاطة بالامور •

١٠) ان موهبته الشعرية ظهرت منذ نعومة أظفاره •

١١) انه من الشعراء المكثرين ، وان الغالب على شعره المقطوعات •

١٢) انه اكبر شاعر عباسي ظهر في العصر العباسي نافح عن العباسيين وخلافتهم •

١٣) ان غزله في المذكر والمؤنث على كثرته لا يلمح فيه صرخة الجنس وعرامة الشهوة •

١٤) ان حكمه مستقاة من تجاربه الخاصة ، ومما تلقنه في حياته من العلوم العربية الاسلامية ، ولم يكن له نهج أو فلسفة واضحة فيها ، وهذا واضح من موقفه المتناقض من المشكلة الواحدة أو الامر الواحد ، كموقفه من الدهر والرزق والمال والعقل والجهل ، وغير ذلك •

١٥) ان بدء مهاجمته للعلويين (او الطالبيين) كان بعد وفاة المعتضد واستخلاف المكتفي •

١٦) ان نظمه للمزدوجة التاريخية كان بعد وفاة المعتضد ، ولم تكن في اثناء حياته •

١٧) ان نزعة الحنين الى الوطن ظاهرة في شعره أكثر من ظهورها لدى أي شاعر آخر في عصره •

١٨) ان السهولة والوضوح وتحاشي التعقيد والالتواء هي طابع اسلوب شعره عامة •

١٩) ان اهم ما يلمح في صوره الشعرية هو التشبيه الذي جعله الشاعر وكده وغايته ، وحتى أصبحت تشبيهاته تمتاز : بالحياة والحركة وكثرة الالوان ، وانتزاعها من واقعه ، ودور الخيال في كثير منها ، ودقة الصلات بينها ، وبتآلف الغريب منها ، وهدفها الى غاية أو متعة فنية ، واقتضابها او تركيزها وحسيتها في أغلبها •

٢٠) ان اثر البحتري في ابن المعتز واضح وخاصة في التشبيه والاوصاف الحسية والبديع •

٢١) انه ابتدع عروضا جديدة من بحر المنسرح •

٢٢) ان اتهامه بالسرقة والسطو على آثار الآخرين غير صحيح ، فقد كان حين ينظر في نتاج البعض — يزيد في المعنى ، ويحسّن في اللفظ ، ويبدع في التصوير •

٢٣) ان الكثيرين ممن أعقبوا الشاعر من ادباء وشعراء قد تأثروا به ، واخذوا منه ، وساروا على نهجه وخاصة فيما يتصل بأوصافه وتشبيهاته الحسية•

٢٤) ان بعض من كتب عن ابن المعتز قد وقع في اوهام فيما يتعلق ببعض المواقع والاسماء التي جاءت في شعره •

٢٥) ان الشاعر كان منغمسا في تيارات العصر السياسية والاجتماعية والفكرية ومشاركا في الكثير منها ، بشعره وأدبه ، وان كان يجنــح أحيانا الى ملذاته وخاصة في عنفوان الشباب •

المصـــادر

أولا : المخطوطة

- الانيس الجليس في تحريم الخندريس ، لمجدالدين الفيروز ابادي ــ المجمع العلمي العراقي ــ الرقم ٤٣١/م .
- بسط الاعذار عن حب العذار ــ لمحمد بدرالدين المنهاجي الاتفهي المغربي المالكي (كان حيا سنة ٨٥٠هـ ــ ١٤٤٦م) . المجمع العلمي العراقي ٥٣٠/م .
- تباشير الشراب وتماثيل فنون الاداب ... (المعروف بفصول التماثيل) لابن المعتز . مصور في مكتبة الاستاذ هلال ناجي
- تحفة العروس ونزهة النفوس . لمحمد بن القاسم التيجاني المغربي ــ مكتبة الجوادين العامة ــ الكاظمية ــ العراق ــ رقم المخطوطة ٤٥ .
- التذكرة الحمدونية ، لمحمد بن الحسن بن حمدون ــ مكتبة الدراسات العليا ــ بغداد . الرقم ١٢٧٦ .
- ترويح المشوق في تلويح البروق ، لاحمد بن الحسن بن احمد بن المطهر ــ مكتبة المتحف العراقي ــ الرقم (١٩٠٧) أدب .
- الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور ، لابي الفتح نصرالله ابن محمد الجزري الشهير بابن الاثير ــ المجمع العلمي العراقي ــ الرقم ٩٥/م .
- جوامع اللذة ، صنعة ابى الحسن علي بن نصر الكاتب ــ المجمع العلمي العراقي رقم (٥٤٧م) ، (٥٤٨) .
- خديم الظرفا ونديم الظرفا ــ مكتبة الاوقاف العامة ــ بغداد ــ الرقم (١٢٢٨٤) .
- خلع العذار في وصف العذار لشمس الدين محمد النواجي الشافعي ــ المجمع العلمي العراقي ــ الرقم ٥٢٤/م .
- ديوان الادب في محاسن بلغاء العرب . لشهاب الدين الخفاجي المتوفي سنة ١٠٦٩هـ . مكتبة المتحف العراقي . الرقم (٥٨٥) أدب .

ـ ربيع الابرار . لابى القاسم عمر الزمخشري . مكتبة الاوقاف العامة . بغداد . برقم (٣٨٦) .
ـ روض الاداب ـ جمع أحمد بن محمد الحجازي الشافعي . مكتبة المتحف العراقي . الرقم (١٢) أدب .
ـ سلوك السنن الى وصف السكن . لابن ابى حجلة احمد بن يحيى التلمساني المتوفي سنة ٥٧٦هـ . مكتبة الدراسات العليا . بغداد الرقم (١٣٨) .
ـ الصبوح والغبوق ـ لشمس الدين محمد النواجي المتوفى سنة ٨٥٩هـ ـ ١٤٥٥م . مكتبة الدراسات الاسلامية العليا ـ بغداد الرقم (٢٤٢) .
ـ مباهج السرور في الرمى والسباق والصيد . لزين‌الدين عبدالقادر الفاكهي . المجمع العلمي العراقي . الرقم ٣٦٨/م .
ـ مباهج الفكر ومناهج العبر . لمحمد بن ابراهيم بن يحيى الوطواط . المجمع العلمي العراقي . الرقم (١٣٢) .
ـ مجموعة أدبية . مكتبة الدراسات العليا ـ بغداد . الرقم (١٠٢) .
ـ مجموعة شعرية . جمع شمس الدين محمد النواحي . مكتبة المتحف العراقي بغداد برقم (١٩٤٤) .
ـ مختارات شعرية . مكتبة الدراسات العليا ـ بغداد برقم (١٠٧٨) .
ـ معاني الشعر للاشناداني ـ المكتبة الظاهرية ـ دمشق برقم (٣٣٢٣) عام .
ـ الموشحات العراقية منذ نشأتها الى نهاية القرن التاسع عشر للدكتور رضا محسن القريشي (اطروحة ماجستير) ١٣٨٦ـ١٩٦٩ .
ـ نفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة لمحمد امين المحبى ـ مكتبة المتحف العراقي ـ بغداد برقم (٢١١٥) ادب .

ثانيا : المطبوعة :

ـ الاداب .لابن المعتز ـ تحقيق صبيح‌رديف ـ الطبعةالاولى ١٩٧٢/١٣٩٢ مطبعة الحوادث ـ بغداد .
ـ الاداب . لجعفر بن شمس الخلافة . تصحيح امين الخانجي ١٣٤٩هـ/ ١٩٣١م . مصر ـ مطبعة السعادة .
ـ الابانة عن سرقات المتنبي لابى سعد محمد العميدي ـ الطبعة الاولى القاهرة ـ ١٩٦١ .

- ابن الرومي حياته من شعره ـ لعباس محمود العقاد ـ الطبعة الرابعة القاهرة ١٩٥٧ـ١٣٧٦ .
- ابن المعتز العباسي للدكتور احمد كمال زكي ـ اعلام العرب ـ الطبعة الاولى القاهرة .
- ابن المعتز وتراثه في الادب والنقد والبيان ـ لمحمد عبد المنعم خفاجي ـ دار العهد الجديد للطباعة ـ الطبعة الثانية ١٩٥٨ .
- أبو نواس ـ لابن منظور ـ مطبعة النجدي ـ بيروت . ط (٢) .
- أحسن ما سمعت لابي منصور الثعالبي ـ تصحيح محمد افندي صادق عنبر ـ الطبعة الاولى ـ مصر ١٣٢٤هـ .
- أخبار البحتري ـ لابى بكر الصولي ـ تحقيق د. صالح الاشتر ـ الطبعة الاولى ـ دمشق ١٣٧٨هـ ـ ١٩٥٨م .
- اخبار ابى تمام ـ لابى بكر الصولي ـ الطبعة الاولى ١٣٥٦ـ١٩٣٧ ـ مطبعة لجنة التأليف والنشر ـ القاهرة .
- أدب الدنيا والدين ـ لابى الحسن الماوردي ـ الطبعة السادسة عشرة بالمطبعة الاميرية بالقاهرة ١٣٤٤ـ١٩٢٥ .
- ادب الكتاب ـ لابى بكر الصولي ـ تحقيق محمد بهجة الاثري ـ مصر ـ المطبعة السلفية القاهرة ١٣٤١ .
- اربع رسائل منتخبة من مؤلفات الثعالبي ـ الطبعة الاولى ـ الجوائب ١٣٠١ .
- ازهار الرياض في اخبار عياض ـ لابى شهاب المقرى التلمساني ـ مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٣٦١هـ ـ ١٩٤٢م .
- اسرار البلاغة لعبدالقاهر الجرجاني ـ تحقيق احمد مصطفى المراغي ـ مطبعة الاستقامة ـ مصر .
- الاسلوب ـ لاحمد الشايب ـ الطبعة السادسة القاهرة ١٩٦٦ .
- أشعار اولاد الخلفاء واخبارهم من كتاب الاوراق لابى بكر الصولي لناشره ج . هيورث . دن ١٣٥٥ـ١٩٣٦ ـ مطبعة الصاوي ـ مصر .
- اصول النقد الادبي لاحمد الشايب ـ الطبعة الثانية ـ مصر ـ القاهرة .
- الاعلام ـ لخيرالدين الزركلي ـ الطبعة الثانية ـ بيروت ١٩٤٢ .
- الاعلام باعلام بيت الله الحرام ـ للرحالة قطبالدين الحنفي ـ المطبعة العثمانية ١٣٠٣هـ .
- الاغاني لابى الفرج الاصفهاني ـ طبعة الساسى ـ ومصور دار الكتب .

- الاقناع في العروض وتخريج القوافي ــ للصاحب بن عباد ــ تحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين ــ الطبعة الاولى مطبعة المعارف ــ بغداد ١٣٧٩هـ ــ ١٩٦٠م .
- الف ليلة وليلة ــ مصر .
- الالفاظ الفارسية المعربة لادى شير ــ المطبعة الكاثوليكية للاباء اليسوعيين في بيروت ١٩٠٨ .
- الامالي ــ لابى علي القالي ــ المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع ــ بيروت .
- أمالي الزجاجي ــ تحقيق عبدالسلام هارون ــ القاهرة ١٣٨٢هـ ــ الاولى .
- امراء البيان ــ لمحمد كرد علي ــ الطبعة الثانية ــ بيروت ١٣٨٨هـ ــ ١٩٦٩م .
- انباه الرواة على انباه النحاة ــ لجمال الدين القفطي ــ تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ــ مطبعة دار الكتب ١٣٦٩هـ ــ ١٩٥٠م .
- انوار الربيع في انواع البديع ــ لابن معصوم ــ حققه شاكر هادي شكر ــ مطبعة النعمان ــ النجف ١٣٨٩ــ١٩٦٣ .
- الايضاح في المعاني والبيان والبديع ــ للخطيب القزويني ــ الطبعة الثانية ــ القاهرة .
- البحتري في سامراء حتى نهاية عصر المتوكل ــ ليونس احمد السامرائي ــ مطبعة الارشاد ــ بغداد ١٩٧٠ .
- البحتري في سامراء بعد عصر المتوكل ــ ليونس احمد السامرائي ــ مطبعة الارشاد ــ بغداد ١٩٧١ .
- البخلاء للخطيب البغدادي ــ تحقيق د. احمد مطلوب ــ الطبعة الاولى ــ بغداد ١٣٨٤ــ١٩٦٤ .
- بدائع البدائة لعلي بن ظافر الازدي ــ تحقيق : محمد ابو الفضل ابراهيم ــ مكتبة الانجلو المصرية ــ القاهرة ١٩٧٠ .
- البديع لابن المعتز ــ نشر اغناطيوس كراتشتوفسكي ــ مطبوع بالاوفست ــ مكتبة المثنى ــ بغداد .
- البديع في نقد الشعر ــ لاسامة بن منقذ ــ تحقيق د . احمد احمد بدوي ، د . حامد عبدالمجيد ــ وزارة الثقافة والارشاد القومي في الجمهورية العربية المتحدة ــ القاهرة ١٣٨٠ ــ ١٩٦٠ .

- البصائر والذخائر – لابى حيان التوحيدي – تحقيق د. ابراهيم الكيلاني دمشـــق ١٩٦٤ .
- البصائر والذخائر لابى حيان التوحيدي – حققه وعلق عليه احمد امين، والسيد احمد صقر – الطبعة الاولى – القاهرة ١٣٧٣–١٩٥٣
- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة – للسيوطي – تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم – مطبعة عيسى البابي الحلبي ١٣٨٤–١٩٦٤.
- بكاء الناس على الشباب وجزعهم من الشيب – تصنيف ابن الجوزي – تحقيق وتقديم : هلال ناجي – مجلة المورد – المجلد الثاني – العدد الثالث ١٣٩٣–١٩٧٣ – بغداد .
- البلدان – لاحمد بن ابى واضح اليعقوبي – منشورات المطبعة الحيدرية النجـف .
- بهجة المجالس وانس المجالس – لابن عبدالبر القرطبي – القســم الاول تحقيق محمد مرسى الخولي – الطبعة الاولى – الدار المصرية للتأليف والترجمة – القاهرة .
- البيزة – ليازيار العزيز بالله الفاطمي ابى عبدالله الحسن بن الحسين – نظر فيه وعلق عليه محمد كرد علي ١٣٧٢–١٩٥٣ .
- تاج العروس على جواهر القاموس الزبيدي – طبعة الكويت .
- تاريخ آداب اللغة العربية لجرجي زيدان – طبعة ١٩٥٧ .
- تاريخ الادب العربي – لكارح بروكلمان – ترجمة د. عبدالحليم النجـار القاهرة ١٩٦١ .
- تاريخ الادب العربي – لاحمد حسن الزيات – الطبعة الخامسة والعشرون القـاهرة .
- تاريخ بغداد – للخطيب البغدادي – دار الكتاب العربي – بيروت .
- تاريخ الخلفاء – لجلال‌الدين السيوطي – تحقيق : محمد محيى‌الديـن عبـدالحميد – الطبعة الثانيـة ١٣٧٨هـ – ١٩٥٩م مطبعـة السعادة بمصر .
- تاريخ الخميس – للشيخ حسين محمد الدياربكري – المطبعـة الوهبية – بمصر ١٢٨٣هـ .
- تاريخ الشعر السياسى لاحمد الشايب – الطبعة الرابعـة – القـــاهرة ١٩٦٦ .
- تاريخ الشعر العربي حتى اخر القرن الثالث الهجري د. نجيب محمـد البهبيتي – القاهرة ١٣٨١هـ – ١٩٦١م .

- تاريخ الطبري (تاريخ الرسل والملوك) للطبري ــ تحقيق محمد ابــو الفضل ابراهيم ــ دار المعارف المصرية .
- تاريخ الموسيقى العربية ــ لهنري جورج فارمر ــ ترجمة د. حسـين نصار ــ الطبعة الاولى ــ القاهرة ١٩٥٦ .
- تاريخ الوزراء أو تحفة الامراء في تاريخ الوزراء ــ لابى الحسن الهـلال ابن المحسن الصابي ــ تحقيق ــ عبدالستار احمد فـراج ــ دار احياء الكتب العربية ١٩٥٨ .
- تتمة اليتيمة لابى منصور الثعالبي ــ عنى بنشره عباس اقبال ــ طهران سنة ١٣٥٣هـ .
- تجارب الامم ــ لمسكويه ــ تحقيق هـ . ف . آمدروز ــ مصر ١٣٣٢هـ ــ ١٩١٤م .
- التحف والهدايا ــ لابى بكر محمد وابى عثمان سعيد ابنى هاشم الخالديين دار المعارف ــ مصر ــ تحقيق د. سامي الدهان ١٩٥٦ .
- التحفة البهية والطرفة الشـهية ــ مطبعـة الجوائـب ــ القسطنطينيـة ١٣٠٢هـ .
- تحفة الخليـل في العروض والقـوافي ــ تحقيـق عبدالحميـد الراضي ــ بغـداد ١٩٧٢ .
- تحفة الناصرية في فنـون الادب ــ لناصرالديـن شـاه ــ دار الخلافـة ١٢٧٨هـ .
- تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان اعجاز القرآن ــ لابن ابـي الاصبغ المصري ــ تقديم وتحقيق د. حنفي محمد شـرف ــ القاهرة ١٣٨٣هـ .
- تزيين الاسواق بتفصيل اشواق العشـاق ــ لداود الانطاكي ــ مصـر ١٣٠٥هـ .
- التشبيهات لابن ابى عون . تحقيق محمد عبد المعيد خان ــ الطبعة الاولى ــ مطبعة كمبردج ١٣٦٩ـ١٩٥٠ .
- تفريج المهج بتلويح الفرج ــ مطبوع فيه
  ١ ــ حل العقال لابن قضيب البان .
  ٢ ــ الارج في الفرج للسيوطي .
- تمام المتون في شرح رسالة ابن زيدون ــ للخليـل الصـفدي ــ الطبعـة الاولى ــ القاهرة ١٣٨٩هـ ــ ١٩٦٩ .

- التمثيل والمحاضرة للثعالبي . تحقيق عبدالفتاح الحلـــو ١٣٨١ـ١٩٦١ القـــاهرة .
- التنبيه والاشراف للمسعود ـ تحقيق عبدالله الصاوي ـ مطبعة الشرق الاسلامية ـ القاهرة ١٣٥٧ـ١٩٣٨ .
- ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ـ للثعالبي ـ تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ـ مصر ١٣٨٤ـ١٩٦٥ .
- ثمرات الاوراق في المحاضرات ـ لابن حجة الحموي ـ مطبعة الاستقـــامة ـ القاهرة .
- الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور ـ لضياءالدين بــن الاثير ـ تحقيق د. مصطفى جواد ، د. جميل سعيد ـ مطبعة المجمع العلمي العراقي ١٩٥٦م ـ ١٣٥٧هـ .
- الجمان في تشبيهات القرآن ـ لابن ناقيا البغدادي ـ تحقيق د. احمــد مطلوب ، د. خديجة الحديثي ـدار الجمهوريــة ـ بغـــداد ١٣٨٧ـ١٩٦٨ .
- الجماهر في معرفة الجواهر ـ لابى الريحان البيروتي ـ الطبعة الاولى في مطبعة جمعية دائرة المعـــارف العثمانية بحيدر آباد الدكــن ١٣٥٥هـ .
- جمع الجواهر في الملح والنوادر ـ لابى اســـحاق الحصري القيرواني ـ تحقيق علي محمد البجاوي ـ الطبعة الاولى ـ القاهرة ١٣٧٢ ـ١٩٥٣ .
- جمهرة انساب العرب ـ لابن حزم الاندلسي ـ تحقيق عبدالسلام محمــد هارون ـ دار المعارف بمصر ١٣٨٢ـ١٩٦٢ .
- جيش التوشيح ـ للسان الدين بن الخطيب ـ تحقيق هـــلال ناجي ـ الطبعة الاولى ـ تونس ـ مطبعة المنار ١٩٦٧ .
- حدائق السحر في دقائـــق الشعر ـ لرشـيدالدين العمـري المعروف بالوطواط ـ نقله الى العربية الدكتور ابراهيم امين الشواربي ـ القاهرة ١٣٦٤ـ١٩٤٥ .
- حديقة الافراح لازاحة الاتراح لاحمد بن محمد الانصاري الشرواني .
- حسن المحاضرة في اخبار مصر والقاهرة ـ للسيوطي ـ مطبعة دار الوطن ـ مصر ١٢٩٩ .
- الحضارة الاسلامية في القرن الرابـــع الهجري ـ لادم ميتز ـ ترجمـة عبدالهادي ابو ريدة ـ الطبعة الثالثة ـ مطبعة لجنة التـأليف والترجمة والنشر ١٣٧٧ـ١٩٥٧ .

- حلية الكميت ـ لشمس‌الدين محمد النواجي ـ مصر ١٣٥٧هـ ـ ١٩٣٨.
- الحلة السيراء لابن الابار ـ تحقيق د . حسين مؤنس ١٩٦٣ .
- حلية الفرسان وشعار الشجعان لعلي بن عبدالرحمن بن هذيل الاندلسي تحقيق وتعليق محمد عبدالغني حسن ـ دار المعارف بمصر ١٩٥١ .
- حماسة ابن الشري ـ لابى السعادات ابن الشجري ـ مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيد آباد الدكن ١٣٤٥هـ .
- حماسة الظرفاء للعبد لكاني الزوزني ـ تحقيق : محمد جبار المعيبد ـ وزارة الاعلام العراقية ١٩٧٣ .
- حياة الحيوان الكبرى ـ لكمال‌الدين الدميري ـ الطبعة الثانية بالمطبعة الشرقية ١٣١٣هـ .
- خاص الخاص ـ لابى منصور الثعالبي ـ دار مكتبة الحياة ـ بيروت ١٩٦٦ .
- خزانة الادب لابن حجة الحموي ـ بيروت .
- خزانة الادب ـ لعبدالقادر البغدادي ـ الطبعة الاولى بالمطبعة الميرية ببولاق .
- خلاصة الاثر في اعيان القرن الحادي عشر ـ للمحبي ـ بيروت .
- خلاصة الذهب المسبوك ـ مختصر من سير الملوك ـ لعبدالرحمن الاربلي ١٨٨٥ .
- الايجاز والاعجاز للثعالبي ـ الطبعة الثانية ـ دار الكتب العلمية ـ النجف
- دائرة المعارف الاسلامية ـ طبعة سنة ١٣٥٢ـ١٩٣٣ .
- دائرة المعارف للبستاني ـ بيروت ١٩٦٢ .
- دار الطراز في عمل الموشحات لابن سناء الملك ، تحقيق : د . جودة الركابي ـ الطبعة الاولى ـ دمشق ١٣٦٨هـ ـ ١٩٤٩م .
- دلائل الاعجاز لعبدالقاهر الجرجاني ـ الطبعة الثانية ـ القاهرة ١٣٨١هـ ١٩٦١م .
- ديوان ابن حمديس ـ طبع في رومية الكبرى سنة ١٨٩٧م
- ديوان ابن الرومي ، اختيار وتصنيف كامل كيلاني ـ مطبعة التوفيق الادبية ديوان ابن الرومي ، شرح محمد شريف سليم ـ دار احياء التراث العربي ـ بيروت ـ ديوان ابن الرومي ، تحقيق د . حسين نصار ـ القاهرة ١٩٧٣ .
- ديوان ابن هانيء الاندلسي ـ المطبعة الميرية المصرية ١٢٧٤هـ .

- ديوان أبى تمام ـ طبعة بيروت ١٨٨٩ ـ المطبعة الادبية .
- ديوان ابى تمام ـ بشرح الخطيب التبريزي ، تحقيق د . محمد عبدة عزام ـ دار المعارف ـ بمصر .
- ديوان أبي الطيب المتنبي ـ بشرح العكبري ـ تحقيق مصطفى السقا وجماعته ـ الطبعة الاولى ـ القاهرة ١٣٥٥ـ١٩٣٦ .
- ديوان ابي فراس الحمداني ـ عنى بجمعه ونشره وتعليق حواشيه د. سامي الدهان ـ بيروت ١٣٦٣هـ ـ ١٩٤٤م .
- ديوان ابى نواس ـ حققه احمد عبد المجيد الغزالي ـ الناشر : دار الكتاب العربي ـ بيروت ـ لبنان .
- ديوان ابي نواس ـ طبع على نفقة اسكندر آصاف ـ بشرح محمود واصف ـ الطبعة الاولى ـ بمصر ١٨٩٨ .
- ديوان اسحاق الموصلي ـ دراسة وتحقيق ـ صنعة ماجد احمد العزي ـ مطبعة الايمان ـ بغداد ١٩٧٠ .
- ديوان بشار بن برد لناشره محمد الظاهر بن عاشور ـ القاهرة ١٣٦٩ـ ١٩٥٠ مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر .
- ديوان البحتري عنى بتحقيقه وشرحه حسن كامل الصيرفي ـ دار المعارف بمصر ١٩٦٣ .
- ديوان البستي ـ مطبعة جمعية الفنون ـ بيروت ١٢٩٤هـ .
- ديوان تميم بن المعز الفاطمي . تحقيق محمد حسن الاعظمي ـ بيروت ١٩٧٠ .
- ديوان الحماسة لابي تمام مختصر من شرح التبريزي ـ الطبعة الثانية بمصر .
- ديوان ديك الجن ـ حققه واعد تكملته د. احمد مطلوب وعبدالله الجبوري . نشر وتوزيع دار الثقافة ببيروت ـ لبنان .
- ديوان السرى الرفاء ـ نشر مكتبة القدسى ـ القاهرة ـ ١٣٥٥هـ .
- ديوان الشافعي ، جمعه وحققه زهدي يكن ـ دار الثقافة بيروت ١٩٦٢.
- ديوان الشريف الرضى ـ المطبعة الادبية ـ بيروت ١٣٠٧ .
- ديوان الشعر العربي اختاره وقدم له علي احمد سعيد (أودنيس) منشورات المكتبة العصرية بصيدا ـ بيروت ـ الطبعة الاولى ١٩٦٤ .
- ديوان الصبابة لشهاب الدين بن ابي حجلة المغربي ، وهو مطبوع على هامش تزيين الاسواق ـ مصر ١٣٠٥هـ .

- ديوان الصنوبري ــ من حرف الراء حتى حرف القاف . حققه د. احسان عباس . دار الثقافة ، بيروت ١٩٧٠ .
- ديوان علي بن الجهم . تحقيق خليل مردم . طبعة ثانية ، لجنة التراث العربي ــ بيروت .
- ديوان كشاجم . تحقيق خيرية محمد محفوظ ــ مطبعة دار الجمهورية ــ بغداد ١٣٩٢ــ١٩٧٠ .
- ديوان محمد بن عبدالملك الزيات ــ نشره وقدم له د. جميل سعيد ــ مطبعة مصر بالفجالة .
- ديوان محمود بن حسن الوراق . جمع وتحقيق عدنان راغب العبيدي ــ بغداد ١٩٦٩ ــ مطبعة دار البصري .
- ديوان المعاني لابي هلال العسكري ــ بيروت ١٣٥٢ .
- الديارات للشابشتي ، تحقيق كوركيس عواد ــ الطبعة الثانية ــ بغداد ١٩٦٦ــ١٣٨٦ .
- الذخائر والاعلاق في آداب النفوس ومكارم الاخلاق ــ لابى الحسن ابن سلام الباهلي ــ المطبعة الوهبية ١٢٩٨هـ .
- الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة . لابن بسام الشنتريني ــ مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٣٦٤ــ١٩٤٥ .
- ذم الهوى لابى الفرج ابن الجوزي ــ تحقيق مصطفى عبدالواحد ــ الطبعة الاولى ١٣٨١هـ ــ ١٩٦٢م .
- ذيل الامالي والنوادر ــ لابى علي القالي ــ المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع ــ بيروت .
- ذيل نفح الريحانة للمحبى ــ تحقيق عبدالفتاح محمد الحلو ــ عيسى البابلي الحلبي وشركات ــ الطبعة الاولى ١٣٩١هـ ــ ١٩٧١م.
- رسائل الانتقاد الادبي شرف القيرواني ــ تحقيق حسن حسني عبدالوهاب التونسي ــ مطبعة القبسي ــ دمشق ١٣٢٩ــ١٩١١
- رسائل الثعالبي او نثر النظم وحل العقد للثعالبي ــ بيروت .
- رسائل سعيد بن حميد واشعاره ليونس احمد السامرائي ــ مطبعة الارشاد ــ بغداد ١٩٧١ .
- رسالة الطيف لبهاءالدين الاربلي ــ تحقيق عبدالله الجبوري ــ بغداد ١٣٨٨هـ ــ ١٩٦٨م .
- رسالة الغفران لابى علاء المعري ــ تحقيق وشرح الدكتورة بنت الشاطىء ــ دار المعارف بمصر ١٩٥٠ .

- روض الاخبار المنتخب من ربيع الابرار للشيخ محمد بن قاسم بن يعقوب .
- روضات الجنات للخونساري طبعة حجر .
- روضة العقلاء ونزهة الفضلاء لابى محمد البستي ـ الطبعة الاولى ١٣٢٨هـ مطبعة (كردستان العلمية) القاهرة .
- روضة المحبين ونزهة المشتاقين ـ لابن قيم الجوزية تصحيح أحمد عبيد المكتبة العربية ـ دمشق .
- ريحانة الالبا للخفاجي ـ الطبعة الاولى ـ القاهرة ١٣٨٦ـ١٩٦٧ .
- زهر الاداب وثمر الالباب . للحصري ـ تحقيق الدكتور زكي مبارك ـ الطبعة الثانية ١٣٧٢هـ ـ ١٩٥٣ ـ مطبعة السعادة .
- الزهرة لابى بكر محمد بن سليمان الاصفهاني ـ نشر د. لويس نيكل ـ مطبعة الاباء اليوسعيين ـ بيروت ١٩٣٢ .
- سامراء في أدب القرن الثالث الهجري ليونس احمد السامرائي ـ مطبعة الارشاد ـ بغداد ١٩٦٨ .
- سراج الملوك للطرشوشي ـ الطبعة الاولى ـ مصر ١٣١٩هـ .
- سفينة الملك للسيد محمد بن اسماعيل بن عمر .
- السكردان ـ لابن حجلة .
- سلوة الحريف بمناظرة الربيع والخريف للجاحظ وهو مطبوع مع مسامرة الضيف .
- سمط اللآلى لابى عبيد البكري ـ تحقيق عبدالعزيز الميمنى ـ الطبعة الاولى ـ القاهرة ١٣٥٤هـ ـ ١٩٣٦م .
- سمط النجوم العوالي في انباء الاوائل والتوالي ـ للعصامي المكي ـ المطبعة السلفية .
- شرح ابن عقيل علي الفية بن مالك ـ تحقيق محمد محيىالدين عبدالحميد ـ الطبعة السادسة ـ القاهرة ١٣٧٠ـ١٩٥١ .
- شرح ديوان صريع الغواني مسلم بن الوليد ـ تحقيق د. سامي الدهان ـ دار المعارف بمصر .
- شرح ديوان المتنبي ـ تحقيق : عبدالرحمن البرقوقي ـ الناشر ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت ـ لبنان .
- شرح شواهد التلخيص المسمى معاهد التنصيص للعباسي .
- شرح المعلقات السبع للزوزني ـ القاهرة ـ مطبعة حجازي .

- شرح مقامات الحريري للشريشي ـ تحقيق محمد عبدالمنعم خفاجي ـ الطبعة الاولى ١٣٧٢-١٩٥٢ القاهرة .
- شرح المقامات ـ طبعة القاهرة ١٣٠٦هـ ـ المطبعة الجمالية .
- شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد ـ الطبعة الاولى ـ تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ـ عيسى الحلبي ـ ١٣٧٩ ـ ١٩٥٩ .
- شعر الخباز البلدي . جمع وتحقيق . صبيح رديف (٣٠٥) بغداد ١٩٧٣م ـ ١٣٩٣هـ .
- شعر ابن ميادة ـ جمع وتحقيق : محمد نايف الدليمي ـ مطبعة الجمهورية ـ الموصل .
- شعر دعبل بن علي الخزاعي ـ صنعة د. عبدالكريم الاشتر ـ دمشق.
- شعر السلامي ـ جمع وتحقيق : صبيح رديف ـ مطبعة الايمان ـ بغداد ١٩٧١
- شعر الطبيعة في الادب العربي ـ د. سيد نوفل ـ الطبعةالاولى ـ القاهرة ١٩٤٥ .
- شعر عبدالصمد بن المعذل ـ حققه زهير غازي زاهد ـ مطبعة النعمان ـ النجف ١٣٩٠هـ ـ ١٩٧٠م .
- شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل ـ لشهاب‌الدين الخفاجي. تحقيق محمد عبدالمنعم خفاجي ـ القاهرة ـ الطبعة الاولى ١٣٧١هـ ـ ١٩٥٢م .
- الشهاب في الشيب والشباب ـ للشريف المرتضى ـ الطبعة الاولى ـ مطبعة الجوائب ـ قسطنطينية ١٣٠٢ .
- الصناعتين لابى هلال العسكري ـ القاهرة ١٩٧١ .
- صبح الاعشى في صناعة الانشا لابى العباس القلقشندي ـ مصور ـ طبعة دار الكتب ـ القاهرة .
- الصبح المنبي عن حيثية المتنبي ليوسف البديعي ـ الطبعة الاولى ـ القاهرة ١٩٦٣ .
- الصبغ البديعي د. احمد ابراهيم موسى ـ الطبعة الاولى ـ القاهرة ١٣٨٨-١٩٦٩ .
- صهاريج اللؤلؤ لمحمد توفيق البكري ـ شرح الشنقيطي ـ مطبعة الهلال مصر ١٩٠٦م .
- صيد الخاطر لابن الجوزي ـ تحقيق محمد الغزالي ـ مصر .
- الضرائر وما يسوغ للشاعر دون الناثر لمحمود شكري الالوسى ـ مكتبة دار البيان ـ بغداد ـ دار صعب ـ بيروت .

- الطبع والصنعة في الشعر لمحمد الههباوي ١٣٥٨هـ مكتبة النهضة المصرية .
- طبقات الشافعية الكبرى للسبكي ـ الطبعة الاولى ـ المطبعة الحسينية ـ القاهرة .
- طبقات فحول الشعراء لابن سلام ـ دار المعارف بمصر .
- الطرائف الادبية ـ تحقيق عبدالعزيز الميمنى ـ مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ـ القاهرة ١٩٣٧ .
- طراز المجالس لشهاب‌الدين الخفاجي ـ المطبعة الوهبية ١٢٨٤هـ .
- الطراز الموشى في صناعة الانشا ـ للشيخ محمد النجار ـ مصر ١٨٩٤م.
- طيف الخيال للشريف المرتضى حققه الدكتور صلاح خالص ١٩٥٧ مطبعة دار المعرفة ـ بغداد .
- طيف الخيال للشريف المرتضى ـ تحقيق حسن كامل الصيرفي ـ الطبعة الاولى ـ بيروت ١٩٥١ .
- عبدالله بن المعتز العباسي ـ للدكتور محمد عبدالعزيز الكفراوي ـ الطبعة الاولى ـ القاهرة ١٩٥٧ .
- العبر في خبر من عبر للذهبي ـ تحقيق فؤاد سيد ـ الكويت ١٩٦١ .
- العصر العباسي الثاني ـ للدكتور شوقي ضيف ـ دار المعارف بمصر ١٩٧٣ .
- العقد الفريد لابن عبد ربه ـ مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ـ ١٣٧٥ـ١٩٦٥ ـ بيروت (اوفست) .
- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده لابن رشيق القيرواني ـ تحقيق محمد محيى‌الدين عبدالحميد ـ الطبعة الثانية ـ ١٣٨٣ ـ ١٩٦٣ ـ مطبعة السعادة ـ مصر .
- عيون الانباء في طبقات الاطباء لابن ابى اصيبعة ـ الطبعة الاولى بالمطبعة الوهبية سنة ١٢٩٩هـ ـ ١٨٨٣م .
- غرر الخصائص الواضحة لابراهيم بن يحيى المعروف بالوطواط ـ القاهرة
- الغيث المسجم في شرح لامية العجم لصلاح‌الدين الصفدي ـ الطبعة الاولى بالمطبعة الازهرية المصرية ١٣٠٥هـ .
- فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء لابن عرب شاه الحنفي ـ الموصل ـ دير الدومنكيين ١٨٦٩م .

- الفخري في الاداب السلطانية والدول الاسلامية لابن الطقطقي ـ دار صادر ـ بيروت ١٣٨٦هـ ـ ١٩٦٦م .
- الفرج بعد الشدة للتنوخي ـ الطبعة الاولى ـ القاهرة ١٣٧٥ ـ ١٩٥٥.
- فصول التماثيل في تباشير السرور لابن المعتز ـ الطبعة الاولى سنة ١٣٤٤هـ ـ ١٩٢٥م ـ المطبعة العربية بمصر .
- فقه اللغة وسر العربية للثعالبي ـ مصر ١٣٥٤هـ ـ ١٩٣٦م .
- فن التقطيع الشعري والقافية د. صفاء خلوصي ـ الطبعة الثالثة ـ بيروت ١٩٦٦ .
- الفن ومذاهبه في الشعر العربي د . شوقي ضيف ـ الطبعة الثالثة بيروت ١٩٥٦ .
- الفهرست لابن النديم ـ مطبعة الاستقامة بالقاهرة .
- فوات الوفيات لابن شاكر الكتبي ـ تحقيق محمد محيي‌الدين عبدالحميد الطبعة الاولى ـ القاهرة ـ مطبعة السعادة ١٩٥١م .
- فيض الخاطر لاحمد امين ـ الطبعة الثانية ـ القاهرة ١٩٤٢ .
- في الادب العباسي د. محمد مهدي البصير ـ بغداد ١٩٥٥ .
- في الادب الاندلسي ـ د. جودت الركابي ـ دار المعارف ـ بمصر ١٩٦٠.
- القاموس المحيط ـ للفيروزابادي ـ الطبعة الرابعة ـ مطبعة دار المعلمين ١٣٥٧هـ ـ ١٩٣٨م .
- قراضة الذهب لابن رشيق القيرواني ـ مكتبة الخانجي ـ مصر ـ الطبعة الاولى ـ ١٢٤٤هـ ـ ١٩٢٦م .
- قطب السرور في اوصاف الخمور لابى اسحاق الرقيق النديم ـ دمشق ـ الطبعة الاولى ١٣٨٩هـ ـ ١٩٦٩م .
- الكامل في التاريخ لابن الاثير ـ الطبعة الاوربية .
- الكشف عن مساوىء شعر المتنبي للصاحب بن عباد ـ الطبعة الاولى ـ بغداد ١٣٨٥هـ ـ ١٩٦٥م .
- الكشكول لبهاءالدين العاملي ـ تحقيق طاهر احمد الزاوي ـ دار احياء الكتب العربية ـ البابي الحلبي ـ القاهرة ١٣٨٠هـ ـ ١٩٦١م
- لباب الاداب لاسامة بن منقذ ـ تحقيق احمد محمد شاكر ـ القاهرة ١٣٥٤هـ ـ ١٩٣٥م .
- لسان العرب لابن منظور ـ طبعة مصورة عن طبعة بولاق ـ المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر .

- لطائف المعارف للثعالبي ــ تحقيق ابراهيم الابياري وحسن كامل الصيرفي ــ عيسى البابي ــ دار احياء الكتب العربية .
- اللطائف والظرائف (للثعالبي) جمع ابى نصر المقدسي ــ المطبعة العامرة الشرقية .
- المثل السائر في ادب الكاتب والشاعر ــ لضياءالدين بن الاثير ــ الطبعة الاولى ــ القاهرة ١٣٧٩هـ ــ ١٩٥٩م .
- مجمع الامثال للميداني ــ حققه محمد محيىالدين عبدالحميد ــ الطبعة الثانية ١٣٧٩هـ ــ ١٩٥٩م ــ مطبعة السعادة بمصر .
- مجلة الرسالة لاحمد حسن الزيات ــ السنة العاشرة ــ العدد ٤٥٩ ، القاهرة ١٣٦١هـ ــ ١٩٤٢م .
- مجموعة المعاني ــ مجهول المؤلف ــ الطبعة الاولى ــ الجوائب ــ القسطنطينية (١٣٠١) .
- محاسن اصفهان لفضل بن سعد الاصفهاني ــ تصحيح جلالالدين الحسيني الطهراني ــ طهران .
- المحاسن والاضداد المنسوب للجاحظ ــ الشركة اللبنانية للكتاب ، بيروت .
- المحاسن والمساوى لابراهيم بن محمد البيهقي ــ بيروت ١٣٨٠هـ ــ ١٩٦٠م .
- محاضرات الادباء للراغب الاصبهاني ــ بيروت ١٩٦١ .
- محاضرة الابرار ومسامرة الاخيار ــ لمحيىالدين بن عربي ــ دار اليقظة العربية ١٣٨٨هـ ــ ١٩٦٨م .
- محاضرات تاريخ الامم الاسلامية (الدولة العباسية) لمحمد الخضري الطبعة الثالثة ــ دار احياء الكتب العربية ــ مصر ١٣٤٩هـ ــ ١٩٣٠م .
- مختار الحكم ومحاسن الكلم لابى الوفاء المبشر بن فاتك ــ تحقيق د . عبدالرحمن بدوي ــ الطبعة الاولى ــ مدريد ١٩٥٨م .
- مختارات البارودي لمحمود سامي البارودي ــ دار العلم للجميع ــ بيروت .
- المختار من شعر بشار اختيار للخالديين ــ تحقيق محمد بدرالدين العلوي ــ القاهرة ــ لجنة التأليف والترجمة والنشر .
- المختار من صحاح اللغة ــ الطبعة الثالثة ــ مطبعة الاستقامة ــ القاهرة.

- المدهش لابن الجوزي ـ الطبعة الاولى ـ تصحيح الشيخ محمد السماوي ـ مطبعة الاداب ـ بغداد ١٣٤٨هـ .
- مرآة الجنان وعبرة اليقظان لليافعي ـ الطبعة الثانية ـ بيروت ١٣٩٠هـ ـ ١٩٧٠م .
- مرآة المروات للثعالبي ـ مطبعة الترقي ـ مصر ١٨٩٨ .
- مراصد الاطلاع لابن عبدالحق ـ تحقيق علي محمد البجاوي ـ القاهرة ـ الطبعة الاولى ١٣٧٣هـ ـ ١٩٥٤م .
- المرشد الى فهم اشعار العرب وصناعتها للدكتور عبدالله الطيب المجذوب ـ الطبعة الاولى ـ القاهرة ١٣٧٤هـ ـ ١٩٥٥ م
- مروج الذهب ومعادن الجوهر للمسعودي ـ دار الاندلس ـ بيروت ١٣٨٥هـ ـ ١٩٦٦م .
- مروج الذهب للمسعودي ـ مصر سنة ١٠٨٣هـ .
- مسالك الابصار في ممالك الامصار لابن فضل الله العمري ـ تحقيق احمد زكي ـ مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة ١٣٤٢هـ ـ ١٩٢٤م .
- مسامرة الضيف بمفاخرة الشتاء والصيف ـ لابى بكر ابن محمد خوقير المكي .
- المستطرف في كل فن مستظرف للايشيهي ـ مطبعة الاستقامة بالقاهرة.
- مصارع العشاق لابى محمد جعفر السراج ـ بيروت .
- المصايد والمطارد لكشاجم ـ تحقيق د. اسعد اطلس ـ بغداد ١٩٥٨ .
- المصون في الادب ـ لابى احمد الحسن العسكري ـ تحقيق عبدالسلام هارون ـ الكويت ١٩٦٠ .
- مطالع البدور في منازل السرور للغزولي ـ طبع بمطبعة ادارة الوطن ـ الطبعة الاولى ١٢٩٩هـ .
- المطرب من اشعار اهل المغرب لابن دحية ـ تحقيق ابراهيم الابياري ـ وجماعته ببيروت .
- معجم الادباء لياقوت الحصري ـ تحقيق د. احمدفريد رفاعي ـ مطبوعات دار المأمون ـ القاهرة .
- معجم البلدان لياقوت الحموي ـ الطبعة الاولى ١٣٢٤هـ ـ ١٩٠٦م ـ مطبعة السعادة بمصر .
- معجم البلدان لياقوت الحموي ـ بيروت ١٣٧٥هـ ـ ١٩٥٦م .

- معجم الشعراء للمرزباني – تحقيق عبد الستار احمد فراج – دار احياء الكتب العربية ١٣٧٩هـ – ١٩٦٠ .
- معجم الشعراء للمرزباني – تصحيح د. ف . كرنكو . مصر – مكتبة القدس ١٣٥٤هـ .
- معجم ما استعجم لابى عبيد البكري – تحقيق مصطفى السقا – القاهرة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٣٦٦هـ – ١٩٤٧م .
- المعرب من الكلام الاعجمي على حروف المعجم للجواليقي – تحقيق احمد محمد شاكر – الطبعة الثانية – مطبعة دار الكتب ١٣٨٩هـ – ١٩٦٩م .
- المعلقات العشر واخبار شعرائها – تصحيح احمد الشنقيطي ١٣٥٣هـ مصر – مطبعة الاستقامة .
- المغرب في حلى المغرب – حققه وعلق عليه د . شوقي ضيف – طبعة ثانية . دار المعارف بمصر ١٩٦٤ .
- مغنى اللبيب عن كتب الاعاريب لابن هشام الانصاري – حققه محمد محيىالدين عبدالحميد .
- مقاتل الطالبيين لابى الفرج الاصفهاني – تحقيق السيد احمد صقر القاهرة ١٣٦٨هـ – ١٩٤٩م طبع بدار احياء الكتب العربية – عيسى الحلبي وشركاه .
- مقدمة ابن خلدون – الطبعة الرابعة ، دار احياء التراث العربي – بيروت
- الملل والنحل للشهرستاني – الطبعة الثانية – تخريج محمد بن فتحالله بدران – مكتبة الانجلو المصرية – القاهرة .
- المنتخب من أدب العرب لاحمد الاسكندري وجماعته – دار المعارف بمصر .
- المنتخب من كنايات الادباء واشارات البلغاء للقاضى احمد بن محمد الجرجاني – تصحيح محمد بدرالدين النعساني الحلبي الطبعة الاولى ١٣٢٦هـ – ١٩٠٦م . مطبعة السعادة مصر .
- المنتحل لابى منصور الثعالبي – تحقيق احمد ابو علي – الاسكندرية ١٣١٩هـ – ١٩٠١مم .
- المنتظم في تاريخ الملوك والامم لابن الجوزي – الطبعة الاولى – مطبعة دائرة المعارف – حيدر آباد الدكن ١٣٥٧هـ .
- المنجد – معجم للغة العربية – للويس معلوف – الطبعة الرابعة عشر – المطبعة الكاثوليكية – بيروت ١٩٥٤ .

- من حديث الشعر والنثر د. طه حسين . القاهرة ١٩٥٧ .
- من غاب عنه المطرب لابى منصور الثعالبي ـ تحقيق محمد بن سليم اللبابيدي ـ بيروت ـ المطبعة الادبية ١٣٠٩ .
- منن الرحمن للشيخ محمد بهاءالدين الحارثي ـ المطبعة الحيدرية بالنجف سنة ١٣٤٤هـ .
- الموازنة بين شعر ابى تمام والبحتري للامدي ـ تحقيق احمد صقر ـ دار المعارف بمصر ١٩٦٥ .
- مواسم الادب وآثار العجم والعرب للبيتي العلوي ـ الطبعة الاولى سنة ١٣٢٦هـ ـ مصر .
- الموشح في الاندلس وفي الشرق د. محمد مهدي البصير ـ الطبعة الاولى بغداد ١٣٦٧هـ ـ ١٩٤٨م .
- مونس الوحيد لابى منصور الثعالبي تصحيح غوستا وفليفل ـ طبع في مدينة دينا سنة ١٨٣٩م .
- نثار الازهار في الليل والنهار لابن منظور ـ الطبعة الاولى ـ الجوائب القسطنطينية ١٢٩٨هـ .
- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة لابن تغري بردي ـ مصور .
- نزهة الالباء في طبقات الادباء لابى البركات ابن الانباري ـ تحقيق د. ابراهيم السامرائي ـ مكتبة الاندلس ـ بغداد ـ الطبعة الثانية ١٩٧٠ .
- نزهة الالباء في طبقات الادباء لابن الانباري ـ القاهرة .
- نزهة الانام في محاسن الشام لابى البقاء البدري المصري الدمشقي ـ المطبعة السلفية ـ مصر ـ القاهرة ١٣٤١ .
- نزهة الجليس ومنية الاديب الانيس للموسوي المكي ـ منشورات ـ المطبعة الحيدرية في النجف الاشرف ١٣٨٧هـ ـ ١٩٦٧م .
- نفحة الازهار في منتخبات الاشعار ـ لشاكر البتلوني ـ المكتبة الاهلية ـ بيروت .
- نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب للمقرى التلمساني ـ تحقيق محمد محيىالدين عبدالحميد ـ الطبعة الاولى ١٣٦٧ـ١٩٤٩م ـ ١٩٤٩م مصر .
- نكت الهميان في نكت العميان لصلاح‌الدين الصفدي ـ الطبعة الاولى ـ ـ مصر ١٣٢٩هـ ـ ١٩١١م .

- نهاية الارب في فنون الادب للنويري ــ طبعة وزارة الثقافة والارشاد ــ مصــر .
- نور القبس المختصر من القبس للمرزباني ــ تحقيق رودلف زلهـــايم ١٩٤٤ــ١٣٨٤ .
- الهفوات النادرة لغرس النعمة الصابي ــ تحقيق د. صالح الاشتر دمشق ١٣٨٧هـ ــ ١٩٦٧م .
- الوافي بالوفيات للصفدي ــ طبعة بيروت ١٣٩٢هـ ــ ١٩٧٢م .
- الوساطة بين المتنبي وخصومه للجرجاني ــ تحقيق احمد عارف الزين ــ القاهرة .
- الوصف في شـــعر العراق في القرنين الثالث والرابـــع الهجريين للدكتور جميل سعيد ــ الطبعة الاولى ــ بغداد ١٩٤٨ .
- وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان لابن خلكان ــ تحقيق محمد محيى الدين عبدالحميد ــ الطبعة الاولى القاهرة ١٣٦٧هـ ــ ١٩٤٨م .
- يتيمة الدهر لابن منصور الثعالبي ــ الطبعة الثانية ــ القاهرة ١٣٧٥هـ ــ ١٩٥٦م .
- يوم وليلة (خلافة ابن المعتز) لعبدالعزيز سيد الاهل ــ الطبعة الاولى ــ بيروت ١٩٤٩ .

الفهارس

١ ـ الاعلام والامم والقبائل

الألف

الهمزة

الباء

التاء

الثاء

الجيم

الحاء

الدال

الذال

الراء

الزاي

السين

الشين

الصاد

الضاد

الطاء

العين

الغين

الفاء

القاف

الكاف

اللام

الميم

النون

الهاء

الواو

الياء

الاماكن والبقاع

الألف

الهمزة

الباء

التاء

الثاء

الجيم

الحاء

الخاء

الدال

الذال

الراء

السين

السين

الشين

الصاد

الطاء

العين

الغين

الفاء

القاف

الكاف

اللام

الميم

النون

الهـــاء

الـــواو

اليـــاء

المحتويات

رقم الايداع في المكتبة الوطنية ببغداد
١٠٢١ لسنة ١٩٧٨

دار الحرية للطباعة ببغداد ١٣٩٨هـ ــ ١٩٧٨م